# باسم الأب

رواية

محمود خواجة

فصلة للنشر و التوزيع

# اهداء

إلى المَنسي٠ ٠.

مَن يُغير في حيواتنا ويظل مجهولًا حتى أبد الدهر٠ ٠.

لولاه لم يَكن الدهر حيًا٠ ٠.

أهديها إلى حياة كنت أتأملها٠،٠ حُرية كُنت أصرخ لأجلها٠،٠ عدالة لم أستطع تحقيقها٠ ٠.

أهديها إلى العادلين في الأرض٠،٠ إلى أيادٍ امتدت للقضاء على الظلمات وملئ الحياة بنور حقيقي٠ ٠.

إلى حُبٍ لم أنله٠،٠ إلى ذكريات لم أستطع الثأر لأجلها٠ ٠.

أهديها إلى عالم مثالي كُنت أتخيله في غياهب النسيان٠ ٠.

٠-- سعيد العراقي٠ ٠.

# الفصل الأول٠ :٠ ٠(٠عَتبة العودة٠)٠

## (١)

٠-٠-٠-٠سعيد العراقي رجع٠،٠سعيد العراقي رجع٠-٠ ٠.

قالها العجوز متسولًا في طرقات القرية٠، صارخًا من فرط سعادته٠، عيناه تشعان بريقًا حاملًا أملًا غير مسبوق أن رؤي في عينيه٠، مُتكًا على عصاه القصيرة٠، لم يُصدق أحدٌ من أهل القرية ما يقوله العجوز٠، المدعو ٠(٠الشيخ جمال٠)٠ ٠.

اعتلى الصراخ جنبات القرية٠، تناقلت الأقاويل وتبعثرت كالرياح في أقل من دقيقة عن عودة ٠(٠سعيد العراقي٠)٠ إليهم٠، كان الصراخ يعتلي كُل بيت في المنطقة٠، وبدأ أكابر القرية في إسكات زوجاتهم٠، شعر الشيخ بسعادة لم يشعر بها مُنذ أن غاب العدل عن قريتهم٠، مُنذ أن غاب ٠(٠سعيد العراقي٠)٠ ٠.

٠-٠-٠-٠لقد رَجع يا أهل القرية٠، عاد من الموت٠، أوفى وعاد٠-٠ ٠.

سقط العجوز طريحًا٠، مزلزلًا نفوس الأهالي٠، فاجتمع الكُل حوله مُحاولين إفاقته فوجدوه مُتيقظًا٠، مُنخرطًا في البكاء هامسًا لذاته٠:٠-٠-٠سعيد٠،٠سعيد٠-٠-٠، فسمع صوت طفل صغير يخرج من بين الحشد٠:٠

٠-٠-٠-٠من هو ٠(٠سعيد العراقي٠)٠ ياعم٠؟٠!٠ وهل من المعقول أن يعود شخص من الموت٠؟٠!٠-٠

ابتسم العجوز٠، واختلج صدره ألمًا صغيرًا بسبب تذكره لسعيد

العراقي٠،٠ ما كان عليه وما فعله لأهل القرية الجُبناء٠،٠ لم يتذكر أحد ٠(٠سعيد العراقي٠)٠ لولا أن جاء الشيخ ينبئهم بعودته الغانمة٠،٠ عودته المُبشرة بالخيرات والنعيم للقرية وأهلها٠ ٠.

لم يكن ٠(٠جمال٠)٠ مُجرد عجوزفي القرية٠،٠ يُثرثر في المقهى عن هذا وذاك٠،٠ بل كان أكبر شخص بها٠،٠ يَخرج كُل يوم فجرًا يؤم الناس لأداء الفريضة٠،٠ وجهه ضارع يرتسم بملامحه الفقر باسمى معانيه٠،٠ لكنه راضٍ عما قسمه الله له٠ ٠.

نهض الشيخ مُعتمدًا على عصاه٠،٠ مُبتسمًا شاعرًا بالانتصار الحقيقي لوعده الذي طالما قطعه لهم مُنذ خمسة وعشرين عامًا٠،٠ سار الشيخ وحيدًا٠،٠ مُبتسمًا وعيناه تَدمع بهدوء تام٠،٠ هامسًا لنفسه٠:٠

٠-٠-٠-٠سعيد رجع٠-٠-٠ ٠.

.*. .*. .*.

عزيزتي ٠(٠شهد٠)٠،٠

أرسل لكِ تحياتي الطيبة٠،٠ أما بعد٠،٠

بالتأكيد ستسألينني في خطابك التالي٠:٠-٠-٠ما هذا٠؟!٠ أتعرف كلمة ٠(٠أما بعد٠)٠؟!٠-٠-٠،٠ فسأجيبك أن الشيخ جمال يقولها في كُل صلاة جمعة أصليها بالمسجد٠،٠ لا داع أن أكون مُتكلفًا في خطابي الثاني لكِ٠ ٠.

أكتب ولا أعرف لِمَ أكتب٠،٠ فأنا حتى لاأستطيع الكتابة جيدًا وخطي رديء٠،٠ لكني أشعر بأن هُناك ما أستطيعأن أعبر عنه في

تلك الورقة٠٠ لا تستطيعأن تعبر عنها كلماتي غير المتأنقة لكِ٠٠ لقد رأيت وجهك اليوم باكيًا٠٠ أرجو أن تخبريني ما الذي حدث في خطابك القادم٠ ٠

كلمة أخيرة٠٠ أود أن أتحدث لكِ لكني لا أعرف متى٠٠ عندما أرى وجهك أود التحدث لكن هُناك شيءٌ يمنعني٠٠ أرجو أن نتحدث في المرة القادمة٠ ٠

عُمر العراقي٠ ٠

ما أن انتهى ٠(٠عُمر٠)٠ من كتابة خطابه٠٠ وجد العديد من الناس يقفون أمام محل البقالة الخاص به٠٠ وأمامه كان الشيخ جمال٠٠ مُبتسمًا له ويُخبره بما استعدت أذنه أن تسمعه طوال السبعة عشر عامًا التي بعثه الله فيهم إلى تلك الأرض٠ ٠

٠٠٠٠أن أبيك سيعود٠٠ لقد قال لي أنه سيعود يا ٠(٠عُمر٠)٠٠ ٠

اجتاحته الصدمة٠٠ وبدأ يتذكر ما قيل عن أبيه وعن عظمته٠٠ اشتعلت أنفاسه وراح يبحث عن أبيه وسط الحشد٠٠ خرج من البقالة٠٠ مُبتعدًا عن الجَمع كُله ذاهبًا إلى بيته٠٠ جاهلًا شعوره ما أن كان سعادة أبدية٠٠ أوحُزن يُقسم الأبدان٠ ٠

أن أبيه سيعود٠!٠٠ تلك الجملة التي سمعها كثيرًا وكثيرًا٠٠ لكنه لم يشعر بها إلا الآن٠٠ لم ير أبيه أبدًا٠٠ حتى أمه لم ينل شرف معرفتها٠٠ النظر إلى وجهها٠٠أن يحتضنها وقتما تُدمر الدُنيا أحلامه الصافية الخالية من أي طموحات فوق حاجته٠ ٠

بدلًا من أن يخرج من رحم أمه ليرى العالم ورديًا كما يراه في

خيالاته ويقرأ عنه في الكُتب٠٠ رآه مُظلمًا٠٠ مكان مُقفر لا يرى فيه سوى السراب٠٠ ولا يتعايش سوى مع التائهين٠ ٠

اكتنفه الشيخ ٠(٠جمال٠)٠ بحبه وحنانه٠٠ ربّاه على أسس دنيوية ودينية وعلمه القراءة والكتابة٠٠ وعندما بلغ الثالثة عشر ابتاع له الشيخ دُكانًا يبيع فيه مُستلزمات البيوت مثل الملح والزيت والأشياء الأخرى٠ ٠

لم ينس جميل الشيخ عليه٠٠ ولن ينساه أبدًا٠٠ كان يقول له دومًا٠٠:٠٠-٠لو كان أبي هُنا مافعل هذا٠٠-٠٠ فكان يرد الشيخ عليه ردًا يُفحمه٠٠:٠٠-٠لو ما كان أباك لمَا كُنتَ يا ٠(٠عُمر٠)٠-٠٠ لم يفهم عُمر هذا الرد أبدًا٠٠ لكنه وبعد أن خاض ودخل في جوف الحياة بدأ يفهم٠٠ لم يعرف ما الذي كان عليه أبيه وما الذي فعله للقرية٠٠ ما الذي يجعل منه مُنتظرًا بتلك الطريقة٠؟!٠

في أثناء سيره بحواري القرية٠٠ كان يسمع أصوات النساء والرجال تهتف بعودة سعيد العراقي٠٠ استطرد سيره مُتشجعًا لرؤية أبيه٠٠ دخل البيت ثم جلس على الأريكة مُمددًا جسده فغفل للحظة واستيقظ عندما سمع صوت الشيخ جمال يُناديه٠ ٠

فتح ٠(٠عُمر٠)٠ باب البيت الصغير٠٠ وجد الشيخ مُمسكًا عصاه كالعادة ومعه دفتر قديم لونه أصفر٠٠ من الواضح أنه دفتر عتيق٠٠ ومن الواضح أكثر أنه يخص أبيه٠٠ ابتسم له ٠(٠جمال٠)٠ ودخل البيت٠٠ فسأله عُمر٠:

٠-٠٠-٠هل لي برؤية والدي٠؟!٠-٠

فابتسم الشيخ٠٠ جلس على المقعد ووضع عصاه على الطاولة

الخشبية٠٠ وأجابه بهدوء٠:

٠-٠-٠-٠لقد انتظرت ما يعادل عُمرك بأكمله وستأتي في تلك الأيام القليلة المتبقية وتخيب يا ٠(٠عُمر٠)٠؟٠!٠-٠-

٠-٠-٠-٠أنا فقط أود رؤيته٠٠ أود أن أعرف عنه ما لا تود أن تُخبرني به يا شيخ٠-٠ ٠.

نظر الشيخ إلى الدفتر٠٠أعطاه إلى عُمر قائلًا له٠:

٠-٠-٠-٠لقد حان الوقت أن تفهم وتعرف٠٠ هذا الدفتر فيه كُل شيء عن أبيك٠٠ كتبه أبيك بنفسه وأعطاه لي كي أعطيه لك٠-٠ ٠.

كان الدفتر مُمتلئ بالحبر والتواريخ٠٠ زاغت عينا عُمر فيه٠٠ تحسس الدفتر وبدأت تتساقط دموعه٠٠ لقد اقترب الموعد جدًا٠٠ موعد رؤيته لأبيه المُنتظر٠٠ نظر له الشيخ شاعرًا بالطمأنينة من أن هذا الحمل قد ذهب٠٠ حملًا ثقيلًا بحق٠٠ ود أن يقتسمه مع أي شخص لكنه لم يجد شخصًا مُناسبًا سوى عُمر٠٠ ابتسم له٠٠ ثم نهض مُمسكًا عصاه واتجه نحو الباب قائلًا لعُمر٠:

٠-٠-٠-٠أن صَعُب عليك فِهم أي شيء تعال لي٠٠ أنت تعرف مكاني٠-٠ ٠.

في طريق الشيخ للخروج٠٠ عاد مُجددًا بعدما تذكر شيئًا٠:

٠-٠-٠-٠يا بُني٠٠ حافظ على هذا الدفتر كعينيك٠-٠ ٠.

خرج الشيخ من البيت فجلس عُمر على الأريكة شاعرًا بفضولٍ لم

يشعر به في حياته قط٠٠ الآن سيعرف كُل لحظة عن ٠(٠سعيد العراقي٠)٠ المُختفي في ظروف غامضة٠٠ سيعرف كُل شيء عن العادل في دُنياه٠٠ سيعرف كُل شيء عن أبيه الغائب مُنذ أن وُلد٠ ٠.

سَمع صوت المطر من الداخل٠٠ وكأن السماء تعلم ما يجول بنفسه فتثلج خاطره٠٠ وكأن الرعد مسّه هو بمجرد أن مس الدفتر٠٠ ارتعش خاطره ودار وجدانه دون توقف٠٠ الأسئلة تتراوح على عقله كسرب طيور تاه عن موطنه٠٠ قرر أن يخرج من حالته السلبية ويبدأ في قراءة مذكرات أبيه٠ ٠.

مُذكرات ٠(٠سعيد العراقي٠)٠ ٠.

٠*٠ ٠*٠ ٠*٠

## (٢)

من مُذكرات سعيد العراقي٠:٠

٠---٠ كُتبت هذه المُذكرات في ليالٍ خالية من الأنات٠٠ الرُعب والأهوال٠٠ ابتسم وأنت تقرأ فأنت الآن على وشك معرفة من هو سعيد العراقي٠ ٠.

لم أكتب أبدًا عن أي شيء في حياتي٠٠ وحتى لا أعرف أن كُنت ما أخطّه الآن بيدي سينال شرف القراءة أم لا٠٠ قيل لي أن ابني سيقرأ تلك المذكرات٠٠ فقررت الكتابة عني ليعرفني٠ ٠.

لا أعرف وجهك يا بُني٠٠ حتى لا أعرف اسمك٠٠ لا أعرف أن

كُنت حيًّا أم لا٠٠ موجودًا في تلك الحياة الأشبه بالصحراء أم غير موجود٠٠ كُل ما أعرفه أنكُل شيء سيصبح على ما يرام وأنني يومًا ما سأراك٠ ٠

بُني٠٠ الحياة ظالمة٠٠ الحياة ستشق أنفاسك للحصول على ماتريد ولن تحصل عليه٠٠ ستقتل روحك الطاهرة من الذنوب وستخلق روحًا جديدة لم تعهدها قط٠٠ الحياة ليست سعيدة كما تسمع عنها في الراديو٠٠ بل هي صعبة المراس٠٠ واعلم جيدًا أنك لن تحقق أهدافك٠٠ أنك لن تتزوج بتلك الفتاة التي تحبها٠٠ لأنها الحياة يا بُني٠ ٠

أن قيل لك أن سعيد العراقي كان مُجرمًا٠٠ يقتل من لا يستحق القتل ويُحيي من لا يستحق الحياة٠٠ اعلم أنه كذب٠٠أن قال لك أحدهم أن سعيد العراقي لم يذيقه ما يشتهيه٠٠ أن أبيك سعيد العراقي كان مُلوثًا بالذنوب٠٠ رائحته أشبه برائحة الخمر لا تصدقه٠٠ وإن قيل لك أن سعيد العراقي كان زير للنساء فصدقه٠٠ فالنساء هن الحياة٠ ٠

سأحكي لك مُنذ نشأتي٠٠ مُنذ الثامن عشر من أبريل٠ ٠

القرية يا بُني منذ القدم وهي بتلك الحال٠٠ كَبير للقرية وقصر للكَبير وأهلها المغلوبين على أمرهم٠٠ ودومًا يكون كَبير القرية من عائلة ٠(٠العلايلي٠)٠٠ فلا تتعجب أن كان الكبيرفي وقت قراءتك للمذكرات من عائلة العلايلي؛ لأن هذا هو الحال دومًا٠٠ تلك العائلة التي ربما لا تعرف تاريخها المُظلم هي تقريبًا أكبر عائلة لتجارة السلاح٠٠ أن ذُكر اسم عائلة العلايلي في موضع انتصب أضخم شارب لأقوى كَبير٠٠ فهم الكِبار دومًا٠٠ ستتعجب

أن عائلة مثل تلك٠،٠ تمتلك ثروة مثل ثروتها٠،٠ أسلحة مثل أسلحتها٠،٠ ما الذي يجعلها تقطن بقرية فقيرة٠؟!٠ سأخبرك بالسبب لاحقًا لكن لا تنسى٠ ٠.

عندما كُنت طفلًا٠،٠ كان للقريةكبير يُدعى ٠(٠رأفت العلايلي٠)٠،٠ على حسب ألسنة أهل القرية كان هو الأظلم٠،٠ الأقذر والأفجر في تاريخ عائلته٠،٠ لم يكن يُلقي بالًا لأهل قريته٠،٠ بل كان فقط يعيش بداخل قصره وقلما يخرج منه٠،٠ ولسوء الحظ كان أبي يعمل عنده٠،٠ لكن وعلى الرغم من أن أبي يعمل عنده كانت القرية بأكملها تحبه٠،٠ لأنه على عكس رأفت كان يستمع لهم٠،٠ يُلبي حاجاتهم ولا يشعرهم بالتسول لرأفت٠ ٠.

وفي الثامن عشر من أبريل المشؤوم٠،٠ دخل أبي حاملًا الطعام٠،٠ فسألته عن أمي للمرة المائة٠،٠ كان في العادة يَرد أنها هربت ولن تعود أبدًا٠،٠ لكني كُنت على يقين أنها ستعود٠،٠ تلك المرة لم يَرد أبدًا٠،٠بل كان وجهه مُلطخًا بالخوف٠،٠ عيناه تُرسم رُعبًا لم أعهده في عين أبي٠،٠ جعلني أخلد إلى النوم أما هو فظل مُتيقظًا٠ ٠.

ولـمّا نمت٠،٠ وجدته يوقظني٠،٠ يربت على كتفي٠،٠ أخبرني كلمات لم أنساها حتى تاريخ كتابة تلك المذكرات٠:٠

٠-٠لقد كُنت سيئًا٠،٠اغفرلي٠-٠ ٠.

لثم رأسي بقبلة٠،٠ وجدت ٠(٠جُزء غير واضح من المذكرات٠*٠)٠ وخرج من الغرفة باكيًا٠،٠ مُحاولًا تخفيف وطأة الألم والحزن عنابنه الصغير٠،٠

٠*٠:٠٠ نَظرًا لسوء خَط سعيد العراقي لم يستطع قراءة تلك

الجملة٠ ٠.

حاولت النوم مُجددًا٠،٠ ولمّا جافتني الأحلام انتشلت منها على أصوات الرصاص٠،٠ وكأن رأسي قُربت على الانفجار٠،٠ نزلت تحت السرير مُحاولً االاختباء٠،٠ واضعًا يدي على أذني٠،٠ كانت يدي ترتعش من شدة الرعب٠،٠ لكن فجأة توقف إطلاق الرصاص٠،٠ وسمعت صوت أحدهم يقول٠:٠

٠-٠لا تعبث مع الغرباء أبدًا٠-٠ ٠.

وسمعت صوت الباب يُغلق بشدة٠،٠ انتظرت دقائق٠،٠ فسمعت صوت أهل القرية يصرخون ويبكون٠،٠ لقد مات أبي٠،٠ خرجت من الباب٠،٠ وجدت أبي مُلقى على الأرض والدماء تُشكل بركة حوله٠،٠ فتحت الباب على مصرعيه للأهالي٠،٠ فوجدتهم يهتفون باسمه٠،٠ أما أنا كُنت أنظر له٠،٠ فوجدت شيء به لم يلحظه أحد من أهل القرية٠،٠ أخذوني بعيدًا كي لا أرى جُثة أبي وأنخرط في البكاء٠،٠ لكني لم أبك٠،٠ عندما نظرت في وجه أبي للمرة الأخيرة وجدت دمعة قد خرجت من حدقة عينه٠،٠ لقد بكى أبي لخوفه على بقائي وحدي في تلك الدنيا٠ ٠.

أخذوني أهل القرية خارج المنزل٠،٠ فنظرت لهم بحدة وقلت لهم٠:٠

٠-٠اتركوني وحدي٠-٠ ٠.

وعندما تركوني٠،٠ وفي الثامن عشر من أبريل٠،٠ وُلد سعيد آخر لم يعرفه أحد من أهل القرية٠،٠ حتى لم أعرفه أنا بذاتي٠ ٠.

.*. .*. .*.

# (٣)

تناثرت الأقاويل في القرية عن عودة ٠(٠سعيد العراقي٠)٠٠ فبدأت الشائعات تتراوح وتجيء كسفن بلا ميناء٠٠ قيل أنسعيد مات – وبقدرة قادر – أحياه الله مُجددًا ليُنهي الظلمات التي عمّت القرية٠٠ قيل أيضًا أنه هرب بعدما اجتمع الضعف بجسده٠٠ وأنه سيعود فقط ليأخذ ابنه ويرحل مرة أخرى٠ ٠.

توقف ٠(٠عُمر٠)٠ عن قراءة المذكرات شاعرًا بنعاس يغالب فُتات تركيزه٠٠ فنام واستيقظ بعد عدة ساعات على صوت طرقات فريد من نوعه٠٠ يميزه كُلما سمعه٠٠ تلك طريقة طرق الشيخ جمال على الباب٠ ٠.

لم يكن الشيخ جمال واهنًا للدرجة التي يُحتم سنه العجوز أن يكون عليه٠٠ بل كان نشيطًا٠٠ يتحرك كثيرًا في القرية ولا يهدأ إلا وهو جالس على المقهى٠٠ يُلقي الخُطب ويروي القصص عن العائد سعيد العراقي٠٠ من الصعب للغاية تحديد ملامح الشيخ٠٠ فهو كقمر يظهر مُضيئًا في سماء مُلبدة بالغيوم٠٠ التجاعيد ولحيته البيضاء كثلج ذائب وعمامته السوداء المعروفة في القرية٠٠ جسده الضخم المهيب وعصاه القصيرة التي يمسكها بيده ويتكئ عليها بسبب ضعف قدمه اليُمنى٠ ٠.

دخل جمال إلى المنزل مُلقيًا تحية الإسلام عليه٠٠ وبدأ يتلو بعض الآيات القرآنية بصوته غير المُميز٠٠ جلس على الأريكة مُمددًا قدميه ليريحها من عناء السير٠:

٠-٠-٠-٠قرأت المذكرات٠؟٠-٠

جلس عُمر أمام الشيخ أشبه بالنائم٠:٠

٠-٠-٠-٠نعم لكن ليس كُلها بالطبع٠،٠ أيضًا خط أبي كان كارثي يا شيخ فهناك بعض الجمل لم أستطع قراءتها من سوء خطه٠!٠-٠

ضحك الشيخ٠،٠ واستطرد حديثه٠:٠

٠-٠-٠-٠لا عليك يا ٠(٠عُمر٠)٠،٠ لا تُحمل ذاتك أعباء فوق أعباء٠،٠اقرأ ما تيسر لك قراءته وإن كان عسير فلا تقرأ٠،٠ لكن كُل ما اقتربت من نهايتها كلما اقترب أبوك من العودة٠،٠ ولا أنا ولا أنت نريد أن يؤخر هذا اللقاء المُنتظر٠-٠ ٠.

صمت لوهلة حزينًا٠،٠ثمأردف٠:٠

٠-٠-٠-٠مُنذ خمسة وعشرين عامًا٠-٠ ٠.

في الخارج٠،٠ بدأت الأصوات تعلو٠،٠ الناس تصرخ ذعرًا وخوفًا٠،٠ لقد هبط ٠(٠سالم العلايلي٠)٠ من قصره٠،٠ سالم هو كَبير القرية٠،٠ ابن ٠(٠حسن العلايلي٠)٠ وحفيد ٠(٠رأفت العلايلي٠)٠،٠ كَبير القرية في عهد أبيه٠ ٠.

لم تعتد القرية سير كبيرهم بين ظلالهم المفقودة٠،٠ فالوحيد الذي فعل هذا كان سعيد٠،٠ لذلك أحبه الأهالي؛ لأنه لم يشعرهم بفرق بينه وبينهم٠،٠ أما سالم فسار على نهج أبيه ومن قبلهم ٠(٠رأفت٠)٠،٠ وقلما نزل إلى القرية ليتفقد الأحوال٠،٠ وكُلما نزل تبدأ الأحوال في التدهور٠،٠ فيبدأ الأهالي بالفرار إلى بيوتهم لأنه

لا يود أن يزعجه أحد٠ .

كان ٠(٠سالم٠)٠ ذا هيبة وحضور٠، فالجميع يخشاه حتى الأكبر سنًا في القرية٠، والغريب أن سالم وعُمر يتقاربان بشدة في السن٠، فتقريبًا هما بمثابة العمر٠، لكن شتّان بين حُب الأهالي لهما٠ .٠ سمع ٠(٠عُمر٠)٠ صوت طرق على الباب وأحدهم يُنادي بهدوء من خلفه٠:٠

٠-٠-٠-٠عُمر يا عراقي٠،٠افتح يا ابن الداعرة٠-٠ .٠

ارتعد عُمر لوهلة٠، ظن أن هذا الشخص قادم لقتله حتى يُنهي سلسال العائلة٠، نهض ليفتح الباب فوجده واقفًا ومعه رجلين من حراسه٠، دخل ٠(٠سالم٠)٠ وحده المنزل دون أي حديث٠، فوجد الشيخ جمال جالسًا٠، لم ير سالم الشيخ سوى مرة واحدة في حياته٠، فقال عُمر بعد أن استجمع قواه ورباطة جأشه٠:٠

٠-٠-٠-٠من دعاك للدخول٠؟٠-٠

نظر سالم له٠، شاعرًا بالإهانة في دولته الصغيرة٠، فتحدث معه٠:٠

٠-٠-٠-٠أن كُنت أنا رئيس دولتك٠، ثم على حين غرة سمعت صوت طرق على باب بيتك ففتحته وجدتني٠، هل أن دخلت إلى بيتك ستقول لي بصوت أشبه بعاهرة٠:٠-٠-٠من دعاك للدخول٠؟٠-٠-٠، أمستدعوني لأشرب كوب من الشاي الخالي من السُكر٠؟٠!٠ ٠-٠

ما أنحاول عمر التفوه ببعض كلمات حتى صفعه سالم على وجهه٠، فاستشاط عُمر غضبًا وشعر بأنه سيبكي من ضعفه في

هذا الموقف،، فإن ردّ له الضربة سيُضرب أقوى من حراسه وسيهان بقريته،، أما أن سكّت فسيأكله الغضب ويحرقه من الداخل،، دنا سالم منه وتحدث،:

،،،،،ألم أقل لك إنك عاهرة،، تعلم أن كُنت أنا مكانك وأنت صفعتني على وجهي بتلك الطريقة،، أقسم لك يا ابن العراقي أني لن أجعلك تخرج حيًا من تلك القمامة،،،،–مُشيرًا إلى منزل عُمر، ،

التزم الصمت،، فتحدث الشيخ جمال بصوت عالٍ،:

،،،،أنت تحتمي برجالك يا ،(،سالم،)،، أنت جبان للغاية ولا تستطع السير بدونهم،،، ،

ألقى بناظريه نحو الشيخ جمال،، لم يتحرك قيد أنملة،، ثم ابتسم،:

،،،،مبروك يا شيخ لقد وصل عُمرك الآن إلى تسعمائة عام،، ألن تموت وتريحنا من صوتك المزعج،؟!،،

ليس من عادة الشيخ أن ترتطم الإهانة بوجهه ويصمت،، تحدث مُحافظًا على هدوئه،:

،،،،تقريبًا يا سالم أنا أربع أضعاف عُمرك،، لكن تعلم،،أنا مُنذ وُلدت في تلك القرية وأنا أستيقظ في الفجر لأؤم الناس،، ثم أسير في القرية أتفقد أحوالها،، وكُلما سِرت بضعة أمتار وجدت الأهالي يدعون على كبيرهم،، ثم أذهب للمسجد وأصلي بالناس،، أما أنت تقريبًا لم أجدك في القرية أبدًا،، حتى أظن

أنك لا تعرف كيف تصلي٠،٠ أظن أنك لازلت ترضع من ثدي أمك ثم تجعلها تغير لك لباسك لأنك بللت سروالك٠-٠ .٠

ارتعب ٠(٠عُمر٠)٠ خوفًا على الشيخ٠،٠ لقد بالغ وتمادى في إهانته٠،٠ لكن حدث غير المتوقع٠،٠ ارتج وجه سالم وأصبح شبيهًا بنار موقدة٠،٠ لم يحاول حتى الدفاع أو التحدث فلقد فقد قدرته على الحديث٠،٠ووجد الشيخ يُرجع رأسه إلى الخلف ناظرًا له٠:٠

٠-٠-٠-٠الآن فقط تأكدت أنك بللت سروالك٠-٠ .٠

استشاط سالم غضبًا وقال٠:٠

٠-٠-٠-٠أقسم لولا أنك رجل بعمر أجداد أجدادي لكنت خسفت بك الأرض٠،٠ لكني لن أفعل٠-٠ .٠

نادى سالم على الحراس٠،٠ فبدأت الشكوك تتلاعب بعقل الشيخ٠،٠ هل سيؤذي ٠(٠عُمر٠)٠؟٠!٠ وإن قرر إيذاءه فما الذي سيفعله به٠؟٠!٠ سيخشى سالم غضب الأهالي فهو على يقين بأنهم يحبونه٠،٠أصاب الشيخ ألمًا شديدًا بقلبه حين أحكما القبض على عُمر وأخرجاه من المنزل٠،٠ ابتسم سالم للشيخ قائلًا بهدوء٠:٠

٠-٠-٠-٠سأجعل سعيد العراقي فخور بما فعلته لابنه٠-٠ .٠

وخرج من المنزل وتبعه الشيخ٠،٠ مذعورًا وخائفًا٠،٠ كانت القرية على قدم وساق٠،٠ لقد نزل كبيرهم إليهم حاملًا شرًا٠،٠ فلقد عُرف أن إذا وطئت قدم الكبير أرض القرية حلّت المصائب٠،٠ وقف

٠(٠سالم٠)٠ أمام الجمع وعمر واقف بنفسٍ مُزقت شجاعتها٠،٠ لم يكن سالم سوى فتى يعبث بمصير أهل القرية٠،٠ فالقرية كُلها تعرف أنه ما زال صغيرًا على إدارة زمام الأمور٠،٠ لم يكن ذا عقل ماكر أو قلب رحيم٠،٠ بل جمع أسوء صفات العائلة٠،٠ حتى أنه وبلا أي تحذير مُسبق يقف ومعه عمر والقرية كُلها تقف مُنتظرة حدوث الأمر السيء غير المعروف حتى الآن٠ ٠.

ابتسم سالم بخُبث لأهل القرية٠،٠ النساء تخرج من النوافذ لرؤية الحدث الجلل٠،٠ الرجال معهم أطفالهم يشاهدون٠،٠ فتحدث سالم بصوت جهوري لا يناسب سنه٠:٠

٠-٠-٠-٠هذا الولد عبث معي٠،٠ عبث مع من لا يعرفهم٠،٠ وما جزاء العبث إلا العبث٠-٠ ٠.

اقترب سالم منه٠،٠ مسك ياقة ملابسه ونظر إلى الجمع٠:٠

٠-٠-٠-٠تناقلت الأنباء أن سعيد العراقي سيعود قريبًا٠،٠ ومن أذاع تلك الشائعة كان هذا العجوز – مُشيرًا إلى الشيخ جمال ٠-٠،٠٠ القرية ليست بحاجة إلى مصائب أخرى٠،٠ وإن عاد العراقي سيكون هُناك فوضى عارمة لكم قبل أن تكون لنا٠-٠ ٠.

ثم لاذ الصمت تمامًا٠،٠ حتى شعر عمر بأنه سيودع تلك الحياة للأبد٠،٠ نظر إلى الأعلى فوجد ٠(٠شهد٠)٠ الفتاة التي أحبها ولم يتحدث معها وجهًا لوجه قط٠،٠ ناظرة له وكأنها تُصبره بتلك النظرات٠،٠ نسي لوهلة ما الذي سيحدث له وأخذ يتأمل نظراتها له٠،٠ كانت المرة الأولى التي تنظر له بتلك الطريقة٠،٠ وعندما أمعن النظر وحاول الابتسام٠،٠ سمع صوت سالم يُنبئه٠:٠

٠-٠-٠-٠سأجعل العراقي يتذكر دومًا أنه أنا من فعلت بك هذا٠-٠ ٠.

ضربه في مفصل ركبته اليُمنى٠، فوقع عُمر متألمًا من شدة الضربة٠، ولمّا انقض سالم على عُمر محاولًا ضربه في وجهه سمع صوت أحد الحُراس من القصر٠، ارتبكت القرية ولم يقو أحد على الصراخ مُدافعًا عن ابن قريتهم عُمر العراقي٠، لم يحاول أحد التحدث خوفًا من عدم رؤيته للقرية مجددًا٠، فالحديث هُنا جريمة٠ ٠.

تحدث الحارس في أذن سالم فارتبك وازدرد ريقه٠، ثم أخذ نفسًا عميقًا ودنا من عُمر المُتألم:٠

٠-٠-٠-٠لا تعبث مع الغرباء أبدًا يا عُمر٠، لا تكن مثل أبيك٠-٠ ٠.

ثم سار سالم بعيدًا عن عُمر والقرية أجمع٠، تجمع الأهالي حوله مذعورين أما الشيخ جمال وقف بعيدًا لا يقوى على الاقتراب من عُمر٠، كانت عيناه تدمعان لقلة حيلته٠، أما عُمر فنسي آلامه٠، لم يسمع أي صوت حوله بالرغم من ثرثرتهم٠، كان يتذكر شيء آخر٠، لقد قال ٠(٠سالم٠)٠ جملة مُميزة أشعلت فضول وجدانه٠، ٠-٠لا تعبث مع الغرباء٠-٠، تلك الجملة قيلت عندما قُتل جده٠، لقد كتبها أبيه سعيد في المذكرات٠!٠في تلك اللحظة كان الشيخ واقفًا بعيدًا عن الجمع٠، باكيًا قائلًا جملة واحدة:٠

٠-٠-٠-٠يا سعيد٠، يجب أن تحضر لترى الظلم في قريتك٠-٠ ٠.

.*. .*. .*.

لم يَكن عُمر العراقي سوى فتى في السابعة عشر لا يعرف عن

الحيـاة إلا قليـلًا٠٠ بـالرغم مـن بنيتـه الضـعيفة وطـول قامتـه٠٠ لحيته التي تنبت بهدوء شديد على وجهه النحيف٠٠ إلا أنه كان ذكيًا٠٠ ماهر في التجارة٠٠ محبوب من أهل القرية ليس لأنه ابن الغائب سعيد العراقي٠٠ بل لأنه عُمر العراقي٠ .٠

كانت إصابته طفيفة لكن أدت إلى بعض العجز عن السير٠٠ سار بمسـاعدة الأهـالي حتـى وصـل إلـى بيتـه مُتشـائمًا٠٠ مقهورًا٠٠ شاعرًا بأن شجاعته وقوته أُهدرا في سبيل شيء أضعف منه٠٠ كره الحياة بمجرد أن صفعه سالم على وجهه٠٠ صفعة جعلته يعيد التفكير في ذاته٠٠ نفسه الضائعة في فتات أحلام تائهة٠ .٠

بعدما رحل الجميع وظل هو وحده في منزله٠٠ شُلّ لُبه وأصبح خائفًا على بقالته التي يكسب منها قوت يومه للعيش٠٠ علمته القرية أنه لن يصرف عليه أحد٠٠ لن يذهب للمنزل ويجد طعامه جاهزًا ثم يُقبل قدم أمه ورأس أبيه٠٠ علمته القرية أنه لن يعيش طفولة عادية مثل سائر الأطفال٠٠ ولن يكون مُراهقًا يسعى خلف نظرة من الفتيات في مثل عمره٠٠ إنما سيكون رجلًا مسؤولًا عن نفسـه مـن النـشء حتـى المـوت٠٠ لـم يعقـب فـي حياتـه ولـم يجحد٠٠ لكنه وللمرة الأولى في حياته٠٠ يشعر بالضعف فيغالبه البكاء٠٠ بكاء أحرق ما تبقى من ذاته المتفحمة٠٠ دعا الله أن يجعلـه يمـر مـن تلـك الأزمـة بسـلام٠٠ أن يـأتي أبيـه ويتحمـل مسؤولية ابنه٠٠ تُرحب القرية به ثم تقيم له الأفراح وتقدم له القِرى الواسع٠٠ ما الذي يؤخر أباه؟٠!٠ ما الذي يجعله لا يأتي الآن٠؟٠ فضّت الأسئلة غشاء عقله مما جعله مُرهقًا٠٠ فنام على الأريكة٠ .٠

وبعد ساعتين نهض بسبب ألم قدمه٠٠ استفاق فأخذ الدفتر المُدون به كلام أبيه وسار بقدمٍ واهنةٍ حتى وصل إلى البقالة٠٠ كانت بقالته شديدة الفقر٠٠ بها الزيت والملح والقليل من المستلزمات المنزلية٠٠ صغيرة للغاية فتكفي تقريبًا مقعد خشبي واحد٠٠ لكنه كان سعيد بها لأنها تكفي – غالبًا – مستلزمات أهل القرية٠ ٠

جلس بالداخل وألم ركبته لا يفارقه٠٠ فضربة سالم لم تكن قوية لكنها أثرت بها٠٠ أخذ نفسًا عميقًا مُحاولًا التقاط شيئًا من الأمل والراحة٠٠ راح يفتح دفتر أبيه ويستكمل ماتوقف عنده٠ ٠

.*. .*. .*.

## (٤)

من مُذكرات سعيد العراقي٠:٠

الليلة كانت مُجحفة٠٠ السماء خالية من السُحب مُلبدة بدموع واهية٠٠ وقتما قُتل أبي وقفت القرية تستعد للانتقام من قاتل الرجل الطيب الكريم٠٠ أبي٠ ٠

القرية ثارت ولم تتوقف ثورتها إلا عندما دخل رأفت العلايلي بذاته وقتل العديد من الأهالي٠٠ الأطفال والرجال ولم تمتد يده على النساء٠٠ لأنه كان صاحب مبدأ ألا يقترب من نساء القرية٠ ٠

أرى الأهالي واقفون أمام قصر ٠(٠رأفت٠)٠ يخبرونه بأنه أجبن من تولى قيادة القرية٠٠ مُمسكون بعصيهم الهزيلة مقارنة بأسلحة

رجال رأفت٠٠ كُنت واقفًا على مدى بعيد من القصر٠٠ غير خائف إنما أود رؤية ما الذي سيحدث لهم٠٠ ومعرفة مدى قذارة هذا الرجل٠٠ بدأ الأهالي يهتفون حتى مَطلع الفجر٠٠ الأعداد مهولة نحو القصر وكأنها ثورة حقيقية٠٠ فرحب الأهالي بعدد مهول من الطلقات٠٠ وَقع الكثير موتى وكانت تلك المجزرة الأولى في قريتنا٠٠ الكَبير يقتل الأهالي٠٠ فر من فر٠٠ مات من مات٠٠ وصرخ من صرخ٠٠ كطفل صغير لم ير من الواقعة إلا قليلًا٠٠ لكن بداخلي نبت كُرهي الأكبر لرأفت العلايلي٠٠ كَبير القرية وقاتلها٠ ٠

بعدما كَبرت وأصبحت شابًا ومرّ على المجزرة سبعة أعوام٠٠ في تلك الأثناء وفي تلك المرحلة الصغيرة من عمري كُنت أجلس يومًا بعد يوم أنظر إلى القصر٠٠ حالمًا بأنه سيكون ملكي يومًا ما٠٠ سأكون كَبير تلك القرية يومًا٠٠ ستكون عائلتي وسأنشئ بينهم الحُب المتبادل٠٠ فهم أشخاص لا تعوض٠ ٠

بدأ كُرهي لرأفت يكبر٠٠ لقد قتل الكثير من رجال حارتنا٠٠ يتّم العديد من الأطفال وأنا منهم٠٠ أقسمت القرية على الانتقام من رأفت العلايلي وأنهم سيمثلون بجثته يومًا ما٠٠ وفي يومٍ ما أثناء جلوسي بمقهى ٠(٠السعادة٠)٠ بحارتنا٠٠ المقهى الوحيد بها٠٠ غير مُنشغل بهمومي قدر ما كُنت منشغلًا بشهوتي٠٠ أنظر إلى مؤخرات فتيات القرية٠٠ وعندما أجد شخص يجلس مثلي وينظر نفس النظرات٠٠ أضربه وأشهر به في القرية كُلها٠٠ أنا أفعل هذا لكن غيري لا٠!٠

كان أهل القرية يحبونني٠٠ لأني أشبه أبي٠٠ شهم وشجاع ولا

أخشى الظلم أبدًا٠٠ كانوا يرون أنني سأكون مُخلصًا للظلم الذي تناوب على القرية٠٠ لم يعرف أحد أبدًا مخططي للحياة٠٠ كُنت ذلك الفتى الصامت الذي لا يتحدث إلا قليلًا٠٠ قلما يبتسم وقلما ينظر إلى فتاة في عينيها٠٠ القرية كانت تعرفني٠٠ كبيرها قبل صغيرها٠ .٠

لم يتجول رأفت في القرية مُنذ أن حدثت المجزرة الأولى بسبب خوفه من الأهالي٠٠ فإن رآه أحد سيقتله بلا شك٠٠ لقد قَتل معظم شباب القرية والآباء٠٠ توعد الكثير من الناس قتله لكن لم يفلح أحد٠٠ فلمّا نزل كان معه العديد من الحُراس مُمسكين أسلحة حديثة لم ترى القرية مثلها قط٠٠ لكن في تلك الليلة حَدث ما لم يتوقعه أحد٠٠ لقد نَزل رأفت العلايلي إلى القرية فقط ليرى شخصًا واحدًا٠٠شخص يُدعى سعيد العراقي٠!٠

انطلقت نحو بيتي فوجدته جالسًا على الأريكة٠٠ سألت نفسي كيف دخل إلى المنزل٠؟٠ لكنه لا يحتاج إلى إجابة فهذا الشخص يقوى على فعل أي شيء٠٠ كان يظن أنني سأرتجف خوفًا٠٠ لكني كُنت باردًا للغاية لم يرف لي جُفن٠٠ مما جعله يبتسم٠٠ كان وجهه مُخيف٠٠ كبيرًا بالسن٠٠ رأسه صلعاء تمامًا٠٠ عيناه ثاقبة ولا يَرمش إلا قليلًا٠٠ أشار لحراسه٠٠ نسيت أن أخبرك أنه لم يكن وحده بل كان معه قرابة عشرين حارس بالخارج واثنين معه بالداخل٠٠ أشار لهم كي يخرجوا حتى يستطيع التحدث معي٠٠ وبالفعل نهض ليتحدث بلهجة ساخرة٠:٠

٠-٠٠-٠سعيد العراقي٠٠ لن أنكر هذا٠٠ شخصيتك تعجبني٠-٠ .٠

لم أتحرك٠٠ ظللت مُنتظرًا كلماته التي جاء بها من أجلي٠:٠

-----لكنك تمتاز ببعض الوقاحة.. وهذا ما لا يعجبني.. لقد دخلت إلى بيتك ولم تدعني حتى إلى الجلوس يا رجل!..--

ابتسمت وتحدثت ببرود شديد ناظرًا إلى عينيه:.

-----لم يُعلمني أحد كيف أكون مُحسنًا مع ضيفي--- ..

-----نعم.. نعم.. لقد مات أبوك.. تعازي الحارة--- ..

كان قدومه لي غامضًا.. حتى أنني لم أفهم لماذا لم يقتلني مُنذ أن كنت طفل.. تركني أكبر في القرية أخطط لقتله.. في حين أنه كان من الممكن أن يقتلني بسهولة شديدة.. استطرد:.

-----لقد أوضحت لك.. أنت تعجبني.. إنني أراك يومًا بعد يوم تكبر في القرية.. أرسل رجالي ليطمئنوا عليك دون أن تشعر.. طالما أحببت أبيك يا سعيد.. لكنه كان غبيًا.. غبيًا للغاية--- ..

أخذ نفسًا.. وضع قدمه على القدم الأخرى..وأردف:.

-----أنا أحببته.. وأحببتك أنت أيضًا لأنك تشبهه كثيرًا.. يا سعيد أبيك لم يكن بذلك السوء.. لكنه أخطأ مرارًا.. ولأني أحببته غفرت له.. لكن في النهاية وجدت منه الأسوأ.. فوجب عليه دفع ثمن أخطاءه.. هل أنا مصيب.؟--

أومأت برأسي..وقاطعته قائلًا بعدما اقتربت منه وتحدثت بصوت منخفض:.

-----لكن معذرةً يا سيد رأفت.. أنت تعلم أني أكرهك أليس كذلك.؟ وتعلم أيضًا أنني من الممكن وبكل سهولة قتلك الآن..

هل أنا مصيب؟!..

ابتسم بطريقة مُريبة.. ثم أخبرني:.

.....هل سمعت يومًا عن المجزرة التي حدثت بالقرية يوم قتل أبيك؟!..

.....نعم... .

.....بالتأكيد تعرف أنني إذا خرجت من هذا المكان الآن سيتم قتلي لأن القرية تمقتني بشدة.. هل أنا مصيب؟!..

أومأت برأسي وبدأت أشعر بقلقٍ مُخيف:.

.....لكني لن أموت.. أتعلم لماذا؟! لأن هناك بالخارج قرابة عشرين شخص يحرسني.. وإن حدث ووجدت أهلالقرية تخلصوا منهم جميعًا.. وإن قتلتني.. سيأتي ابني .(حسن). ويقضي على الجميع.. هل أنا مصيب؟!..

كان لـ.(رأفت).. ابن يُدعى .(حسن العلايلي).. وفي الحقيقة لم يره أحد من أهل القرية أبدًا لأنه يعيش في الصعيد.. واحد من أكبر تُجار السلاح هُناك.. كان رأفت يقول دومًا أن ابنه أقوى منه وأشجع منه كثيرًا.. لم يعرفه أحد وكان الكثير يخاف من .(حسن). بمجرد سماع ذكره.. نهض .(رأفت). من موضعه.. مُتبسمًا يُعدل سترته:.

.....لذلك فأنت ستخرج معي الآن وتُنير قصري العتيق.. أود أن تلهو قليلًا... .

فرقع ٠(٠رأفت٠)٠ بإصبعه وأطلق صفير صوته عال٠،٠ دخل أحد الـحُراس المـنزل وأخـذني من يـدي٠،٠ لم أصـرخ٠،٠ لـم أشـعر بالفزع٠،٠ بل في الحقيقة أنني أقترب من الحلم٠،٠ أن أكون كبيرًا للقرية٠،٠أن أكون تاجرًا للسلاح بدلًا من رأفت٠،٠أن أقتل رأفت بيدي٠ ٠.

٠-٠-٠-٠ستصعد إلى القصر٠،٠ ستبتسم لأنك لم ولن ترى في تلك الدنيا جمالًا مثله٠،٠ الحياة تُلوح لك يا سعيد٠-٠ ٠.

.*. .*. .*.

تـوقف عُمـر عـن القـراءة٠،٠ لـيس لانشـغاله بـالتفكير٠،٠ أو حتـى شـعوره بالغضـب٠،٠ بـل لأنـه رأى أجمـل مـا يسـتطيع العاشـق أن يراه٠،٠ وَجد أمامه ٠(٠شهد٠)٠،٠ بوجهها الخامل كمِشكاة٠،٠ الكئيب كسواد الليل٠،٠ الهادئ كأمواج مُتمايلة٠ ٠.

شعر وكأن هُناك موسيقى احتلت هذه الرؤية٠،٠ موسيقى جميلة جعلت روحه تتناغم وتتراقص٠،٠ اقشعر بدنه من فرط سعادته لمّا رآها٠،٠ وكأن الله أرسلها له٠،٠ ليبتسم من قلبه للمرة الأولى في حياته٠ ٠.

توقفت ٠(٠شهد٠)٠ بنظرة مُنكسرة٠،٠ حزينة٠،٠ وتركت له ورقة أمامـه٠،٠ فـأخرج هـو الآخـر ورقتـه التـي كتـب فيـها خِطابـه فأخـذتها٠،٠ أمـا هـو فلـم يأخـذ الورقـة وظـل يتـأمل وجـهها ونظراتـها٠،٠ حركات عينيه اويديها المُتوترة٠،٠ ابتسامتها التي تُحـاول جاهـدة أن تخفيـها٠،٠ لقـد كـان علـى علـم عتـيق بـأن ٠(٠شـهد٠)٠ وراءهـا سـر يقسـم ظـهرها نصـفين٠،٠ حملٌ يعيق

شبابها٠، ويجيز شيخوختها٠ .

أصبح لا يرى سواها٠، البشر يسيرون خلفها لكنه لا يرى سوى وجهها٠، وبدون إنذار٠، نظرت لعينيه٠، للمرة الأولى٠، وكأن روحه لم تَكن موجودة أبدًا٠، وكأنه وُجد في هذه الدُنيا تلك اللحظة فقط٠!

تأملت ملامحه٠، فوجدته مُنهكًا٠، مَكسور النفس ٠، لكن عيناه لا تخلو من الروح التي اعتاد أن يكون عليها٠، روحٌ لم تفهم هي معناها وحقيقة أمرها٠ .

لم تكن تعرف أي شيء عنه٠، وهو كذلك٠ .٠ .٠ جلّ ما يعرفه عنها أنه أحبها٠، وهي كذلك٠!

-٠-٠-٠أنا أود الحديث٠، أود سماع صوتك٠، ليس عدلًاأن نرى بعضنا دون حديث٠!-٠-

ابتسمت فشعر أن كلامه قد أحدث نتيجة معها٠، وشعر شعورًا آخر٠، أنها ابتسمت لأجل سماع صوته للمرة الأولى٠، لكنها نظرت إلى الأرض واستدارت عائدة لمنزلها٠، لكنه أوقفها بكلامه٠:

-٠-٠-٠هذا ليس عدلًا٠، أن أتحدث وتسمعينني وأنتِ لا تتحدثين٠!
-٠-

لم يكن على علم بأنها تحدثت كثيرًا٠، فنظره لعينيها هذا حديث٠، توقفت بمجرد سماعها لكلامه٠، نظرت له بابتسامة٠:

-٠-٠-٠وكأنك تتحدث لتسمعني يا ٠(عُمر٠)٠!-٠-

نسي عُمر كُل همومه.. لوهلة بدأ يتناسى الحِمل والصعوبات التي عُلقت بها حياته.. شرّد في صوتها.. شاعرًا بدفء خفيف يدنو من قلبه.. ابتسم عُمر.. فوجدها تبتعد عنه بهدوء..طاقت روحه لندائها كأنها أمنية يصعب تمنيها.. ..

جلس مُستريحًا في مقعده رغم آلام قدمه القاسية.. يراها وكأنها روحٌ تتمايل في ملكوت الله.. وَسط الحشد تختفي لكن قلبه يُميزها بين القلوب.. ثم سرعان ما تهاوت الذكريات والأحمال على عقله المُشتت كأوراق لعب تطاير مع الرياح.. ..

نظر لورقة شهد.. أمسكها ونظر لها طويلًا.. يتساءل بهدوء.. يداها كانت هُنا.. في هذا الموضع.. في داخل الورقة خطها.. سيقرأ كلامها بعد انقطاع أخيرًا.. فتح الورقة بهدوء وبدأ يقرأ بتأني.. ..

..عُمر..

كأن نظراتك تُخبرني بأنك تعلم.. تعلم ما أمر به وما أشعر به يومًا يليه يومًا.. ..

أنا لست كالفتيات يا عُمر.. أنا لم أُربى كفتاة يومًا..صدقني يا عُمر فأنا لا أعرف إحساس أن أكون فتاة حقيقية كما يتحدث أهل القرية.. سَمعت بعض الأقاويل في قريتنا تقول أن أبيك سيعود وسينتقم لأهل القرية عما حدث بها.. وعما فعلوه به.. أتمنى أن يعود يا عُمر لكي أرى السعادة في عينيك.. فمُنذ أن رأيتك وعيناك لا تقول سوى الحُزن علما مضى.. والخوف مما هو قادم.. ..

على الأقل أنت تعرف أبيك٠٠ تعرف ما اسمه وتعرف ماضيه٠٠ أما أنا فأبي مجهول لا أعرف غير اسمه ولا تُريد أمي إخباري عنه أي شيء٠٠ حتى لا أعرف أين هو الآن٠!

كُن حذرًا يا عُمر٠٠ وحاول أن تكون سعيدًا في الفترة القادمة٠ .

وأعدك أننا سنتحدث طويلًا في المرة القادمة٠ .

شهد السخاوي٠٠- .

وَد أن ينهض٠٠ أن يركض ويخبرها أنه يحبها ولا يستطع العيش بدونها٠٠ يود العيش معها حتى وإن كانت لا تتحدث كثيرًا٠٠ لا تنظر له ولا تخبره أنها تحبه٠٠ فيكفي أن يجلس أمامها مُتأنيًا في نظراته لها٠٠ مُبتسمًا والدُنيا لا تسع سعادته٠ .

ولمّا انتهى من تفكيره فيها٠٠ جاءه طفل يُخبره أن الشيخ جمال يُريده بالمسجد٠٠ يُريد الحديث معه٠٠ فذهب عُمر ببطء شديد بسبب قدمه٠٠ فوجد أهل القرية ينظرون له نظرات شفقة وحُزن٠٠ لكن لا يقوى أحدٌ منهم على الحديث معه خوفًا من سالم كبير القرية٠٠ كان على علم بأنهم خائفون٠٠ مذعورون٠٠ المُصيبة الكُبرى التي تُثقل بدنه أنه كان خائفًا أيضًا٠ .

وَصل المسجد فوجد الشيخ يُرتل القرآن بصوته الجهوري٠٠ عندما رأى عُمر توقف عن القراءة ونظر له مُبتسمًا٠:

٠-٠٠-لأي جُزء وصلت بالمذكرات٠؟!٠-٠

حاول الجُلوس على رُكبته لكنها كانت تؤلمه إثر الضربة٠٠ فظل

واقفًا:.

.....رأفت كبير القرية أخذ أبي للقصر... .

أخذ الشيخ نفسًا عميقًا وطأطأ رأسه:.

.....يبدو أنك تقرأ بتمهل يا عُمر.. وهذا غير محبوب على الإطلاق في هذا الوقت العصيب... .

.....أنا لا أقرا بتمهل يا شيخ..أنا فقط أود أن أفهم!...

.....تود أن تفهم أم تود أن ترى أباك.؟!...

صمت مُفكرًا قليلًا.. ثم رد ناظرًا للأرض:.

.....الاثنين معًا.. لكن لا يوجد وقت كافي... .

.....أنت خائف يا عُمر.. تخشى الكَبير ولا تخشى المولى.. أبيك لن يعود لأنه ود العودة.. لا يا بُني... .

ونظر إلى سقف المسجد بخشوع:.

.....لأن الله ود ذلك..أن يُخلص قريتنا من البلاء... .

.....ولِمَ لم يعد مُنذ أن وُلدت.؟. تزوج وألقيت في تلك الدُنيا دون رب يُربيني.. أوأم تؤنسني وحدتي.. وُلدت فقط وأنا أستمع أقاويل القرية؛ سعيد العراقي خلصنا من الظلم.. سعيد العراقي كان كبيرنا والآن لا يعلم أحد أين هو.. فلماذا لم يعد!...

كان يقولها بعصبية لم يرها الشيخ في عينيه قط.. فابتسم وتحدث بهدوئه ورصانته المعهود:.

٠-٠-٠-٠وكأنك شربت كؤوس الظلم يا بُني٠٠ كأنك عاصرت عصور الظلمات كما عاصرناها وهُددت حيواتنا بالموت٠-٠ ٠.

نهض الشيخ مُستندًا على عصاه٠:٠

٠-٠-٠-٠أنت لم تر شيئًا يا عُمر٠٠ كُل هذه مُجرد ترهات وتفاهات٠-٠ ٠.

اقترب عُمر منه متوسلًا بعدما فقد عصبيته احترامًا للشيخ٠:٠

٠-٠-٠-٠طيب ألا تمتلك أي صورة له٠؟٠ لقد قُلت لي كثيرًا أنه صديقك المقرب٠٠ لم يعطك أي صورة له٠؟٠-٠

تحرك الشيخ وابتعد عن عُمر٠٠ خرج من المسجد بخطوات متباطئة٠٠ثم نظر له مُبتسمًا٠:٠

٠-٠-٠-٠هُناك صورة واحدة فقط في القرية٠٠ ولا أحد يعلم مكانها٠٠ حتى أنا٠-٠ ٠.

.*. .*. .*.

## (٥)

من مُذكرات سعيد العراقي٠:٠

ما كشفته الدنيا لي يا بُني أنه لا يوجد شُجعان٠٠ فجميعنا يخاف٠٠ من يخاف الموت٠٠ يخاف الفقر٠٠ يخاف الجوع٠٠ كُلنا نخاف حتى من أنفسنا في بعض الأحيان٠ ٠.

وفي تلك الليلة التي صعدت فيها القصر مع ٠(٠رأفت العلايلي٠)٠٠ لم أكن خائفًا من أي شيء٠٠ بالرغم من وجود أسئلة بعقلي٠٠ هل جعلني أصعد معه ليتخلص مني٠؟٠ هذا الرجل قتل كُل كِبار القرية يومًا ولم يخش أحد٠٠ هل سيقتلني ويجعلني عبرة لمن لا يعتبر٠؟٠ في الحقيقة لم تكن تلك الأسئلة تشغل عقلي٠٠ كُل ما كان يشغل عقلي هو أن أتخلص منه٠٠ أشعر بالسلطة والإمارة ليوم واحد في حياتي٠ .٠

أنت يا بُني تشعر بأني مماطل٠٠ أتحدث بلا هوادة٠٠ وأكتب قبل أن يجف حبر قلمي٠٠ لكني أود أن أنقل لك شعوري وقتها٠٠ شاب في مُقتبل العُمر أُغرقت حياته بمحافل الدماء٠٠ وعجوز يُحاول الوصول لعدالة سماء غاضبة٠ .٠

جلس رأفت٠٠ وكأني بداخل قصة من قصص ألف ليلة٠٠ حوله الرجال٠٠ ونساء يرتدين كالعاهرات٠٠ ثم أدركت أنهن عاهرات٠٠ وقفت أمامه بهدوء وخشوع٠٠ فتحدث٠:٠

٠-٠-٠-ستعمل عندي٠٠ ستكون ذراعي الأيمن وستشكر فضلي عليك٠-٠ .٠

طبعًا أنت تتساءل٠٠ ما الذي يجعل شخص مثله٠٠ بجبروته وقوته٠٠ يُجبر شخص ضعيف مثلي للعمل عنده٠؟!٠ وهو يعلم تمام العلم أنني بإمكاني قتله في أي لحظة٠٠ سألته نفس سؤالك٠٠ وابتسم قائلًا٠:٠

٠-٠-٠-حقيقي٠٠أنت بإمكانك قتلي٠٠ لكن عيناك تلمع بحُب السلطة٠٠ وأنا سأعطيك هذا٠٠ سأعطيك كُل شيء تشتهيه٠٠

مُقابل أن تكون واحد من أتباعي٠٠ ولن تكون حاسد ولا طامع٠٠ لن تنظر لما في يدي غيرك٠٠ وستشكرني على نعمتي٠٠٠ ٠.

الخـوف اجتـاحني٠٠ لا أعلـم لماذا٠٠ لكن هـل أنـا غبـي لتلـك الـدرجة٠؟٠ أن ينكشـف مُخططـي قبـل حتى الشروع فـي البدء فيـه٠؟٠ ابتسـمت٠٠ ثـم تـدريجيًا٠٠ وبمرور الأعوام٠٠ أصبحت واحدًا من آل العلايلي٠ ٠.

القرية تَكبر وأهلها يتكاثرون٠٠ الناس تعرفني وتسمع عني خير سماع٠٠ ورأفت يبتسم كُلما قدمت لرؤيته٠٠ يشعر بأني واحد من أهله حقًا٠٠ ولن أكون كاذبًا٠٠ ففي بعض الأحيان شعرت بأني واحد منهم٠ ٠.

حينما جاءني حلم٠٠ حلم غريب فيه أبي المقتول غدرًا٠٠ ينظر لي مُمسكًا سكينًا مُمتلئ بالدماء٠٠ ويقول بصوت أيقظني من غياهب النوم٠٠:٠٠لا تعبث مع الغرباء٠٠٠ ٠.

وكأن أبي جاء ليوقظني من نومي٠٠ ومن أحلامي أيضًا!٠

أحلامي التي تسببت في تغيري٠٠ في شعوري بأني نقضت عهد ذاتـي لـذاتي٠٠ بـأني أصـبحت واحـدًا مـن أهـل رأفت٠٠ أعاشر العاهرات ولا أخاف الله٠٠ حلمي في الانتقام تدهور وعاد صغيرًا كما كان في بداية الأمر٠٠ فجاء أبي ليوقظني من غفلتي٠ ٠.

وفـي اليوم التـالي استيقظت٠٠ وحلم الانتقام استيقظ مُجددًا معي٠٠الانتقام وأن أصبح كبيرًا للقرية٠٠ وتاجرًا للسلاح٠!٠

.*. .*. .*.

انقطعت سُبل التركيز فور ما سَمع عُمر صوت طرق شديد على الباب في مُنتصف الليل.. لم تكن تلك طريقة طرق الشيخ.. أو أحد من أصدقاء القرية.. بدأ القلق يَضرب نبضات قلبه.. والقشعريرة تسير في بدنه دون هوادة.. وَقف وألم قدمه لا يفارقه.. ثم توجه لفتح باب المنزل.. وكما توقع.. وجد أشخاص لم يتعرف ناظريه عليهم.. ملابسهم غريبة.. وملامحهم مُريبة.. .

وَقف عُمر ببلاهة واضحة.. فوجد واحدًا منهم يقول بصوت أجش أثار الرعب في روحه..:

-..-..أنت ابن سعيد..؟-..

أخذ نفسًا عميقًا.. وللحظة أيقن أن حياته تحولت لجحيم مؤبد بسبب عودة أبيه.. أيقن أن هُناك العديد من الأسرار التي لا يعرف عنها شيء ولن يعرف إلا بعودته السالمة.. علم تمام العلم أن حياته لن تعود أبدًا كما كانت.. بسبب أبيه.. سعيد العراقي.. .

-..-..نعم أنا ابنه-.. .

ابتسم واحد من الواقفين.. ابتسامة راضية مرضية.. توجس قلب عُمر فتساءل من هؤلاء..؟ وما الذي يريدونه منه..؟!.. فأتاه الرد مُسرعًا كضربة في مَقتل..:

-..-..مُبارك لك.. لقد جئنا لك لنأخذك لأبيك.. هو في انتظارك الآن-.. .

.*. .*. .*.

# الفصل الثاني:: ..(..في انتظار المُخلِص..).

## (١)

بدا له وكأن ما يحدث مألوفًا.. ..

لا يعرف أين يسير..، فقد عصبوا عينيه كي لا يرى موضع أبيه..، يشعر بأن هُناك ثلاثة أشخاص خلفه فصوت أقدامهم واضح..، أدخلوه إلى مكان غريب في أرض غريبة..،أزالوا عصابته..، فوجد نفسه في ردهة طويلة خالية من أي شيء يُذكر..، شكّ عُمر في رؤيته لأبيه الليلة..، وكأنها لعبة تُدار عليه..، لكن مِن ناحية مَن..؟..!..

دخل عُمر في واحدة من الغرف في الردهة الطويلة..، فوجد رجلٌ أشيب الشعر..،سمين وقصير للغاية..، يرتدي نظارة للرؤية بوضوح تجعله يُشبه مُحققين الشُرطة..، مُرتديًا جلباب أسود..، وجهه فيه من الطيبة مقدار كبير..، لكن..، وعلى ما يظن عُمر..، هو عكس ذلك على الإطلاق..، يجلس ذلك الرجل على مقعد مُتحرك نظرًا لشلل لحق به مُنذ سنوات عدة.. ..

بدأ عُمر ينظر حول هذا الرجل فوجد ..(..سالم..)..، كبير القرية يقف خلفه وكأنه حارسه الشخصي..، ثموجد الرجل يتحدث..:..

..-..-..في البدء أود الاعتذار لك عن الطريقة التي أخذوك بها رجالي..، والكذب بأنك أتيت هُنا لتقابل أبيك..، لكن في الحقيقة أنت أتيت لتراني..-.. ..

شعر بالغفلة والخمول.. لا يعلم لماذا الصداع افترس رأسه بنهم.. استطرد الرجل حديثه:.

-...-أحب أن أعرفك بنفسي..أنا اسمي حسن العلايلي-.. .

هُنا استفاق من غفلته وتغاضى عنه خموله.. .(.حسن العلايلي.)!.

تردد الاسم برأسه كثيرًا.. حسن العلايلي هو الابن الشرعي لرأفت العلايلي.. رأفت كَبير القرية الذي كتب عنه أبيه في المذكرات!.. انتعشت ذاكرته وأصغى أذنيه ليسمع ما بقي من الحديث:.

-...-حسن العلايلي هو كَبير تلك القرية.. نعم أنا أتحدث عن نفسي.. أما سالم – مُشيرًا له – فهو يُنفذ أوامري ويسير حسب مُخططي.. سالم هو ابني إن لم يكن عندك عِلم-.. .

الغرفة أوحت بالرعب.. جو هادئ للغاية وأضواء هادئة.. أُنبأت بجرائم عِدة حدثت في هذا الموضع.. لكنه لم يخف ولم يصدر أي تعبير عن الرعب.. فاستطرد حديثه:.

-...-أنا لست بأبيك.. لكني صديق مُميز لأبيك الراحل.. في تلك القرية بأسرها لم ير أبيك إلا اثنين..أناوالشيخ جمال.. بالرغم أني لم أر جمال إلا الفترة الماضية فقط.. باقي من رأى أبيك في القرية إما قُتل..أو اختاره الله فمات-.. .

تحرك سالم بعد إشارة من أبيه حسن.. دفع المقعد ثم خرجا خارج الغرفة تمامًا.. فخرج خلفهما عُمر:.

٠-٠-٠-٠أنت لست في القرية٠،٠الآن أنت في قصري٠،٠ وسأريك الآن شيئًا لم تحلم أن تراه في منامك٠-٠-٠.

عادوا جميعًا إلى الردهة المُظلمة٠،٠ ولما فرقع حسن بإصبعه٠،٠ أُضيئت الأنوار فرأى عُمر شيئًا أثار الإبهار في وجدانه٠:٠

٠-٠-٠-٠أنت الآن في المخبأ السري للقصر٠-٠-٠.

وابتسم حسن بعدما رأى رد فعل عُمر٠،٠ لم تكن ردهة فارغة بالكلية٠،٠ بل كانت ردهة مليئة بالأسلحة والذخيرة٠،٠ والأموال أيضًا!٠،٠ الرُدهة مُقسمة٠،٠ الجزء الأيمن بأكمله عبارة عن أسلحة بمختلف أنواعها٠،٠ والأيسر أموال بالعملة المصرية والأجنبية ٠(٠الدولار٠)٠،٠ سار عُمر في الردهة مُنبهرًا من روعة ما رآه٠،٠ وفي اللحظة التالية شعر بمدى احتقاره لذاته٠.٠

هل خُلق في تلك القرية ليعيش ويجني قوت يومه بنفسه٠؟!٠ لِمَ لا يكون مثلهم معه كُل تلك الأموال والذخيرة٠؟!٠ ستتلوث يده بالدماء قليلًا لكنه سينال راحة لن يراها٠،٠ ولا حتى في أحلامه٠؟ !٠.

وبمجرد أن سأل نفسه تلك الأسئلة شعر باحتقار أشد٠،٠ تنازل عن مبادئه٠،٠ وعن خوفه من الأذى٠،٠ تذكر حبيبته شهد٠،٠ التي طالما حلم أن يتزوجها بمجرد تقدمه في العُمر قليلًا٠،٠ لكن كيف سيتزوجها وهو حتى لا يملك منزل مُحترم ودخل ثابت يعوض شقاء حياته٠!٠

بدأت كفات العقل تتزن٠،٠ خوفه من المستقبل وحُزنه من الماضي٠،٠ وحُبه للحاضر٠!٠

بالرغم من فساد تفكيره هذا إلا أنه ود أن يكون مثلهم٠٠ معه الأموال والأحلام٠٠ كما حلم أبيه يومًا أن يكون مثلهم٠٠ فقاطعه حسن بسؤال كصاعقة في ليلة حارة٠:٠

٠٠٠٠٠لا أحد في تلك القرية لا يعرف قصة أبيك٠٠ لا أحد لا يعرف كم كان شُجاعًا في التغلب على الفساد في قريته٠٠ لقد كان شجاعًا بحق٠٠٠ ٠.

ثم أصدر ضحكة عجيبة تَدل على التناقض الشديد عما قاله٠٠ فأردف مُحاولًا تمالك ضحكاته٠:٠

٠٠٠٠٠الأموال تُغري يا بُني٠٠ الأموال أفضل من مليون عاهرة تتعرى أمامك من ملابسها قطعة وراء قطعة٠٠ فالأموال شيطان على هيئة أوراق٠٠٠ ٠.

نظر عُمر له٠٠ وكأنه يعلم ما يدور بخلده٠٠ لوهلة أحب مَنظر الأموال أمام عينيه٠٠ ومن لا يحب منظر كهذا٠؟!٠

٠٠٠٠٠بعد بضعة أعوام من الآن سيكون معك أموال كهذه٠٠ من الممكن أكثر٠٠ ومن الممكن أقل٠٠أنت وشطارتك٠!٠٠

اقترب ٠(٠حسن٠)٠ منه بعدما دفعه سالم الصامت تمامًا مُراقب للأجواء٠٠ نظر حسن لعيني عُمر٠٠ ثم ابتسم بهدوء جمّ٠:٠

٠٠٠٠٠الآن خُذ قرارك٠٠ مُستقبلك لن يكون سعيدًا وأنت تعمل في بقالة مثل تلك٠٠ وبالتأكيد لن يكون أكثر تعاسة من أن تتزوج بفتاة تُحبها ولا تستطع شراء لها ما ترغب٠٠٠ ٠.

نظر عُمر وهو يشعر ببعض الخُبث في كلام حسن٠٠ لكن إحساسه تأكد٠:٠

٠-٠-٠-٠على الأقل لتتحدث معها على راحتك في شقتكما٠٠ دون أوراق ونظرات وكلام فارغ-٠-٠ ٠.

لم يعط لـ٠(٠عُمر٠)٠ مُهلة للرد٠٠ استدار سالم بأبيه عائدًا للقصر٠٠ ثم توقف فجأة٠:٠

٠-٠-٠-٠غدًا سننتظر الرد يا بُني-٠-٠ ٠.

أخذه واحد من الرجال٠٠ وصعد به للخارج تمامًا بعدما عصب عينيه مُجددًا٠٠ لا يعلم ما أهمية إغماء عينه فهو يعرف أين مكانه٠٠ لكن لا يهم الآن٠٠ ما هو مُهم هو تهديده الواضح والصريح عن شهد٠٠ ما الذي سيلحق بها إذا لم يقبل عُمر العمل مع حسن العلايلي٠؟!٠ إذا عمل عنده ستتلطخ يده بالدماء٠٠ لن يستطع النوم لأنه قتل أحدهم دون أسباب تُذكر٠ ٠.

ابتسم دون دراية منه لمّا تذكر الأموال التي رآها٠٠ لقد أغواه المنظر٠٠ أغواه الشيطان٠ ٠.

وفي منتصف القرية تركه الرجل بعدما أزال الغشاوة عن عينيه٠٠ وجد العديد من الأهالي يقفون حوله٠٠ يَضربون يدًا على يد حسرة على هذا الشاب٠٠ ثم سمع صوت شخص ما وسط الحشد٠:٠

٠-٠-٠-٠سعيد سيعود٠٠ سيعود-٠-٠ ٠.

فسار حتى وصل إلى منزل الشيخ٠٠ وفي رأسه تجول الخواطر

والأماني٠٠ والأسئلة أيضًا٠٠ أسئلة لم يفكر في إجابتها أبدًا٠٠ هل إذا أصبح من أكابر القرية٠٠ واحد من أغنيائها٠٠ ستتغير طباعه مع الأهالي٠؟!٠ أم سيصبح بطلًا عظيم الشأن كأبيه٠؟٠

قلبه لم يطاوعه٠٠ عقله يتأرجح بين مسائل لا حلول لها٠٠ طرق باب منزل الشيخ فوجده مفتوحًا كما هي عادته أن يترك باب منزله مفتوحًا٠٠ بمجرد دخول عُمر إلى المنزل وجد حركة غريبة لم يعتدها في بيت الشيخ٠٠ وصوت أنثوي يتحدث معه بصوت خفيض٠٠ دون أي خُبث من عُمر في أن يتجسس ويسترق السمع٠٠ دخل إلى الصالة ليجد جمال جالسًا مع امرأة في العقد الخامس من عُمرها تقريبًا٠٠ وبمجرد دخول عُمر إليهما ارتبكت السيدة ثم ابتسم الشيخ٠٠ وقال بصوت عال٠:٠

٠---٠طيب٠٠ من الممكن أن تذهبي الآن وبإذن الله ستُحل مشكلتك في القريب العاجل٠--٠

ابتسمت السيدة٠٠ ثم نظرت لعمر لثوان معدودة وخرجت من المنزل٠٠ جلس عُمر بجوار الشيخ٠٠ فوجده مُتعبًا ومرهقًا٠٠ ابتسم لكي لا يظهر تعبه وسأل عُمر٠:٠

٠---٠أين كُنت٠؟٠ ذهبت لبيتك ولم تكن هُناك٠!٠--٠

ضحك عُمر بسخرية٠:٠

٠---٠قُل لي يا رجل يا طيب٠٠ من تلك السيدة وما الذي تفعله عندك ليلًا٠؟!٠ ألم تكبر على هذا أيها الشيخ المُهذب٠!٠--٠

فضحك الشيخ بصوت عال٠٠ ضحكة لم يسمع عُمر مثلها من

الشيخ قط مما أثار ريبته٠،٠ فابتسم مُجاملًا فأردف الشيخ٠:٠

٠-٠-٠-٠إنها مُجرد سيدة تأتي لتُنظف المَنزل بدلًا مني٠،٠ أخبرني أيضًا أين كُنت٠؟!٠-٠

توتر عُمر وشعر بخوف من رد فعل الشيخ جمال٠،٠ لكنه قال مُطرقًا رأسه إلى الأرض٠:٠

٠-٠-٠-٠لقد أخذوني إلى حسن العلايلي يا شيخ٠-٠ ٠.

لم يظهر أي تعبير على وجهه٠،٠ فاستطرد عُمر بقلق٠:٠

٠-٠-٠-٠أخذوني هُناك وطلبوا مني أن أعمل عِندهم٠،٠ مقابل أن أنال الكثير من الأموال و٠ ٠. ٠. ٠. ٠. ٠-٠ ٠.

قاطعه الشيخ بحدة٠:٠

٠-٠-٠-٠ألم تسأل نفسك يا غبي لماذا يريدونك أن تعمل معهم٠؟!٠ هل هم خائفون عليك لدرجة أن يعطوك الكثير من الأموال٠؟!٠-٠

صُدم من طريقة الشيخ٠،٠ فهو لم يحدثه هكذا قط٠:٠

٠-٠-٠-٠أبيك أثار الرعب في وجدانهم٠،٠ كان يُنيمهم في بيوتهم من المغرب٠،٠ يصيح فيهم فتبتل سراويلهم٠،٠ وإن عاد أبيك ووجدك تعمل وحدك دون مساعدة من أحد٠،٠ ووجدك فقيرًا دون أن يهديك أحد طعامًا أو شرابًا٠،٠ صدقني سينقلب على القرية أجمع٠،٠ العاطل بالباطل٠-٠ ٠.

لم يفهم مقصده٠،٠ فأوضح٠:٠

-----مقصدي بسيط.. يودونك أن تعمل معهم لتكون تحت أيديهم إن حدث وأبوك قرر الانقلاب عليهم.. فهم يعرفون أن عودة أبيك لن تكون بالشيء السهل عليهم وانتقامه لن يكون هينًا.. فإن فعل أي شيء سيهددونه بك.. وستنتهي أسطورة سعيد العراقي إلى الأبد لمجرد غلطة اقترفها ابنه--. .

وانكسرت الأحلام والأماني.. سلكت الأموال أسرع طريق للعودة كما جاءت.. سيظل في هذا البؤس والفقر حتى وإن مات الدهر.. فابتسم إلى الشيخ قائلًا:.

-----أنا أصلًا لم أفكر في أن أكون واحدًا منهم!--.

-----وهل أنا قُلت أنك تود أن تكون منهم!--.

-----كلامك يقول هذا يا شيخ!--.

-----إذًا فأنت وددت فعلًا أن تكون منهم لأنك ظننت أني أقول هذا!--.

-----لكني لن أبيع دم أبي بتلك السهولة-- .

-----أبوك لم يمت لكي تبيع دمه يا عُمر-- .

-----إذًا أين هو!؟. أين هو من تلك القرية؟!. أين هو من ابنه؟ --

احتد النقاش.. فهدأ الشيخ تمامًا.. عُرف في تلك القرية بهدوئه التام.. ثم أشار لقلب عُمر:.

-----أبوك يقطن هُنا.. والقلب هو الموطن الآمن الوحيد-- .

نهض جمال مبتعدًا٠٠ مُتكئ على عصاه القصيرة٠:٠

٠-٠-٠-٠تصبح على خير يا عُمر٠-٠ ٠.

دخل غُرفته وأغلق الباب٠٠ ظل عُمر جالسًا يُفكر في كلام شيخه الجليل٠٠ وعرف أنه على حق٠٠ خرج من المنزل بعدما تأكد من غلق الباب٠٠ ظل يسير حتى انتصف عليه الليل٠٠ وجد نفسه واقفًا تحت شُرفة شهد٠٠ التي طالما فكّر فيها وملأ قلبه الشجن لكي يراها معه٠٠ تسير في القرية دون أن يُحرجها أحد بكلمة٠٠ سيكون هو رجلها ولن يقوى فرد من القرية النظر إليها٠ ٠.

سيملك الكثير من الأموال لكي يسعدها٠٠ لكن كيف٠؟!٠ ومتى سيملكها٠؟٠٠ عقله رُبط بقلبه ولم يستطع حل الوِثاق بينهما٠٠ يُفكر في غدًا كثيرًا حتى نسي وجود اليوم٠ ٠.

وجدها تخرج في النافذة لثوان معدودات٠٠ وشعرها يتطاير في الهواء٠٠ للمرة الأولى التي يراها دون حجاب٠٠ وقفت على استحياء تشمّ الهواء النقي٠٠ ثم وجدته وسرعان ما دخلت وأغلقت النافذة تمامًا٠ ٠.

ابتسم عُمر وشعر بفحوة من السعادة ينتابه على حين غُرة٠٠ ابتسم من قلبه بعد يوم شاق ومُتعب٠٠ كانت جميلة بحق٠٠ شعرها أعطاها روحًا لم يرها عليها أبدًا٠٠ كان سعيدًا للغاية ليس لأنه رأى شعرها٠٠ بل لرؤيته إياها في ثياب وروح غير سوداء٠٠ سار حتى عاد لمنزله مُردِدًا بعقله أنه سيتزوجها يومًا ما٠٠ وسيراها في تلك الروح يومًا وراء الآخر٠ ٠.

.*. .*. .*.

# (٢)

من مُذكرات سعيد العراقي٠:٠

العالم غريب والناس أغرب٠،٠ يوم تكون سعيدًا٠،٠ في ذات اليوم تُصبح مُكتبًا٠،٠ يومًا تُفكر في الزواج واليوم الذي يليه تُفكر أن تظل كما أنت لأن الزواج حِملٌ ثقيل لا يقوى عليه إلا الأقوياء٠،٠ هل العالم غريب أم نحن الغُرباء يا بُني٠؟٠!٠

في الحقيقة أننا نحن الغرباء٠،٠ العالم يُعطينا حقوقنا ومقدارنا من الآلام والأنّات٠،٠ يضعنا في مُنتصف اختبارات وأحمال ثقيلة لا يقوى عليها إلا أصحاب الإيمان٠ ٠.

بعد تلك المُقدمة الطويلة ومحاولتي لشرح لك ما سيحدث٠،٠ أتحدث عن تلك الليلة التي أصبحت فيها ٠(٠سعيد العراقي٠)٠،٠ الذي يهابه الجميع ويحترمه الفقير قبل الغني٠،٠ سؤال طال انتظارك لأجيب عليه٠،٠ لكنه في الحقيقة ليس سؤال هين كما ترى وكما تقرأ في تلك الأوراق مُهترئة الخط٠ ٠.

الأهالي غاضبة٠،٠ ساخطة من هذا الحُكم المُتسلط في القرية٠،٠ الأهالي كُلها تُحب ٠(٠سعيد العراقي٠)٠ لأنه يوفر احتياجاتهم٠،٠ لا يظلم واحدًا منها٠،٠ ليس كسائر العاملين بالقصر٠،٠ أو بمعنى أدق العاملين تحت رحمة رأفت العلايلي٠،٠ كبير القرية وتاجر السلاح العظيم٠ ٠.

في البدء لم يَكن هُناك خِطة٠،٠ لكن وبمجرد نزولي إلى الشوارع

لأسمع ما تقوله الأهالي٠٠ فعرفت سر خطير٠٠ يكاد أنيفتك بعائلة العلايلي بأكملها٠٠ وهو أن القرية كلها تود أن تقوم بإشعال نيران ثورة ضده مُجددًا٠٠ لكن تلك المرة باستعداد تام٠٠ مُسدسات و بنادق٠٠ الرجال على أهبة الاستعداد٠٠ وكذلك الأطفال٠!٠

كانت المسألة أكبر من أن تُشرح في سطور يا بُني٠٠ لكن صدقني القرية كُلها كانت تود الانتقام من هذا الرجل الذي قتل ونهب كُل ما بها٠٠ قتل كبارهم عندما ثاروا ضده لمجرد أنه قتل رجل فقير٠٠ عندما قتل أبي٠ ٠

عرفت هذا السر عن طريق طفل في بداية سن مراهقته٠٠ أخبرني بهدوء وعندما كان الكُل نيامًا٠:٠

٠-٠٠-٠يا عم سعيد٠٠ حاول أن تبتعد عن القرية تلك الفترة٠٠ أبي وجميع من في القرية سيثور ضد رأفت وتلك المرة لن تكون كأي مرة كما يقول أبي٠٠ لقد بلغتك الرسالة٠-٠ ٠

وذهب الطفل سريعًا وكأن أحدهم يراقبه٠٠ لكني شعرت بأن الفرصة تأتي وتقترب٠٠ في أن أحقق أحلامي٠٠ سواء أن أكون كبيرًا للقرية٠٠ أو أتخلص من رأفت٠٠ قاتل أبي٠ ٠

وذهبت للقصر كما هي عادتي٠٠ وفي الليل أذهب لعمليات بيع السلاح٠٠ وكانت تقريبًا أكبر عملية سلاح في حياتي كُلها٠٠ من كان يشتري الأسلحة من رأفت شخصية هامة في الشُرطة٠٠ حينها٠٠اسمه ٠(٠عامر خفاجي٠)٠٠ عامر كان رجلًا كبيرًا وله هيبته واحترامه٠٠ بالرغم من كونه فاسد إلا أن وجهه كان سَمِح

بطريقة تُثير الدهشة٠ ٠.

وبمجرد انتهاء العملية عَرفت شيئًا غاية في الأهمية٠٠ علاقة رأفت بالشرطة علاقة رائعة ولا يمسسها أي شيء٠٠ وهذا ما أثار خوفي٠٠ في أنيكون عامر هذا عامل في هدم مُخططي للحصول على مركز رأفت في تجارة السلاح٠ ٠.

ولمّا مر اليوم بكُل أفكاره٠٠ خرجت بفكرة واحدة وهو أن قتل رأفت العلايلي يجب أن يكون على يدي أنا فقط٠٠ حقنًا للدماء يجب أن أقتله قبل أن تقوم الثورة في القرية٠٠ وبدأت في الشروع بتنفيذ مخططي البسيط٠٠ سأخرج يومًا بعد يوم لأتناول كوب من الشاي مع حُراس غرفة رأفت٠٠ حتى لا يكون وجودي معهم في مُنتصف الليل غريبًا٠ ٠.

التزمت غرفتي بالقصر التي أعدها لي رأفت كمكافأة بسيطة لي٠٠ وبدأت فعلًا أخرج لأتناول الشاي معهم٠٠ أحيانًا قهوة٠٠ كان كُل من في القصر يعرفني٠٠ كُل من به حرفيًا حتى الخدامين والطباخين٠٠ لقد كان قصرًا كبيرًا فارغ٠٠ ليس به سوى شخص واحد وبعض العُمال٠٠ جلست معهم وبدأت أسمع منهم قصصهم٠٠ واحد منهم جاء من بلاد بعيدة في قلب الصعيد٠٠ بدأت أسمع قصته حتى مللت أذني من طريقة حديثه٠٠ لهجته كانت مُستفزة للغاية٠٠ لكن بالرغم من كُل هذا٠٠بكى في المُنتصف لأن ابنه توفي وهو صغير لأنه ليس معه أموال لعلاجه٠٠ فأقشعر بدني وشعرت بالعار من ذاتي٠ ٠.

وعندما استغرقت في الجلوس معهم وأصبح عادة يومية٠٠ سمعت أصوات من الخارج تشق سكون الليل٠:٠

٠-٠-٠-٠لقد أتى يومك يا ابن الزانية٠-٠ ٠

٠-٠-٠-٠سينتهي عهدك يا ابن الداعرة٠-٠ ٠

٠-٠-٠-٠الله أكبر٠، الله أكبر٠-٠ ٠

وأشياء تُقال من هذا القبيل٠، وسرعان ما يلحقها أصوات الرصاص تدوي في السماء٠، خرج حُراس الغرفة ومعهم أسلحتهم للدفاع عن القصر٠، أما أنا فكنت واقفًا أمام غُرفة ٠(٠رأفت٠)٠، وَحدي تمامًا ومُسدسي بيدي٠ ٠

لقد قامت الثورة٠، ثار الأهالي كُلهم ضد رأفت العلايلي٠، دخولهم القصر ما هي إلا مسألة وقت فقط٠، جاءني هاجس غريب بأني لن أموت الليلة٠، لن يقتلني الأهالي٠، هم يحبونني وأنا لم أفعل معهم شيء يثير غضبهم٠ ٠

أخذت نفسًا عميقًا٠، دخلت غُرفة رأفت فوجدته يقف في مُنتصف الغرفة٠، وأمامه أشبه ببوابة سرية لا يلمحها أي أحد٠، البوابة كانت مفتوحة ورأفت يستعد للدخول٠:٠

٠-٠-٠-٠تعال يا سعيد٠، تعال معي للمخبأ السري٠، لن يصل إلينا أحد٠-٠ ٠

كُنت خائفًا من قتلي٠، إذا نزلت معه هل سيقتلني٠؟!٠ بدأ زجاج الغرفة يتحطم من الرصاص٠، فوجدت صوته يعلو٠:٠

٠-٠-٠-٠يا سعيد٠، سنموت يا غبي٠-٠ ٠

اقتربت منه ونزلت إلى المخبأ مُسرعًا٠، كانت المرة الأولى لي

في هذا المكان٠٠ نزلنا عن طريق سلم حديدي رفيع٠٠ مكان ذو رُدهة طويلة٠٠ في الجانب الأيسر من الردهة أموال لم أحلم أن أرى في كثرتها طوال عُمري٠٠ والجانب الأيمن أسلحة بمُختلف الأنواع٠ ٠.

الغريب أنه في هذا المكان لا تسمع أي شيء من الخارج٠٠ لا أحد يستطع الوصول لك٠٠ وجدت رأفت يتقدم عني بخطوات٠:

٠---٠٠هُنا لن يستطع أحد الوصول لنا٠٠ نحن معزولان عن العالم تمامًا٠٠ طعامنا وشرابنا وكُل شيء هُنا ولن نخرج إلا عندما تنتهي تلك الفوضى٠-- ٠.

الأضواء كانت طفيفة٠٠ لا تُعمي الأبصار إذا نظرت لها مُباشرةً وأظن أنها حركة مقصودة٠٠ وجدت رأفت يقول بحماس٠:

٠---٠٠أنا فقط لا أعرف لِماذا فعلوا هذا٠؟٠ لقد أيقنت وعرفت أنهم أهل القرية لكن لماذا يودون قتلي بهذا الحد٠؟!٠ لقد كنت رحيم معهم٠٠ هل أنا مصيب٠؟٠-

ثم ضحك بشدة٠٠ فأخرجت مُسدسي من بنطالي بهدوء كي لا يسمع٠:

٠---٠٠لقد أخطأت في حقوقهم يا رأفت٠٠ ويجب أن تدفع الثمن لهم٠-- ٠.

٠---٠٠رأفت٠!٠!٠ مُنذ متى يـ٠ ٠. ٠-٠. ٠.

التفت لي ليجدني أصوب المُسدس ناحيته٠٠ فابتسم بخيبة أمل٠:

٠-٠-٠-٠لم أنس لوهلة أنك تود قتلي٠،٠ حاولت إزالة هذا الشعور بك لكنه لا يُزال٠-٠-٠ ٠.

٠-٠-٠-٠ولن تستطيع٠،٠ لقد قتلت أبي٠!٠ هل هذا شيء من السهل نسيانه٠؟٠!٠-٠

٠-٠-٠-٠لكنك نسيته لأيام٠،٠ أنت تعمل عندي مُنذ عام كامل٠،٠ أنت لم تكن تُخطط لقتلي مُنذ تلك الفترة٠،٠أناأعرفك٠-٠-٠ ٠.

ثم بدأ يخطو ناحيتي خطوات هادئة٠:٠

٠-٠-٠-٠ابتعد وإلا قتلتك٠-٠-٠ ٠.

٠-٠-٠-٠ستقتلني يا سعيد٠،٠أنا أعرف هذا٠،٠ لكنك تعرف أنك إن قتلتني لن ينسى ابني٠،٠ وسيأتي ليقتلك٠-٠-٠ ٠.

٠-٠-٠-٠على الأقل سنكون متساويين٠،٠أنت قتلت أبي٠،٠ وأنا قتلت أباه٠-٠-٠ ٠.

وضحكت بسخرية٠،٠ قلدت نبرة صوته٠:٠

٠-٠-٠-٠هل أنا مصيب٠؟٠!٠-٠

ابتسم٠،٠ ولفينة شعرت بأني مُخطئ٠،٠ لا يجب علي قتله٠،٠ يجب أن أجعله عِبرة لمن يظلم ويقتل دون حسبان٠،٠ وجدته يتحدث٠:٠

٠-٠-٠-٠أبوك ضاجع زوجتي٠،٠ لذلك قتلته٠-٠-٠ ٠.

صُدمت٠،٠ وازدادت ضربات قلبي بشدة٠،٠ لكني لم أصدقه٠:٠

ـ..ـ..ـألم تسأل نفسك يا سعيد أين زوجتي من كُل هذا؟!. لقد قتلتها بعد أن عرفت أنها خانتني مع أبيك.. طيب ألم تسأل نفسك أين أمك؟..ـ

لطمة شديدة القوة صفعتني على وجهي.. شعرت بالخوف وبدأت يدي تنزل لأسفل:.

ـ..ـ..ـلا تتحدث عن أمي بلسانك القذر يا ابن العاهرة..ـ ..

ابتسم بطريقة شيطانية.. ثم استطرد:.

ـ..ـ..ـأمك كانت عاهرة يا سعيد.. أمك لم تكن سوى عاهرة تُؤّجر بالساعة.. وقع أبوك بحبها مع الأسف.. ثم تزوجها.. تزوجها بالرغم من ماضيها الأسود وبعد أن أخبره الجميع حتى أنا أنها لا تُناسبه.. والعاهرة ستظل عاهرة أبدًا.. هذا عُرف والجميع يعرفه!.. بالفعل.. بعد أن تزوجها وعرفت أنها حبلى.. لم يستطع أبوكأن يصف مقدار سعادته.. وكُنت أنا أيضًا سعيدًا به.. لكن أمك لم تكن سعيدة على الإطلاق.. وبعد أن خرجت أنت يا سعيد إلى الدُنيا.. هربت أمك ولم يستطع أحد العثور عليها أبدًا.. قيل أنها عادت لمزاولة مهنتها في واحدة من القرى المجاورة.. لكن كُلها شائعات.. لكن الحقيقة.. أن أمك بعد أن وُلدِت.. أخذت نصف أموال أبيك وهربت بعيدًا..ـ ..

أخذ نفسًا عميقًا وأنا لا أزال في خِضم صدمة عظيمة:.

ـ..ـ..ـبعد مرور الوقت.. وبعد أن خف حُزن أبيك.. في العادة كان أبوك يسكن في واحدة من الغرف عندي بالقصر.. والغرفة

كانت بجوار غرفتي،، خرجت مع الرجال لعملية ولم يأت أبوك لادعائه أنه مريض،، وعندما عُدت وجدت أبيك قد غادر القصر،، وزوجتي في حالة غريبة،، تتقرب مني وتقبلني وهذا ليس من عادتها،، نِمت وعندما استيقظت،، وجدت واحدة من الخدم تُخبرني بأنها رأت أباك،، يدخل غُرفة زوجتي وأغلق الباب خلفه،،..

أطرق رأفت رأسه إلى الأرض،، ثم أردف،:

،،،،،هل هُناك تفسير ثاني غير ما فهمته،؟!، أن أباك قد نام مع زوجتي،، هل لا يستحق أبوك هذا العقاب الذي أقمته له!،،، يستحق،، حتى وفي قرارة نفسك أنت تعلم أنه يستحق،، وفي فجر اليوم،، ذهبت وقضيت على أبيك وهذا حقي التام،، أما زوجتي فجعلت واحد من رجالي يقتلها لأني لا أود أن أنظر لها بعد فعلتها،،..

أنزلت المُسدس تمامًا،، وكأني اتخذت قراري بأني لن أقتله،، لقد جعلني أرى الوجه المفقود من وجه أبي،، لقد كان خائن،؟!، ما الدافع وراء كُل هذا،؟!، كُل ما أنا فيه الآن بسبب خطيئة!،

،،،،أنا أعلم شعورك تمامًا،، ألم تسأل نفسك لماذا أخذتك للعمل عندي،؟!، لأن ليس لك أي ذنب فيما فعله أبوك،، ربيتك لأنك لم يكن لديك أحد،، وانتشلتك من الفقر،،الآن أنت تمد يدك لتقتلني،؟!،،

اقترب مني،، وأنا لم أستطع فعل أي شيء،، حتى لم أستطع أن أقول له توقف،، وأصوب المُسدس،، الصدمة داهمتني وكادت

أن تفتك بي،، لكني ابتسمت،، وأخبرته،:

،،---،،لكنك في النهاية قتلته،،أنت قتلت أبي---،، .

،،---،،لكنه كان يستحق القتل،، لقد خانني وأهان شرفي---،، .

،،---،،وأنت تستحق هذا،، لأنك قتلت الكثير من دون ذنب---،، .

،،---،،وأنت من لكي تقوم بدور القاضي وتحكم بقتلي،!---،،

شعرت بالقوة،، عدم الخوف من قتل إنسان للمرة الأولى،، لم أكن أعلم هل ما أفعله صحيح أم لا،، لكنه على الأقل سيريح ضميري،، إن كان أبي مُخطئف الأخرون من دافعوا عن قتل أبي لـم يكـونوا مُخطـئين،، ابتسمت،، وصـوبت المُسـدس ناحيـة قدمه،،:

،،---،،أنا واحد انتهى مُستقبله قبل أن يبدأ---،، .

وأطلقت المُسدس بقدمه فسقط وأخذ يتلوى على الأرض،، تأوه بشـدة وبـدأ يصـرخ،،---،،فلينجدني أحـدهم---،،، بـدأت أضـحك وبشدة،، اقتربت منه وصوبت المسدس ناحية رأسه،، فوجدته يضحك وهو على الأرض بالرغم من أن الرصاصة اخترقت قدمه والدماء شكّلت مسار،، ضحك بشدة بالرغم من الألم،، فدنوت منه وعلى وجهي ابتسامة مُرعبة،، .

،،---،،لا تعبث مع الغرباء،، أبدًا---،، .

وانطلقت الرصاصة تدق أول مسمار في نعش أخطائي،، مات رأفت العلايلي،، وانتهت صفحة من صفحات الظلم في القرية

إلى الأبد..!

.*. .*. .*.

## (٣)

الصدمة اجتاحت أطرافه.. احتبست أنفاسه ولم يقو على أن يُريح أعصابه من شدة عُنف ما قرأ.. لقد ارتكب أبيه خطيئة القتل للمرة الأولى.. ماذا كان شعوره حينها وهو يُطلق رصاصة لتخترق قلب شخص أيًا كانت أخطاؤه..؟..!

بدأت خلايا ..(عُمر). تفقد التركيز من قلة النوم.. نظر إلى الساعة فوجدها السادسة صباحًا ولم يُجافيه النوم.. ظل يُراقب حركة عقارب الساعة.. الوقت يَمر والقرار لم يؤخذ بعد.. الخوف من المستقبل وكُره الماضي يسيطران عليه بشدة.. هل سيمر الوقت ويظل كما هوأمسيصبح شخصًا آخر لم يَحلم يومًا أن يكون عليه..؟..!

الدماء تسيل في جنبات القرية.. مُنذ قديم الأزل والمظلومون يعيشون في قبورٍ ليس لها آخر.. قبور خلقها الظالمون في القرية.. ..(عُمر). كان خائفًا أن يكون مثلهم..أن يتلوّن بألوان عقائدهم. ..

سمع صوت دق على الباب فانتفض.. قبل أن يفتح أدرك أنه الشيخ جمال.. لأنه من يَمر عليه في هذا الوقت يومًا بعد يوم.. وعندما فَتح الباب واتته الصدمة.. لقد كانت شهد..!

شهد تقف أمام الباب.. مُرتدية جلبابها الأسود ووجهها يشع

حُب..وكآبة في الوقت ذاته!.. نظر عُمر خلفها ليطمئن أنه لا يراها أحد.. ابتسم لها بتوتر شديد وتحدث:.

---ما الذي تفعلينه هُنا يا شهد؟!. ماذا إن رآكِ أحد؟!---

ابتسمت..فابتسم.. ونسي كُل شيء من حوله.. وكأنها خُلقت لتُسعده بابتسامتها:.

---أنا وددت أن أخبرك أنني أحبك.. فقط--- .

ثم استدارت عازمة على العودة.. إلا أنعُمر أمسك معصمها ليوقفها:.

---ادخلي يا شهد.. سأتحدث معكِ وأقسم أنني لن أفعل شيئًا يُغضبك---

كانت تُفكر في هذا.. فإنها لا تود أن يراهما أحد سويًا.. خوفًا من أهلها وخوفًا عليه من أي شيء يَضره.. فكرت أن تَدخل شقته فهي تثق بأنه لن يضرها مهما طال الزمن.. لكن إن فعلت هذا لن تستطيع رؤية ذاتهاالمُحترمة والبعيدة عن الشُبهات كما كانت.. لكن حُبها له والذي حتى لا تعرف سِره.. جعلها تَدخل منزله المتواضع.. خوفها في أن يراها أحد تَدخل فالمنزل في الطابق الأرضي.. لكنه نظر خلفها بمجرد دخولها فلم يجد أحد مُطلقًا. .

أغلق الباب.. شعر بالإحراج من النظر لها في عينيها فظل واقفًا أمام الباب.. لا يريدأن يتحرك.. حين قالت له بصوتها المُميز:.

---انظر لي يا عُمر--- .

فاستدار لها،، شاعرًا بالخجل لخجلها،، وجدها تبتسم من قلبها،، لكن شيء ما ينغص سعادتها وهي أن ما تفعله حرمه الله،، أن تقف في حَرم شاب ليس لها بمحرم،، وحدهما،:

،،---أنا أعرف أنكِ خائفة يا شهد،، لكـ،، ،، ،، ،،--- ،،

،،---أنا لا أخاف منك،، أنا أثق بك يا عُمر،، وأظن أن هذا يَكفي،!،،

اقترب عُمر منها،، فأطرقت رأسها إلى الأرض،، فابتسم لأنها تثق به،:

،،---أنا أُحبك يا شهد،، أنا لا أعلم أي تفسير،، ولا أقوى على الشرح،، أنا فقط أحبك،،ولا أعلم ما الخطوة القادمة،، أُحب أن أنظر في عينيك وأتأمل ابتسامتك الرقيقة التي لمأر مثلها أبدًا،،--- ،،

ظلّت تنظر إلى الأرض،، إلى أن نظرت له في عينيه فوجد عينيها تذرفان دموعًا،، ودّ أن يضمها،، أن يُخبرها أنه سيكون العالم لها،، سيفعل لها ما تُريد وما تأمر،، لأنه يحبها،، لكنه لم يستطع،، فليس بيده حيلة،:

،،---أنا خائفة يا عُمر،، خائفة من كُل شيء حولي،، أرجوك لا تتركني،---،،

ثم انهارت في البُكاء،، وكأنها الإشارة ليضمها،، شلّ تفكيره وعقله،، شرد لوهلة بعيدًا عن العالم في عينيها وهي تبكي،، ثم بالرغم عنه ضمها،، كان خائفًا من ردة فعلها،، لكنها ضمته،،

وضع رأسها على صَدره،، باكية كطفلة،، ربّت على رأسها،، وتمسكت به بشدة وكأنها لا تُريد أنتتركه،، لا تُريد أن تخرج للعالم القبيح مُجددًا،، .

فقدت كُل شيء،، أبيها الذي جعلها بهذه الطريقة،، بسبب تجارته في الحشيش حتى فُضح ودخل السِجن ولم يخرج منه حتى الآن،، وصديقاتها اللاتي ابتعدن عنها لظنهن أنها مُعقدة في كُل شيء في حياتها،، حتى صديقتها الوحيدة التي كانت تَخرج معها في القرية خرجت مع أهلها إلى خارج القرية ولم يعودوا أبدًا،، أمها هي الحسنة الوحيدة في حياتها،، كانت لها الأب والأم والأخت،، علّمتها وحفظتها القرآن،، وأنشأتها خير نشأة،، تخاف شهد على أمها لأنها مريضة ومن المُحتمل موتها قريبًا،، . اشتد بكاؤها لتذكرها كُل هذه الذكريات،، فتقريبًا لم تر أي ذِكرى سعيدة في حياتها،،:

،،،،أنا أخاف من أن تُصبح ذِكرى سيئة مثلهم يا عُمر،،، .

واشتد تمسكها بذراعه،، فنظر لها في عينيها،،:

،،،،أنا لن أصبح ذِكرى سيئة مثلهم يا شهد،،أنا لست مثلهم،،، .

مسح دموعها وبدأ يمزح معها حتى ضحكت،،:

،،،،يجب أن تذهبي الآن،، أخشى أن يراكِ أحد،،، .

أومأت برأسها،، فتح لها الباب وخرجت بسرعة،، لكنها توقفت فجأة وقالت له بصوت خفيض،،:

،،،،لا جوابات بعد الآن،،، .

فضحك وسارت٠٠ لم يكن يحلم أن تكون معه الآن٠٠ في هذا الموضع٠٠ في منزله٠٠ لم تكن حتى في قائمة أحلامه من شدة استحالتها٠٠ لكن ما الذي سيفعله٠؟٠ فأهل القرية كُلهم يزوجون بناتهن في أعمار صغيرة٠٠ بدأ القلق ينتابه٠٠إنه من الممكن أن تتزوج شهد في سنها هذا٠!٠ لكنه لن يسمح٠٠ وإذا اقتربمنها أحد ستكون نهايته٠٠ لكن ماذا بعد أيضًا٠!٠

هل سيظل واقفًا أمام بوابة الأحلام ولن يتقدم٠؟!٠ سيظل مُبتسمًا كلما يتذكر منظر الأموال في المخبأ السري٠!٠٠ تخيل أنها معه في منزل فخم في إحدى المُدن بعيدًا عن القرية وثرثرتها٠٠ كل هذا سيأتي بالأموال٠٠ لا شيء غيرها٠ .٠أخذ عُمر قراره ولن يتراجع فيه٠٠ سيعمل عِند حَسن العلايلي وسيكون جُزءًا من تجارة السلاح حتى لو كَلفه هذا دماء تُهدر في طريقه٠ .٠

فلقد فعلها أبوه في الماضي٠!٠

في نفس اللحظة كان الشيخ جمال مُختبئًا٠٠ يرى عُمر وهو يقف وشهد تبتعد عنه٠٠ ينظر لها بحُب عميق٠٠ احتدت الأسئلة بعقل الشيخ٠٠ لكن شعوره بالغضب تمكن منه بشدة٠٠ فتقدم نَحو عُمر بسرعة شديدة٠٠ ولمّا رآه عُمر فَزع ورجع خطوات إلى الوراء٠٠ بالرغم من كِبر سن الشيخ إلا أنه كان يسير بسرعة غريبة ناحيته من شدة الغضب٠:٠

٠---٠٠٠ما الذي حدث يـ٠ .٠ .٠ .٠--٠ .٠

ثم صفعه على وجهه٠٠ صفعة جعلت عُمر يقع على الأرض من شدتها٠٠ دخل الشيخ المنزل وعمر كان بالداخل فأغلق الباب

بقسوة وبدأ يصيح في عُمر:.

.....ما الذي كانت تفعله تلك الفتاة في منزلك يا داعر،. هل اغتصبتها أم ماذا؟.....

بدأ عُمر ينظر لجمال بنظرات لم يعهدها في عينيه،. كان غاضبًا وشاعرًا بالألم فتلك هي المرة الأولى التي يصفعه الشيخ:.

.....لم أفعل شيء،. والله لم أفعل شيء..... .

.....مُجرد دخولها لمنزلك خطيئة..... .

.....لكني شعرت بالاحتياج..... .

.....وما هو الاحتياج؟.....

.....أن يُقسَم تَفكيرك من شدة الاشتياق،. ويَبعث قلبك رائحتها التي لم تشتم مثلها،. هذا هو الاحتياج يا شيخ..... .

.....خطـأ،. خطـأ،. ألـم يُخبـرك أبوكـأن الضـربة تـأتي مـن الأقربين؟.....

.....لكني لست أبي!.....

.....إذًا من أنت؟.....

ابتسم عُمر،. ونهض من موضعه وهو واضع يده على خَده،. ونظر للشيخ:.

.....أنا واحد انتهى مستقبله قبل أن يبدأ..... .

ودَخل غُرفته الوحيدة والبائسة٠٠ مُنزويًا في إحدى الأركان٠٠ باكيًا كطفلٍ لم يَحنو عليه أحد٠٠ لم يكن معه سوى نفسه٠٠ تُشجعه وتُحمسه٠٠ لم يَبك في حياته كتلك المرة٠٠ ليس بسبب الضربة التي تلقاها من شيخه٠٠ الذي ربّاه واعتنى به في غياب أبيه٠٠ ولا حتى بسبب محبوبته التي لا يَقوى على إسعادها٠٠ إنما بسببأبيه٠ .٠

بكاءه وصل للشيخ جمال في الخارج٠٠ جلس مُتدبرًا فعلته٠٠ وأيقن أنه أخطأ في حَق عُمر٠٠ سمع صوت بكاءه فأقشعر بدنه من قهرته عليه٠٠ فهو لم يستطع فعل أي شيء له٠٠ سمع صوت صراخه٠٠ مُناديًا ربه يُناجيه٠:٠

٠-٠-٠-٠يا الله٠٠ انتشلني من قُبح هذا العالم٠-٠ .٠

لم يتحمل الشيخ٠٠ دَخل على عُمر فوجده جالسًا على الأرض٠٠ جلس بجواره٠٠ ثم ربت على كتفه وقبض على يده ليطمئنه٠:٠

٠-٠-٠-٠أنا لست ضدك٠٠ أنا أخاف عليك٠-٠ .٠

٠-٠-٠-٠لا أريد خوفك٠٠ لا أريد منك شيء أصلًا٠-٠ .٠

٠-٠-٠-٠نحن أسباب في حياة بعضنا يا عُمر٠٠ والله لم أفعل هذا لولا خوفي عليك٠-٠ .٠

٠-٠-٠-٠مِنَ الله٠؟٠!٠ من أن يعاقبني٠؟٠-٠

٠-٠-٠-٠الله غفور رحيم٠-٠ .٠

٠-٠-٠-٠الله شديد العقاب٠٠ أيضًا٠-٠ .٠

٠-٠-٠-٠لكنك على حسب كلامك لم تُخطئ٠!٠ ماذا فعلت يا ابن العراقي٠؟٠-٠-

٠-٠-٠-٠لم أفعل شيء ولا أود نصائحك التي تُشبه الكُتب٠-٠ ٠.

٠-٠-٠-٠لكني مررت بما تمر به الآن٠،٠ دعني أساعدك٠-٠ ٠.

نظر عُمر للشيخ بعدما وجد في عينيه ألمًا٠،٠ وكأنه يود البُكاء لأنه صفعه٠،٠ فأومأ عُمر رأسه إشارة بأن يبدأ الحديث٠:٠

٠-٠-٠-٠في مثل سنك٠،٠ لم أكن في تلك القرية٠،٠ كُنت في قرية أخرى بعيدة٠،٠ كان هُناك فتاة تُدعى ٠(٠زينب٠)٠،٠ زينب كانت جميلة جدًا٠،٠ لم ير وجهها في القرية أحد سواي٠،٠ لقد كانت تُحبني بصدق وأنا أيضًا٠،٠ المُشكلة الوحيدة أنها كانت تكبرني بعدة أعوام٠،٠ وتزوجت وتطلقت٠،٠ وأنت تعلم ما الذي تفعله القُرى في المُطلقات٠،٠ كان هذا هو الحاجز الوحيد بيني وبينها٠،٠ أظن أن عُمري حينها كان ستة عشر عامًا وهي كانت تكبرني بعدة أعوام٠،٠ ٠(٠زينب٠)٠ كانت طيبة٠،٠ مغلوبة على أمرها٠،٠ أراها في السر عِند تِرعة هجرها الجميع٠،٠ كُنت أفعل لها المستحيل لكي أسعدها٠،٠ تعلم ما الذي حدث لاحقًا٠؟٠ هجرتني٠،٠ ابتعدت عني لأسباب مجهولة٠،٠ وظل قلبي يدق باسمها يومًا وراء يوم٠،٠ كُلما مررت في القرية أنظر في وِشاح السيدات وأتخيلها٠،٠ لم يعلم أحد أين ذهبت زينب حتى هذه اللحظة٠-٠ ٠.

لم يفهم المقصد من تلك القصة٠،٠ فبدأ الشيخ يوضح٠:٠

٠-٠-٠-٠أنت في سن المُراهقة٠،٠ وطبيعي أن تُحب فتاة٠،٠ وهي تُحبك لأنها في سن المراهقة مثلك٠،٠ واجه الحقيقة يا عُمر فأنت

لا تملك المال لتتزوجها.. وأنت ما زلت صغير على الزواج أصلًا.. كُل ما تفعله يُنقص من مِقدار قلبك.. ستحبها قليلًا وسينقص حبك لها حتى يختفي.. وهي أيضًا.. ولن يكن عليك وِزر لأن هذه طبيعة البشر.. ..

.....لكنك لم تنس زينب.. ومازلت تُحبها!..

.....أنا لا أحبها لكني لن أنساها.. كُن على يقين أن حُبك الأول لن تنساه ما حييت.. لأنه مُميز ولن تشعر أبدًا ما شعرت به في حُبك الأول.. ..

.....لكني أحبها يا شيخ!..

.....وهي أيضًا تُحبك.. لكن صدقني لن يدوم هذا الحُب وستظل كما أنت.. يرتطم قلبك ويدور عندما تسمع اسمها فقط.. ..

نهض الشيخ.. فساعده عُمر على النهوض ونسي حتى أنه ضربه.. فابتسم الشيخ وبدأ يسير إلى أن سأله عُمر:.

.....يا شيخ.. متى سيعود أبي؟!..

ابتسم.. ثم توقف عند الباب قائلًا:.

.....عندما تنتهي من المُذكرات.. وتعرف أباك حق المعرفة.. ..

.*. .*. .*.

## (٤)

من مُذكرات سعيد العراقي:.

بـدأت رائحـة جُثـة رأفـت تُسيطر علـى المكـان.. وتتمكـن مـن أنفاسي.. شعرت بالاختناق الشديد.. في الحقيقة الاختناق ليس من الجُثة.. بل من المُدة التي كُنت بها بالمخبأ السري ولم أخرج منـه.. خـوفًا مـن الأهـالي.. الخطـر الأكبـر هـو أن يعـرف أحـد المَدخل الثاني للمخبأ.. المخبأ له مدخلان واحد من داخل القصر والآخر من خارجه لتسهيل دخول البضائع.. لم يَكن هذا المدخل موجودًا من قبل لكنه صنع خصيصًا لهذا.. .

المخبـأ مُمتلـئ بـالطعام والشراب.. غُرفـة واحـدة بها كُل شـيء يتمناه أي شخص على وجه الأرض.. يبدو وأن رأفت كان قد خطط أن القرية ستثور عليه.. لكن لم يَكن في حُسبانه أبدًا أنه سيقتل.. وعلى يدي.!.

بُني.. نصيحتي الأثمن لك.. والوحيدة التي أقولها لك عن ظهر قلب. .

لا تقتل.. لا تقتل.. لا تقتل. .

أنتُلطخ يداك بدماء أحدهم.. هذا يُدعى قتل.. أن تُهدد إنسان وتجعله ينام بعينٍ مفتوحة.. هذا يُدعى قتل.. أن تترك بصمتك في قلب إحداهن ثم تغادر ولا تعود لها أبدًا.. هذا يُدعى قتل. .

لـن تسـتطع النـوم.. لـن تتركـك الكوابـيس فـي حـال سبيلك.. سـتستيقظ يـومًا بعد يـوم وتعرف أنـك كُنـت مُخطًا.. أما أنـا.. فنمت.. ولم أحلم بكوابيس.. واستيقظت يومًا بعد يوم أُمجد نفسي لقتلي هذا المخلوق. .

لحيتي طالت٠٠ واشتياقي لسماع صوتي ازداد٠٠ أيام عديدة في هذا المكان٠٠ أنام وأشرب وآكل فيه٠٠ حتى يئست من الوحدة٠٠ أنتَكون مُجبرًا على الوِحدة مُختلف كُليًا عن إغلاق باب غُرفتك٠٠ والصياح في كُل من حولك أن يتركوك وحيدًا٠٠ ماذا لو خرجت الآن٠؟٠ هل سيقتص مني أهالي القرية٠؟٠ لكني لم أفعل أي شيء خطأ لهم٠!٠ لقد أحببتهم وعاملتهم كأهلي٠٠ وهم لم يعاملوني بسوء أبدًا٠٠ بل كُنت ابنًا بارًا لهم٠!٠ لكن لماذا أشعر أنهم سيقتلونني إذا خرجت٠؟٠!٠

سأخرج٠٠ وسأترك ما سيحدث على الموّلي الذي طالما عصيته واجتنبت أوامره٠٠ وكأنني واحد من المُرتدين عن ديني٠٠ لكني أحتاجه الآن٠٠ أحتاجه أن ينجدني من هذا الموقف العصيب٠ ٠

بدأت الصعود بهدوء على السلم الحديدي الذي يَطل على غُرفة رأفت٠٠ فتحت الباب بضربة قوية من يدي٠٠ ثم خرجت للغرفة٠٠ فوجدتها مُنقلبة الحال٠٠ رأسًا على عقب٠٠ بعض الأشياء مُنكسر والأشياء السليمة سرقوها الأهالي٠٠ كالجرامافون الذي لم يكن عِند أي أحد سوى رأفت٠٠ كَبير القرية السابق٠ ٠

خرجت من الغرفة لأجد القصر كُله مَسروق٠٠ وبعض المحتويات مُنكسرة وتحولت إلى قِطع لا تُعد٠٠ في تلك اللحظة سمعت أصوات غريبة٠٠ ذلك الصوت أعرفه جيدًا٠٠ صوت الموسيقى ينبعث في جنبات القرية٠٠ نظرت من نافذة القصر العالية لأرى أهل القرية تصرخ بسعادة رهيبة بعدما أصدر الجرامافون صوتًا٠٠ وسكت الجميع يسمع الموسيقى٠٠ للمرة الأولى ربما في

حياتهم٠!٠

كانت موسيقى هادئة٠،٠ ثم تعلو فجأة٠،٠ ثم تَهدأ كالعاصفة٠،٠ رأيت الأطفال يمرحون بدون إصدار أي صوت٠،٠ وواحد من كِبار الأهالي يصرخ٠:٠

٠-٠-٠-٠شغّل لنا خفيف الروح يا جدع٠-٠ ٠.

يبدو وأنه شخص عاش بالموسيقى فعاشت فيه٠،٠ تَركت أثرًا لا يُمحى على نبرة صوته السعيدة بسماعه للجرامافون٠،٠ مُنذ متى والقرية تهتم بسماع الموسيقى٠؟٠ هؤلاء الفقراء المساكين٠،٠ الذين عاشوا حياتهم مطموسين برمال القهر٠،٠ الآن يمرحون كأطفال لمجرد سماعهم ألحان عتيقة٠،٠ ابتسمت٠،٠ ليس لأني رأيت السعادة في وجوههم للمرة الأولى٠،٠ لكني شعرت بوجود الحُرية تتراقص على أماراتهم٠،٠ تنبض مع كُل نبضة في قلوبهم٠ ٠.

بدأ خوفي يزول٠،٠ وكأني أعلم أنهم لن يقدموا على فِعل أي شيء يضرني٠،٠ نزلت بهدوء على الدرج فسمعت رجل يقول٠:٠

٠-٠-٠-٠لا يوجد خفيف الروح يا معلم٠،٠ لكن يوجد ٠(٠الشيالين٠)٠-٠ ٠.

٠-٠-٠-٠شغّل يا هفأ٠،٠ شغل واطربنا٠-٠ ٠.

بدأ صوت ٠(٠خشخشة٠)٠ الأسطوانة٠،٠ وسرعان ما بدأ سيد درويش يُخبر الجميع بأن ٠(٠يشدوا الحزام٠)٠!٠

نزلت بخطوات ثابتة٠،٠ وابتسمت لشعوري بأن سيد درويش

يراني الآن ويعرف حالي٠٠ فكلمات الأغنية تَخطر بسماعي كُلما نزلت خطوة على السلم٠:

٠-٠-٠-٠شِد الحزام على وِسطك غيره ما يفيدك٠-٠ ٠.

توقفت أمام باب القصر مُختبئ٠٠ الجميع مُنبهر من الصوت٠٠ من السعادة٠٠ وبدأ بعض الأكابر يكررون كلام الأغنية وراءه٠:

٠-٠-٠-٠لا بُد عن يوم برده يعدلها سيدك٠-٠ ٠.

أخذت أنفاسي بهدوء٠٠ وكأنه يُطمئنني٠٠ خرجت بهدوء بعدما وَجدت الجميع مُلتفين حَوّل الجرامافون بسعادة٠٠ فصِحت فيهم٠٠ وجدت طِفل صغير٠٠ نفس الطفل الذي حذرني من الثورة ضد رأفت٠٠ يقول بسعادة وشجاعة بالغة٠:

٠-٠-٠-٠سعيد العراقي رجع٠٠ سعيد العراقي رجع٠-٠ ٠.

وبدأت القرية كُلها تصرخ من بعده٠٠ بسعادة لم أرها في أعينهم قط٠٠ وحدث أغرب شيء في حياتي يا بُني٠٠ وجدت الأهالي يلتفون حولي٠٠ يرفعونني على أكتافهم٠٠ يصرخون٠:

٠-٠-٠-٠عاش كَبيرنا٠٠ عاش كَبيرنا٠-٠ ٠.

في ليلة وضحاها٠٠ أصبحت الكَبير٠٠ كَبير القرية٠٠ الناس تنظر لي برضا وشُكر٠٠ وكأني النجدة التي أرسلها الله لهم٠٠ بالرغم من أنهم من ٠(٠الكِبار٠)٠٠ هُم من فعلوا كُل شيء٠٠أنا لم أفعل شيء على الإطلاق٠!٠

لكني ابتسمت٠٠ وشعرت بالسعادة٠٠ لأنني لن أفعل كما فعل

السابقون٠٠ سأكون معهم وسأشاركهم همومهم قبل أحزانهم٠٠ ويا بُني٠٠ صدقني فأنا لم أفعل شيء سوى هذا٠٠ لكن لهذا حكاية أخرى طويلة٠ .٠

وأثناء التفاف الجَمع كُله حولي٠٠ والكُل يصرخ في نفس واحد٠:٠

٠-٠٠٠العراقي عاد٠٠ العراقي عاد٠-٠ .٠

رأيت فتاة٠٠ تَنظر من خلف المشربية الضيقة٠٠ لكني رأيتها٠٠ لا أعلم كيف٠٠ وجدتها تبتسم٠٠ فابتسم قلبي قبل أن تبتسم شفتاي٠٠ لقد رأيت شريكة روحي يا بُني في تلك اللحظة٠٠ وأثناء اهتزاز جسدي بسبب من يحملوني٠٠ والحماس يلتهم الجميع٠٠ رأيتها٠ .٠

فرفعت يدي لها للسلام٠٠ فشعرت بالخجل ثم دخلت٠٠ أطرقت رأسي أسفل٠٠ هل ما أنا به حقيقي٠؟٠ ليأتيني الرد من ٠(٠سيد درويش٠)٠ يُصدمني٠٠ ويُدهشني أيضًا٠:٠

٠-٠٠٠ وإن كان شيل الحمول على ضهرك يكيدك٠٠ أهون عليك يا حُر من مدّت إيدك٠-٠ .٠

.*. .*. .*.

## (٥)

أبوه هو الكَبير٠!٠

أبوه هو مُخلصهم من الظُلم٠!٠

بـــدأت الصـــورة تتضـــح تـدريجيًا٠،٠ وبـدأ يعـرف معـالم الأب الحقيقي٠،٠ لقد خلصّهم ٠(٠سعيد٠)٠ من الظُلم كما كانوا يقولون٠!٠

نظـر إلـى سـقف المـنزل٠،٠ المُتشـقق كـدفتيه٠،٠ يُفكـر بتشـتت وخوف٠،٠ لماذا لم يكن مثل أبيه٠؟٠ شُجاعًا لا يخاف لومة لائم٠! ٠،٠ لم يَكتسب منه جُرأته على الحديث٠،٠أو حماسته في التغلب على الظلمات والانتقال بالأهالي إلى النور٠،٠ لم يَكن الأمر سهلًا٠ .٠

نـهض عُمـر و خـرج مـن المـنزل بخطـوات سـريعة دون تَفكيـر٠، لمعـت عينـاه بالفكرة التـي سادت على تفكيره وعقله٠،٠ سادت حتـى على خياله الجامح٠،٠ وجد الناس ينظرون له٠،٠ فلقد – وبـرغم صـغر سـنه – لـه هيبـة واحتـرام لـم تكنّهـا القريـة لأحـد سواه٠،٠وأبيه الغائب٠ .٠

الغضب يُسيطر على ملامحه٠،٠ وفي الوقت ذاته الحماس يُدفعه لأن يكون مثل أبيه٠،٠ في خطوة جريئة منه وفي وَسط توقف الأهالي بعيدًا ينظرون له٠،٠ وَقف عُمر أمام قصر حسن العلايلي٠، القصر الذي توقف أمامه أبوه يومًا٠ .٠

هُنا وقف أبوه٠،٠ وهُنا وَقف الجَمع ليسمعوا الجرامافون وأغاني ٠(٠سـيد درويـش٠)٠،٠ هُنـا ثـارت القريـة وهُنـا أريقـت الـدماء٠، اللحظات تُعيد نفسها٠،٠ والتاريخ يُشكل هيأته مُجددًا٠ .٠

صرخ عُمر أمام القصر٠:٠

٠-٠-٠-٠أود رؤية حسن العلايلي٠،٠الآن وحالًا٠-٠-٠ .٠

في الوقت ذاته كان حَسن جالسًا أمام نافذة القصر.. على مقعده المُتحرك.. انتابته نوبة قلق.. فأصدر قرارًا سريعًا بأن تأخذ الحُراس حيطتها لأي حدث مُفاجئ أو خيانة من بقية الأهالي.. دَخل سالم على أبيه مُتوترًا وقلقًا..:

-----يجب أن نتخلص منهم يا أبي.. كما فعلت قديمًا وكما فعل جدي..!---

-----أنا لست هكذا.. لن أقتل الكثير مُجددًا..!---

-----لكنك فعلتها مُسبقًا..!---

رَمقه حسن بنظرة مُريبة فأطرق سالم رأسه إلى الأرض وعرف خطأه.. ونظر مُجددًا إلى النافذة..:

-----أخبر الحُراس أن لا يبدأوا بالشغب..إن حدث وبدأت الأهالي بالتهديد والشغب فرّقهم--- ..

ثم نظر له مُجددًا..:

-----إن حدث ومات واحد من أهل القرية.. سأجعل من مات يقابلك قبيل صعوده للسماء--- ..

عُمر واقف أمام القصر.. لا يَشعر بالخوف ولا حتى بعبرات من القلق.. جافاه الشعور لوهلة ولم يَكن بمقدوره إبداء أي تعبير عما ينوي فعله.. نزل عدد لا بأس به من الحُراس.. وتقدم عُمر وحده.. فجاء واحد من الأهالي..:

-----احذر يا عُمر.. لا تأمن ولا تؤمن--- ..

أخـذ نفـسًا عمـيقًا٠٠ ودخـل معـهم القصـر٠٠ صعودًا على الدرج وسيرًا في الطرقات٠٠ إلى أن وصل إلى الغرفة التي يَقطن بها حسن٠٠ طرق واحد من الحُراس الباب٠٠ ثم دخل ومعه عُمر٠٠ ابتسم حسن مُحافظًا على هدوءه٠٠ شاعرًا بأن هُناك لعبة تُلعب عليه٠٠ لكنه تحدث٠:

٠٠٠٠٠اخرجوا واتركانا وَحدنا٠٠٠ .

خرج الحُراس دون أن ينبس أحدهم ببنت شفة٠٠ لم يكن في الغرفة سوى حسن وعُمر٠٠ فنطق عُمر بلسان مُهذب٠:

٠٠٠٠٠ما الذي يمنعني من قتلك الآن٠؟!٠ وأنت عجوز ولا تقوى حتى على النهوض أمامي٠!٠٠

٠٠لأنك لست غبي٠٠ ولن تكرر خطأ أبيك٠!٠٠

٠٠٠٠٠لكني لست أبي٠٠وأعلم تمام العلم عواقب حدوث هذا٠٠٠ .

٠٠٠٠٠مُجـرد تفكـيرك أن تقتلنـي فـي قصـري٠٠ وسـط رجـالي وحُراسي٠٠ يجعل منك غبيًا وهذا يجعلني أفقد إعجابي بك٠٠٠ .

ابتسم عُمر ساخرًا٠٠ ونظر لحسن في عينيه مُباشرة٠٠ وتحركت يـد حسـن نَحـو زر في مقعده يُنادي حُراسه ليخلصوه من هذا الموقف٠٠ دنا عُمر منه٠٠ وتحدث بهدوء تام٠:

٠٠٠٠٠أنا سأعمل عِندك٠٠ سأكون تحت إمرتك وأفعل ما تشاء٠٠٠ .

٠

٠٠٠٠٠تَعمل عندي٠؟٠٠

المُقتضبة.. الجَو مُهيب.. الرعب يُسيطر على .(.عُمر.). ذاته!.. بالرغم من توقعه لعواقب الموقف قبل قدومه إلى تلك الغرفة.. لم يكن يتوقع أن تحتد ملامح وَجه .(.حسن.).. ظن أنه سيسعد لأن ابن العراقي سيعمل عنده أخيرًا.. لكن ما حدث كان عكس هذا. ..

ثم انفجر ضاحكًا.. تلاشى التوتر وبدأت روحه المَرحة تَحل المكان مُجددًا بالرغم من قلق عُمر.. هذا الرجل مَجنون ويستطع فعل أي شيء.. له النفوذ والسلطة ولا يخشى أحد. ..

-...من الواضح يا عُمر.. أنك تُفكر في هذا الأمر وكأنه عرض لنا.. قبوله شرف كبير لنا ورفضه سيتسبب في حُزن كُل من في القصر.. صح يا عُمر.؟-..

بدأت الطاولة تنقلب على .(.عُمر.). وشعر بأنه سيكون ضحية لأفعال حسن.. بدأ التوتر يسود وجهه.. فتحدث مُحاولًا الحفاظ على هدوءه:.

-...إطلاقًا.. لكنني أعرف أن. . . .-. .-. .

-...لا.. لا-. .

قاطعه بُعنف.. واقترب بالمقعد المُتحرك من عُمر أكثر.. أخذ نفسًا عميقًا.. ثم استطرد بصوت رخيم:.

-...أنت لا تعرف.. لم تعرف ولن تعرف.. صدقني الحياة أعقد مما تتخيل-. .

-...ما علاقة الحياة بكلامنا.؟!. أنا أعرف أن الحياة معقدة

وسيئة ويجب أن أحرص منها٠٠ ليس هذا موضوعنا!٠٠

٠٠٠٠أن تتريد الزواج يا عُمر٠٠ صحيح٠؟!٠ تُحب فتاة ولن تستطع الزواج منها إذا لم يكن معك الأموال الكافية٠؟!٠ يئست من البقالة التي ابتاعها لك الشيخ٠٠ جلوسك على المقعد بالساعات دون أن يأتي أحد ليبتاع أشياء٠٠ ٠.

شعر بانكشاف أمره٠٠ وأنه أتى لأنه يحتاج للعمل معه٠٠ ابتسم حسن بعد أن أدرك أن حديثه صحيح٠٠ وأردف٠:

٠٠٠٠الحياة مُعقدة بشدة٠٠ سيكون معك الأموال٠٠ الكثير من الأموال٠٠لكنك لن تكون سعيدًا على الإطلاق٠٠ أقول لك هذا لأنك إن دخلت معنا٠٠ لن يَكون هُناك طريق للرجوع٠٠ أيًا ما كانت العواقب لن يكون هُناك طرق للعودة٠٠ ٠٠٠٠اتفقنا٠٠ ٠.

دون حتى تفكير مما أثار ريبة ٠(٠حسن٠)٠٠ فابتسم وأومأ برأسه٠٠ عاد بالمقعد حتى وَصل إلى النافذة٠٠ نَظر بتأمل تجاه السماء٠:

٠٠٠٠لا تجرؤ على الخروج عن الطاعة٠٠ قيل يمين٠٠ إذًا يمين٠٠ يسار٠٠ إذًا يسار٠٠ بلا مناقشات٠٠ ٠.

أومأ عُمر برأسه موافقة على كلامه٠٠ ثم استطرد٠:

٠٠٠٠من الغد تأتي لاستلام عملك٠٠ ستتعرف على أكثر من شخص٠٠ وستبدأ حياة جديدة٠٠ حياة لم تحلم بها أبدًا٠٠ ٠.

.*. .*. .*.

# الفصل الثالث٠: (٠ما أشبه اليوم بالبارحة٠)٠

## (١)

٠---٠٠٠هل أنت سعيد الآن٠؟٠!٠---٠

وَقتٌ عصيب٠،٠ مشاعر تَنجرف بخوف عتيق٠،٠ والشيخ يتحدث بهدوء مُستعصٍ٠،٠ وكأن غضب السماوات قد حلّ فوق رأسه٠،٠ حَكى عُمر للشيخ كُل شيء٠،٠ ما حدث وما يُخطط لحدوثه٠،٠ لم يَكن خائفًا من الشيخ٠،٠ كان خوفه من حُزنه وسخطه منه٠،٠ فهو لا يود أن يجعل الشخص الوحيد الذي ربّاه وتَحمل مسؤوليته مُنذ الصغر غاضبًا عليه٠ ٠.

حاول الشرح٠،٠ وأن هذا سيجلب الخير لكُل من في القرية٠،٠ بما فيهم هو ذاته٠،٠ وأنها مُجرد لعبة وستنتهي بعودة أبيه٠،٠ وسينصر المساكين والمُهمشين في القرية مُجددًا٠،٠ لكن الشيخ أبى أن يسمع وِجهة نظره٠،٠ فهو يَفهم ويعرف ما الغرض الرئيسي الذي جعله يفعل فعلته٠،٠ ابتسم الشيخ وجاء لُعمر بردٍ قاسي٠:٠

٠---٠٠٠الأموال غضّت قلبك٠،٠ والحُب قَتل تفكيرك٠،٠ لم تعد تُفكر سوى بأنك تريدها٠،٠ تود أن تكون هي محبوبتك الأولى والأخيرة٠،٠ لكن هذا لن يحدث٠-- ٠---٠٠لِمَ لا٠؟٠!٠ لِمَ لا يحدث٠؟٠! ٠--٠

-----لأنها الحياة.. الحياة لن تعطيك ما تتمنى.. لن تجعلك تتزوج الفتاة التي يُحبها قلبك.. في الحقيقة ستتزوج فتاة لم تعرفها على الإطلاق.. والأموال التي تَحلم أن تكون بحوزتك.. لن تكون معك حتى تتذوق المُر أضعاف وأضعاف.. والسعادة التي تبغيها لن تجيأك.. لأنها الحياة يا بُني--- ..

-----لكن الله عادل..!---

-----الله دومًا عادل.. نحن لا ننظر إلى الجانب الجيد في حياتنا.. الأسوأ دومًا هو ما يشد الأنظار--- ..

-----أنا أفعل هذا لسبب أراه صحيحًا--- ..

-----وقابيل قتل أخيه لسبب رآه صحيحًا.. والشيطان طُرد من رحمة الغفار لسبب رآه صحيحًا--- ..

-----لكني لست مثلهم..!---

-----ستكون إن لم تستفق من الآن.. سيُقتل الكثير على يديك وبسببك.. حتى وإن كانوا مُخطئين.. فالله يراهم ويسمعهم--- ..

-----لكني اتخذت قراري--- ..

-----وأنا لن أجبرك على الرجوع--- ..

-----كلامك يقول هذا يا شيخ--- ..

-----كلامي وليس ما أفعله.. طيلة حياتي لم أجبرك على فعل شيء يُذكر--- أخذ عُمر نفسًا عميقًا بعد نقاش عميق بينه وبين

الشيخ٠٠ كان يعرف أن الشيخ جمال دومًا على حق٠٠ لم يُخطئ أبدًا٠٠ لكنه يود خوض التجربة بنفسه٠٠ حاول عُمر تغيير موضع النقاش لشيء شغل باله طويلًا٠:

٠٠٠٠٠لقد قرأت في المذكرات حتى خروج أبي من القصر وأصبح الكَبير٠٠٠ ٠.

٠٠٠٠٠وما رأيك حتى الآن٠؟٠٠

٠٠٠٠٠لا أعرف٠٠ لكني أشعر بأنه لم يفعل شيء يستحق كُل هذا٠٠ كُل ما فعله أنه اختبأ مع رأفت وقتله لتصفية حساب معه ليس إلا٠٠ لكن ليس لإنقاذ القرية كما كانوا يدّعون٠٠٠ ٠.

٠٠٠٠٠قتل رأفت أنقذ العديد من الأهالي٠٠٠ ٠.

٠٠٠٠٠لكن الأهالي كانوا في القصر فعلًا٠٠ وكانوا سيقتلون رأفت بمساعدة أبي أو دون مساعدته٠٠٠ ٠.

٠٠٠٠٠لا تنس أن أباك كان واحدًا من أهل القرية٠٠ كان يعرف آلامهم ويعرف احتياجاتهم٠٠٠ ٠.

اعتدل في جلسته٠٠ ثم ظل صامتًا مُفكرًا لوهلة٠٠ واستطرد٠:

٠٠٠٠٠القرية كانت تحتاج لشخص مثله٠٠ لم يُقدم لها الكثير٠٠ لكن ما قدمه كان مؤثرًا٠٠ القرية كانت تحتاج لشخص ينتشلها من السواد والظلمات٠٠ كُل ما تمنوه أن يكون واحدًا منهم٠٠ يُحارب جوعهم ويقاتل الظلم المُنتشر بينهم٠٠ أبوك لم يكن هذا الرجل العظيم الذي طالما سمعت عنه٠٠ في الحقيقة أنهم بالغوا في إحساسهم عنه٠٠٠ ٠.

نظر في وجه عُمر،، وأردف،:

،،،،تخيل معي أنك في مكان مُظلم،، يداك وقدماك مكبلتان،، يأتي رجل كُل يوم يعذبك ويضربك حتى أصبح جسدك لا يختلف كثيرًا عن الحائط،، ثم تمر الأيام واعتدت على كُل هذا،، يأتي صباحًا يَضربك ويصفعك حتى تُنزف،، ثم يتركك ويذهب،، إلى أن جاء يوم ودخل شخص لا تعرفه،، بدأ يضع لك الطعام والشراب ويطمئنك،، يتحدث معك بصوت خفيض،،ثم في النهاية يذهب،، حتى أصبح هذا الرجل روتين في يومك،، يأتي ليلًا ويضع لك الطعام والشراب،، ويتحدث معك قليلًا ثم يذهب قبل مطلع الفجر،، وفي ليلة،، شعر هذا الرجل الغريب بالظلم ناحيتك،، وأنك مظلوم وضعيف لا تقوى على أن تؤكِل نفسك،، فانتظر معك حتى جاء الرجل الذي يُعذبك،، وضربه أمامك،، أخذ مفاتيح قيود قدميك ويديك،، ثم تركك حُرًا،، ومنذ ذلك الوقت لم تعد ترى هذا الرجل الغريب الذي غير مسار حياتك إلى الأبد،،،.

حاول عُمر فِهم الإسقاط الذي يقصده الشيخ،، فابتسم،، عندما عرف أن الرجل الغريب هو سعيد العراقي،:

،،،،كُل ما كان يعطيه سعيد لتلك القرية هو الأمل،، الحديث معهم عن مشاكلهم،، سؤالهم عن أحوالهم،، كل ما كانت تحتاجه تلك القرية هو رجل يكون منها،، كل ما كانت تحتاجه القرية هو الأمل،،،.

نهض الشيخ مُستندًا على عصاه الواهنة،:

٠-٠-٠-٠وهم الآن في غاية الحاجة إلى الأمل٠،٠ الأمل يا عُمر٠-٠ ٠.

ابتسم الشيخ٠،٠ وربت على كتفي عُمر٠،٠ ثم خرج من المنزل وأغلق الباب خلفه٠،٠ وبعد دقائق سمع صوت أذان الفجر٠،٠ وكأن الله يُرسل له رسائل خفية٠،٠ لا يفهمها أحد٠،٠ ولا حتى هو ذاته٠ ٠.

٠*٠ ٠*٠ ٠*٠

## (٢)

مِن مُذكرات ٠(٠سعيد العراقي٠)٠:٠٠

وصِرت الكَبير على القرية٠،٠ في ليلة وضحاها أصبحت أنا الرَجل الأول٠،٠ صاحب الكَلمة الأقوى في هذا المكان الضخم٠ ٠.

مرت أيام عديدة وأنا في القصر٠،٠ لا أخطو خطوة خارجه٠،٠ كُل ما أفعله هو التفكير فيما هو قادم٠،٠ هل سأكمل سيرة من سبقوني وجلسوا في هذا القصر وأكون تاجرًا للسلاح٠؟٠ أم أبتعد عن تلك الخطوة وأكوّن قاعدة خاصة بي ليتبعها أولادي وأحفادي من بعدي٠؟٠ كُل هذه كانت أسئلة٠،٠ تُخاطرني وتُساءل عقلي٠ ٠.

عَينت أفراد لحراسة القصر٠،٠ كانوا من أهل القرية٠،٠ أقوياء ولا يهابون الموت وهذا ما كُنت أريده٠،٠ عرضت عليهم مبالغ لا بأس بها فقط لحراستي من الأخطار التي حتمًا ستأتي٠،٠ وهُنا أقصد ٠(٠حسن العلايلي٠)٠،٠ الابن البار لرأفت العلايلي٠ ٠.

كما قُلت لك في السابق٠،٠ حسن العلايلي أقوى وأشجع كثيرًا من

أبيه.. لذلك كُلما نُطق اسمه في وَسط الجمع انتفض العديد رُعبًا.. بالرغم من بعده الشديد عن القرية فهو يقطن بالصعيد ولا يوجد أي مكا.( . . . . جُزء غير واضح من المُذكرات). فحسن كان دومًا الأقوى. .

فقيل مثلًا أن لما كان عُمره ثمانية عشر عامًا.. أرسله أبيه لبيع أسلحة.. ليست تلك المشكلة.. المشكلة أن حسن كان معه شخص واحد فقط ليحميه.. كانا اثنين يقومان بعملية بيع أسلحة.. ومن اشتروا منهم الأسلحة كانوا قرابة خمس وعشرون شخص.. ليست تلك المشكلة أيضًا.. المشكلة أن جميع من وقفوا أمامه.. الخمسة وعشرين شخصًا.. كانوا خائفين منه.. بالرغم من أنه كان شابًا يافعًا بإمكان أصغر واحد فيهم ضربه وقتله دون أي مجهود. .

وقيل عنه أيضًا أنه قتل خمسة من أكبر تجار الأسلحة في الصعيد.. وكُل واحد منهم كان له عائلة ضخمة لا يُستهان بقوتها.. حسن كان الأقوى بكل تأكيد.. كُل ما فعله أنه أرسل رأس كُل واحد فيهم لعائلته.. ومع كُل رأس عدد ضخم من رجاله يُحاصرون القصر بالأسلحة.. إما الانصياع أو القتل الفوري.. فانصاعت كُل العائلات. .

لم تَكن العائلات ضعيفة لدرجة أن تنصاع بتلك السهولة.. فبعد فترة حاولوا قَتل حسن ذاته لكن لم يستطع أحد العثور عليه.. من حاول قَتل حَسن كان هو نفسه يُقتل.. حتى أنه كان وحيدًا هُناك.. لم يَكن مُتزوجًا أو له طِفل يقتلوه للثأر.. لذا كان هو الأقوى دونًا عنهم. .

أرسلت واحدًا من الحُراس ليجمع أهل القرية أمام مقهى ٠(٠السعادة٠)٠٠ المقهى الرسمي لقريتنا٠٠ وفي غضون عشر دقائق كانت القرية بأكملها أمام المقهى٠٠ نزلت ووقفت أمامهم٠٠ بمجرد أن ظهرت لهم بدأت العبارات والجُمل الحماسية٠:٠

٠-٠-٠-٠عاش كبيرنا٠٠ عاش كبيرنا٠-٠ ٠.

فأوقفتهم بحركة من يدي٠٠ الخطر الأكبر قادم وهم لا يدركون هذا٠٠ سكت الجميع٠٠ فرأيت الأطفال ينظرون لي بابتسامة٠٠ وسعادة تقفز من عيونهم٠٠ لقد أوحت لهم عائلاتهم بأن الأمان قد دام والخطر قد زال أبدًا مؤبدًا٠٠ ابتسمت٠٠ وبدأت بالحديث٠٠ للمرة الأولى منذ صِرت كبيرًا على القرية٠:٠

٠-٠-٠-٠الجَميع هُنا يعرف أن السنوات الماضية كانت الأسوأ٠٠ فلقد قُتل العديد منا٠٠ قُتلت كرامتنا وشجاعتنا٠٠ بسبب عائلة العلايلي٠٠ هم من كانوا السبب في هذا٠٠ في أن يجعلوننا ننصاع للأوامر دون ذرة تفكير منّا٠٠ نحن انتصرنا الآن٠٠ انتصارًا ساحقًا ولا أحد يَشك في هذا٠٠ لكن السؤال الحقيقي هُنا٠٠ هل سيستمر هذا النصر طويلًا٠؟٠!٠-٠

بدأت الهمهمات تتصاعد والتوتر يزيد بين أبناء القرية٠٠ فاستطردت٠:٠

٠-٠-٠-٠أنا لا أود قول أنكم في أمان٠٠ وأن لا تخافوا من القادم٠٠ كُل ما فعلته وما سأفعله أنني سأقول ما يحدث٠٠ دون أي إخفاء للحقائق٠٠ والحقيقة التي أود أن يعرفها الجميع٠٠أن الخطر مازال موجودًا وكُلما نسيناه كُلما اقترب٠-٠ ٠.

-.-.-.ما هو الخَطر الذي تُحذرنا منه؟!.-.

كان الصوت أنثوي.. فتاة تقف وَسط الحشد دون خَجل.. ترتدي وشاح يَستر ملامح وجهها.. فوجدت واحدًا بجوارها يصرخ فيها:.

-.-.-.من الذي أعطاكِ الإذن بالحديث يا ابنة الـ. .. .-. .-.

لا أعلم لكني وَجدتني بصوت عال:.

-.-.-.لا تَمد يدك يا رَجل-.- .

-.-.-.إنها ابنتي يا كَبيرنا.. وأنا آسف على ما قالته-.- .

ابتسمت.. فشعرت بأن تلك الفتاة هي من رأيتها يوم خرجت من القصر.. قلبي قال هذا ولا أعلم إن كان صحيحًا أم لا.. لكني وجدتها تنظر لي.. عيناها قالت أنها هي.. لم يهمها ما فعله أبيها وَسط الحشد.. فظلت تنظر لي.. شعرت بالتوتر يكسوني..فاستطردت:.

-.-.-.سؤال ابنتك كُنت سأجيبه على أي حال.. الخطر هو حسن العلايلي.. كُل الواقفين يعرفونه ويعرفون خطره.. بالتأكيد لن يسكت عندما يعرف أنأباه قد قُتل.. وسيأتي ثائرًا هو ومن معه لاسترداد حق أبيه-.- .

-.-.-.وما المطلوب يا كبيرنا؟-.-

قالها واحد من الواقفين وَسط الجمع.. فتكلمت بلطف:.

-.-.-.المطلوب هو أننجمع أكبر عدد ممكن لحراسة القرية من كُل

الجوانب.. والأسلحة موجودة.. وكُل من سيتطوع لفعل هذا سيأخذ مبلغًا ليس قليلًا أبدًا.. الشرط الوحيد في التطوع ألا يتطوع نساء أو أطفال دون السادسة عشر أو شيوخ-.. ..

نَظرت مُجددًا للمكان الذي كانت فيه الفتاة.. لكني لم أجدها.. نظرت كالتائه حولي للبحث عنها فوجدتها تسير مع أبيها بعيدًا حتى دخلت شارع جانبي.. رُبما هي تقطن في ذلك الشارع.. ..

-...-..مُنذ الآن سيتم أخذ أسماء المُتطوعين.. وإن لم يتطوع أحد سأضطر آسفًا للاختيار إجباريًا.. سنمر بوقت ليس بالهين في تلك الفترة لكن بعد مُدة وجيزة سنكون بخير.. وسنكون آمنين بإذن الله-... ..

انفض الجمع.. أما أنا فسرت حتى وصلت إلى هذا الشارع الجانبي.. ووجدت الفتاة تَقف في المشربية.. وجهها ظاهر.. تَبكي بسبب ما فعله أبوها معها.. لقد كانت هي الفتاة.. ..

كان الشارع هادئًا ولا يوجد أحد تقريبًا به.. عدا رجل يجلس بهدوء في إحدى المحلات.. وعندما دققت النظر وجدته أباها.. فاقتربت منه ووجدت وجهه يشع سعادةً:.

-...-..السلام عليكم يا حاج.. أخبرني لمن هذا البيت.؟!-..

وأشرت بهدوء كي لا تراني.. فأخبرني أنه لرجل يُدعى (.عبدالعزيز الريس.).. فسألته أين أجده فأجابني:.

-...-..إنه أمامك الآن يا كبيرنا-... ..

ابتسمت.. وشعرت بتوتر حقيقي يُخالط أنفاسي:.

-.-.-.أنا أود الزواج من ابنتك يا حاج-.-.

.*. .*. .*.

## (٣)

في هذا الوقت..

وأثناء انشغال عُمر بالقراءة.. انتهى الشيخ جمال من تلاوة القرآن الكريم بالمسجد.. صوته غير مُميز وغير رخيم.. لكن الأهالي اعتادت على صوته فلم يعد سببًا للإزعاج.. بل إن تغير الشيخ يومًا ولم يؤم الناس سيسألون أين ذهب وسيفتقدون صوته..غيرالمُميز بالمرة..!

ظل جالسًا في المسجد حتى غفل لدقائق.. وانتفض مفزوعًا إثر كابوس رهيب.. استغفر الله عدة مرات.. ثم نهض من موضعه وهو يُرتل آية الكُرسي ليحفظه الله مما رآه..

لم تكن عينا الشيخ بهذا الحُزن قبلًا.. وكأنه على علم بالمُستقبل.. أنه لن يكون مليئًا بالمفاجآت السعيدة له ولعُمر وللقرية.. الشعور بالخزي يقتله.. بأنه لم يستطع الحفاظ على القرية وأهلها..

خَرج من باب المسجد خائفًا من شيء لا يعرفه قط.. إحساس يراوده بالقلق الدائم.. وَجد القرية خالية من البشر فجميعهم نائمون.. يَشدون رحالهم نحو يوم بائس آخر..

دخل منزله.. وعيناه قد اقتربت من البُكاء..الانفجار في

البُكاء٠٠ أغلق الباب ووضع عصاه القصيرة على الحائط٠٠ ثم أخذ كتابًا من كُتبه مُتواضعة العدد٠٠ الكِتاب قد اختلط بالتراب حتى أصبح جُزء منه٠٠ بدأ يَنفخ فيه حتى بدأ التراب يتبعثر في الهواء٠٠ فتح صفحة مُعينة في الكتاب وأخرج منها صورة٠٠ مكتوب على ظهر الصورة بخط مُهترئ٠:٠

٠-٠٠٠-٠سعيد العراقي١٨٠٠ أبريل٠-٠ ٠.

لم يتمالك الشيخ نفسه٠٠ وكأنه رأى ماضيه الأسود في صورة واحدة٠٠ نظر في الصورة وفي الشخص المتواجد بها٠٠ لقد كان سعيد العراقي٠٠ بوجهه الجامد٠٠ بارد الملامح٠٠ مُحتدم المشاعر٠٠ وَجهٌ ذو قالب واحد٠٠ قالب جَدي لا يعرف المُزاح٠٠ شاربه الأشعث غير المتساوي٠٠ وقفته المُهيبة وطوله الشامخ٠٠ ما أشبه اليوم بالبارحة٠ ٠.

تلك هي الصورة الوحيدة لسعيد العراقي في القرية٠٠ الصورة الوحيدة التي تُثبت للجميع أن سعيد العراقي حي وموجود٠٠ ترك أثرًا في تلك القرية لا يَذكره سوى الفُضلاء٠٠ لم يردأن يجعل عُمر يرى صورة أبيه حتى لا يشتاق له أكثر٠٠ حتى لا يراه بأحلامه ويناجي خيالاته٠٠ أحب الشيخ أن يجعل سعيد في نظر ابنه مجهولًا٠ ٠.

بكى الشيخ٠٠ ليس لأنه تذكر الماضي بما فيه من مساوئ وأحلام٠٠ وليس لأنه تذكر سعيد العراقي وما كان عليه يومًا٠٠ لكن لأن الأيام الماضية تشبه ما يمر به الآن٠٠ الظُلم قد انتشر في خلايا القرية٠٠ بين الناس وكأنه سرطان طفح بقلوبهم٠٠ ما أشبه اليوم بالبارحة٠٠ فعُمر يُكرر نفس ما فعله سعيد في الماضي٠

وَضع الصورة القديمة والتي يظهر فيها الماضي بأشد وأبهى صوره.. ثم وضع الكتاب مكانه.. دَخل غُرفة نومه ووقف أمام الحائط..:

.....سامحني يارب.. الظُلم انتشر ولا يوجد سوى طريق واحد..

ضرب الشيخ بيده على الحائط فانفتح باب خفي لغرفة صغيرة جدًا.. بها سرير واحد فقط.. دَخل الغرفة وجثا على رُكبتيه.. ثم أخرج من أسفل السرير حقيبة كبيرة الحجم.. فَتح الحقيبة ليطمئن أن ما بها مازال صالحًا..

كانت الحقيبة مليئة بالأسلحة.. جميع أنواع الأسلحة بعدد لا بأس به.. عدد يصلح لبداية جديدة.. ونوع آخر من الحياة يستحقه..

.*. .*. .*.

من مُذكرات .(.سعيد العراقي.)..:

لأكون صادقًا..الحياة ليست حياة دون صديق.. صديق وَفي ينصحك في الخلاء قبل العلن.. بعدما تقدمت للزواج من .(.فاطمة.)..نعم اسمها فاطمة.. تصغرني بثلاثة أعوام.. كان لها أخ أصغر يُدعى .(.جَمال.)..جمال كان تقريبًا النسخة المُضادة لي.. في كُل شيء.. يفعل عكس ما أفعل.. يُفكر عكس ما أفكر.. لكنه في الحقيقة كان أشبه بضميري المُترنح في غياهب النسيان..

كان جمال أصغر مني بعدة أعوام٠٠ مما جعلني في البداية أعامله كأخي الصغير٠٠ لكن بسبب رجاحة عقله وحلاوة لسانه جعلني أعامله كصديق بل أخ كبير في بعض المواقف٠!

لا أود أن أسبق الأحداث٠٠ فأنت لا تعرف كيف تقدمت٠٠ وكيف كانت نظراتها لي٠٠ وكيف احتفل أهلها بأن ٠(كَبير القرية٠) بذاته هو من تقدم للزواج بها٠٠ لكن كُلها سُطور لا معنى لها٠٠فالدفتر قد اقترب من الانتهاء وأنا لا أود شراء واحدًا آخر٠ ٠.

خلاصة الأحداث أنني تقدمت لها٠٠ والحمد لله تمت الموافقة – بالطبع وبدون أي مجال للشك – على زواجي من فاطمة٠٠ واتفقنا على موعد العُرس٠٠ في الحقيقة لم تشهد القرية حفل زفاف من قبل٠٠ ولا أنا أيضًا٠٠ فالزفاف لم يَكن عادة مُنتشرة في قريتنا٠٠ لكن هي كانت تستحق هذا٠٠ لم أكن أعرفها جيدًا٠٠ وكُل ما رأيته منها يَدل على أنها فتاة قوية ولا يستطع أحد تملكها٠ ٠.

جمال كان يَخرج معي يوم بعد يوم٠٠ يتسكع معي خارج جنبات القرية٠٠ لم أكن أحمل وِزر تدبير الأمور٠٠ لم أكن على دراية بالعواقب الوخيمة التي ستحدث إن لم أستفق من غفلتي٠ ٠.

بدأ العديد من حُراس القصر يتساءلون٠٠ هل سيستطرد سعيد العراقي قائمة عائلة العلايلي في تجارة السلاح٠؟ ليس حُراس القصر بالتحديد٠٠ بل كانت القرية كُلها٠٠ هل سيستمر سعيد في قتل الأبرياء كما كانت عائلة العلايلي٠؟!٠

في الحقيقة لم يَكن لدي خيار آخر.. هذه الطريقة المُثلى للعيش في ثراء لم أكن أحلم به.. الأموال التي رأيتها في المخبأ السري حتمًا ستنتهي.. الأمان المُحيط بالقرية تلك الليالي.. حتمًا سيحل موضعه آلام وخوف.. فيجب أن نستعد..

لكن كيف..؟!.. كيف ولا يوجد من يُساعدني في هذا الأمر..؟.. من يعاونني..؟.. فالأهالي ليسوا على دراية بتجارة السلاح.. حتى أنا لا أعرف كيف أدير صفقة سلاح ناجحة دون خسائر..؟..

النزاعات في القرية هدّت كُل ما بُني من مجد لتجارة السلاح.. مات رأفت العلايلي ولم يبق أي أحد حتى من حُراسه..

أنا حتى لا أستطيع النوم..!..

لا أستطيع التفكير كالسابق.. أخاف أن أخطئ فتقع القرية بأكملها.. في السابق كُنت أتحمل نتائج تصرفاتي وحدي.. لكن ما ذنب الأبرياء في تحملها..؟..!..

جَلست مع جمال في القصر.. مُتحدثًا معه مُلقيًا همومي نَحوه.. زفافي سيتم خلال يومين وهُناك العديد من المشاكل التي لم تُحل ولا أعلم كيف ستُحل.. فرد علي بردوده غير الصريحة..:..

---..أنت ترى أن الحل الأمثل هو عودة التجارة.. مضبوط..؟..!..--

---..ليس الحل الأمثل لكنه الأفضل في الوقت الراهن--.. ..

---..على راحتك.. لكن اعلم أن هذا سيتسبب في عواقب وخيمة.. فالشر يُحضر شرًا--.. ..

-----أرجوك يا جمال.. أنا لست بحاجة لسماع كلام غير مُفيد.. أخبرني بما علي فعله!..--

-----من أين ستأتي بالسلاح؟!. السلاح الذي ستبيعه؟!..--

-----في المخبأ السري كمية لا بأس بها.. وأيضًا في مخزن القصر.. كمية ستكفيننا لعملية أواثنتين--. .

صَمت لهنيهة.. وأخذ يُفكر طويلًا حتى ظهر في عينيه بريقًا.. وابتسم:.

-----ما رأيك لو انتظرنا لبعد الزفاف؟!. أنت مُرهق بشدة وتود النوم.. صدقني ستجد حلًاحين تستيقظ--. .

-----أنا لا أعرف.. لا أستطيع النوم يا جمال--. .

-----شيءٌ طبيعي لشخص مثلك--. .

-----وما العَمل؟!..--

-----الله لا يَنسى عباده--. .

-----هل تظن الله سيتقبل توبتي بعد كُل هذا؟. كُل هذه الأخطاء والجرائم وما فعلته؟..--

-----هل سمعت يومًا عن الرجل الذي قَتل تسعًا وتسعين نفسًا وبحث بعدها عن التوبة؟!. يبدو أنك لم تسمع.. لقد كان رجلًا فاجرًا.. فعل كُل ما حرمه الله تقريبًا.. وفي يومٍ أتاه الرجل هاجس التوبة.. فِطرته البشرية.. الفِطرة التي وُلد عليها أن يكون إنسانًا صالحًا.. ولما ذهب لراهب وسأله هل سيقبل الله

توبتي٠٠ قال لا٠٠ فقتله الرجل٠٠ ٠.

ضَحكت٠٠ فضحك جمال من بعدي٠٠ لكن القصة لم تنته هُنا٠:٠

٠٠٠٠لم يهدأ٠٠ وسارع أكثر للوصول إلى التوبة٠٠ ثم سأل واحد من أهل العلم٠٠ فوجده يقول أن باب التوبة مفتوح٠٠ لا يوجد ما يحولك عنها أيًا كانت الأسباب٠٠ وأخبره أن هُناك مدينة أخرى فيها بشرًا صالحون٠٠٠اذهب لها ولا تعد لأرضك أبدًا٠٠ لملم أشياءه وبالفعل شرع في الذهاب إلى المدينة٠٠ ولما وَصل لمنتصف الطريق٠٠ مات يا سعيد٠٠ النداء الأعلى وَصل له قبل أن يَصل هو إلى مدينته٠٠ كُل هذا يُخبرك به الرسول عليه الصلاة والسلام٠٠ بل ويُضيف أن هذا الرجل بعد موته غفر الله كُل ذنوبه٠٠ لأنه وَد فقط أن يتوب٠٠ التوبة دومًا موجودة لكننا لا نراها٠٠٠أو لا نود أن نراها٠٠٠ ٠.

٠٠٠٠٠أستمتع بحكاياتك دائمًا يا جمال٠٠٠ ٠.

٠٠٠٠٠أنا لا أحكي شيئًا٠٠ صدقني كُل هذا أنت تعرفه حق المعرفة٠٠ فهذه طبيعتك التي خلقك الله عليها يا سعيد٠٠٠ ٠.

٠٠٠٠٠سأفعل الخير يا صديقي٠٠ لا تخف٠٠٠ ٠.

٠٠٠٠٠أنا لا أخاف إلا عليك٠٠٠ ٠.

وكأن الله يُرسل لي رسالة من خلال جمال٠٠ ذلك الشاب الهادئ القَنوع٠٠ لم يَكن يشبهني مُطلقًا٠٠ لكني أحببته٠٠ مَر اليومان في سرعة خاطفة٠٠ ولم أر وجهها قبل الزفاف أبدًا٠ ٠.

حُشد الناس٠٠ وجلست ٠(٠فاطمة٠)٠ بجواري مُرتدية فستان

أبيض ويَشمك يُغطي وجهها عدا عينيها٠٠ كان هذا بناء على طلبها كي أشتاق لرؤيتها٠٠ وَضعت بجوارها حارس كي يحرسها إن حدث أي غَدر في تلك الليلة٠٠ وكُلما نظرت لها وجدتها مُطرقة رأسها إلى أسفل٠٠فابتسمت لها٠:٠

٠٠٠٠-٠٠أخشى أن تكوني مغصوبة٠٠-٠ ٠

نظرت لي٠٠ وابتسمت٠٠ ولم تنبس ببنت شفة٠٠ فاعتدلت في جلستي٠٠ ثم أمسكت يدها٠٠ كانت باردة كالثلج٠٠ لا أعلم لماذا٠٠ لكنها لم تكن تُصدر لي أي إحساس بالرهبة مني٠!٠٠ لقد كانت جريئة معي دومًا٠ ٠

كان الزفاف مُمتدًا في شارع من شوارع القرية٠٠ شارع كبير مُمتلئ ولا يوجد به أي مكان لجلوس أي شخص آخر٠٠وفي وسط الناس وجدت واحد من الناس رأيت وجهه من قبل٠٠ لقد كان ٠(٠عامر خفاجي٠)٠ ٠

دَق قلبي٠٠ وشعرت بالخوف قليلًا٠٠ عامر ضابط ذو رُتبة مهيبة في الشُرطة٠٠ الجميع يَخضع له ويهابه٠٠ في حقيقة الأمر لم يكن عامر مُخيف بالنسبة لي٠٠ لكن وجوده في هذا الوقت ذا معنى٠٠ ولن يمر مرور الكِرام٠ ٠

٠(٠عامر٠)٠ لم يَكن ضابط شريف يسعى لتحقيق العدالة وتفشي الكَرم والطيبة بين عامة الشعب٠٠ بل كان ضابط شديد الفساد٠٠ ما عرفني عليه في الأساس هو عملية سلاح صغيرة تمت بين رأفت العلايلي وعامر خفاجي٠٠ عامر ليس وحده بل هُناك من يسنده ويدعمه٠٠ فقوته لم تكن قوة مُنفردة٠ ٠

وَجدته يتقدم نَحوي ليُقدم التهاني٠٠ كان يبتسم ابتسامة مُخيفة٠٠ جمال رأى الخوف في عيني٠٠ فوجدته ينظر لي مُنتظر إشارة صغيرة مني٠٠ لكن هذا لم يحدث٠٠ نهضت لأصافحه فصافحني وعانقني٠٠ وابتسم أكثر وألقى التحية على فاطمة زوجتي٠:٠

٠-٠٠٠-٠هذه مُجرد هدية صغيرة أتمنى أن تتقبلوها٠-٠ ٠.

دخلت فرقة من الحرافيش لتعزف أغاني٠٠ وابتسم مُجددًا ثم ابتعد٠٠ وبدأت الفرقة تعزف٠٠ قلبي لم يَكن مُطمئنًا على الإطلاق٠٠ لكني حاولت تهدئة أعماقي قدر الإمكان حتى لا يَفسد الزفاف وأفسد السعادة على زوجتي٠ ٠.

بدأ عزف الأغاني يعلو٠٠ وكلما أصبح عاليًا كُلما انتفضت أهالي القرية رقصًا وسعادة٠٠ وفاطمة تجلس وحيدة مُنذ بداية الزفاف٠٠ نظرت إلى واحد من الأربعة عازفين وجدته يَضع مُسدسًا في بنطاله٠٠ وعندما دققت النظر وجدت الأربعة عازفين يحملون مُسدسات٠٠ نظرت إلى الحارس ففهم إشارتي٠٠ وَقف أمامنا ليحرسنا ففهم الحُراس المُنتشرين وسط الحشد الإشارة وانطلق الرصاص يغزو قلوب العازفين٠٠ سقطوا جميعًا أرضًا مَقتولين٠٠ في ساحة الزفاف قُتل أربعة أشخاص٠٠ تَفشت الدماء في الأنحاء٠٠ وبدأ أهالي القرية يصرخون ويركضون خارج الزفاف٠٠ وفاطمة تَمسك في ذراعي خائفة٠٠ أخذت نفسًا عميقًا ونهضت لأبحث عن هوياتهم٠ ٠.

جَثوت على رُكبتي وبدأت أفتش بهدوء٠٠ وَضعت في ملابسهم لأبحث عن المُسدسات٠٠ لم أجدها٠٠ لم أجد المسدسات التي

رأيتها مُنذ هنيهة٠٠ أغمضت عيني مرارًا وتكرارًا٠٠ مُحاولًا أن أستفيق٠٠ بحثت بحرص مُجددًا لكني لم أجد أي شيء٠!

لقد قَتلت أربعة أشخاص ليس لهم ذنب٠٠ ذنبهم الوحيد كان خوفي٠٠ ازدردت ريقًا جافًا وبدأت أمسح العرق المُتساقط على جبهتي٠٠ أين المُسدسات٠؟!٠ بدأت أصرخ٠٠ وأصرخ دون أن يسمعني أحد٠٠ نظرت إلى فاطمة٠٠ فوجدتها تنظر لي بخوف حقيقي٠٠ خوف لم أره في عين أحد من قبل٠ ٠

وَجدت جمال يقترب مني٠٠ فوجدت نفسي تلقائيًا٠٠ ودون حتى تفكير أقول٠:٠

٠-٠-٠-٠لقد رأيت المسدسات٠٠ لذلك قتلتهم٠٠ قتلتهم يا جمال-٠-٠ ٠

كان ينظر لي بتشتت واضح٠٠ لا يعرف شعوره نحوي٠٠ يتعاطف معي أم يَقتلني لغباءي المُتفاني٠٠ نظرت لفاطمة فأردفت وعيني قُربت على البكاء٠:٠

٠-٠-٠-٠لقد تعبت يا فاطمة٠٠ والله لقد تعبت-٠-٠ ٠

امتلأت يدي بدماء العازفين٠٠ مددت جسدي على الأرض فأغرورق هو الآخر بدمائهم٠٠ أغمضت عيني سامعًا في عقلي صوت الأغاني التي عُزفت من قبل الحرافيش٠ ٠

ومَنظر الدماء المُنتشر في الهواء لا يُفارق وجداني٠ ٠

٠*٠ ٠*٠ ٠*٠

## (٤)

هل هذه بداية جديدة؟!. أم مُجرد نقطة أخرى في نهاية سطر؟!.

توقف عُمر عن القراءة بعين اغتصبها الأرق والإرهاق.. نظر في الساعة العتيقة المُعلقة على الحائط ليكتشف أن اليوم هو اليوم الموعود.. سيذهب ليبدأ عَمله عند حسن العلايلي.. وسيكون مثل أبيه!.

طالما فكّر في الحياة بمنظور مُسالم.. أن يفعل ما يشاء دون أنيخطئ.. يتعلم من أخطاء السابقين.. لكن ما حدث كان عكس هذا.. شعوره بأن أباه كان غبيًا لاقتراف عديدًا من الأخطاء التي لا تغتفر.. جعله يُفكر في كُل خطوة مُقبلة.. وما الذي سيحدث إن أتى أبوه ورأى كُل تلك المهازل تحدث في قريته؟!.

القرية هادئة.. في تلك الأيام لا يوجد شغب.. مرحلة من مراحل السلام بين أطرافها.. بدأ يتساءل إذا كانت تلك مرحلة سلام أبدية.. أم مُجرد هدوء يسبق العاصفة التي تُطيح بكل شيء؟!.

وضح له أن العاصفة ستكون أباه.. أبوه ذو الغضب العارم والقلب الصارم.. لكن هل سنه سيسمح بالانتقام؟!. أبوه بالتأكيد أصبح عجوزًا الآن.. لن يَقدر حتى على حَمل السلاح.. في قرارة نفسه أصدر أمرًا بأن يتحدث مع الشيخ جمال في تلك النقطة.. .

انطلق النهار يَعدو في السماوات.. خَرج عُمر من بيته بحمل قرب أن يقسم ظهره.. وكعادة هذا الوقت الباكر فأغلب الأهالي في

سُبات عميق٠٠ لا أحد يُفكر في القرية٠٠ لا أحد يُفكر في أبيه٠٠ أبوه صاحب الشأن العظيم في هذه القرية٠ ٠

لِمَ كُل هـذا يَحـدث لـهؤلاء النـاس٠؟!٠ عِنـدما سـمعوا صـوت الرصاصات في زفاف أبيه أخذوا يهرولون بعيدًا مذعورين٠٠ لم يُقرر أحد الدفاع عن سعيد العراقي٠٠ لم يُقرر أحد الدفاع عن أرضه٠٠ بل انفض الجمع هاربًا٠ ٠

تَوقـف عُمـر أمـام القصـر العتـيق والـكَبير٠٠ مكانـه بعيـد عـن الأهالي٠٠ فلا يوجد محلات أو بقالة حوله٠٠ فالقصر مُنفرد وعدد لا بـأس بـه مـن الـحُراس٠٠ المحـلات علـى بُعد شـارع لـيس بالقصير٠٠ من النافذة العُليا في القصر بإمكان صاحبه أن يرى كُل من في القرية٠ ٠

علـى بُعد خطوات من هذا الموضع٠٠ الموضع الذي يَقف عليه مُفكرًا؛ هل ستنتهي حياته الخالية من الذنوب والغفلات هُنا٠؟!٠ علـى بعـد هـذه الخطـوات سـتنتهي حكايتـه التـي تشـهد القرية بطهرها٠؟!٠

لا يعرف٠٠ رُبما لن يعرف أحد على الإطلاق٠٠ نَظر إلى البوابة الحديدية٠٠ التي يسكن خلفها العديد من الأسرار والدماء٠٠ نَظر الحارس إلى عُمر٠٠ فتأمل عُمر نظرات الحارس له وكأنه يُخبره أن لا يَدخل ويَهرب إلى الأبد٠٠ يود الحارس أن لا يكون مثله٠٠ بالتأكيـد هـذا الحـارس الشاب دُمرت حياته إلى الأبد٠٠ ومُهدد بالقتل في أي لحظة٠٠ نظراته تدل على هذا٠٠ أخذ عُمر نفسًا عميقًا٠٠ نَظر إلى القرية مُجددًا٠٠ شوارعها وطرقاتها الضيقة٠٠ بنظرة رُبما هي الأخيرة في حياته الطاهرة٠٠ والأولى في حياته

المليئة بالدماء والجُثث٠ ٠

٠٠٠٠٠لدي موعد مع السيد حَسن العلايلي٠٠٠ ٠

ابتسم الحارس٠٠ وفَتح البوابة بهدوء شديد٠٠ فدَخل عُمر بخطوات مُترنحة وغير واثقة٠٠ قلبه سَكران غير ثابت بموضعه٠٠ وَجد على يمينه ويساره حديقة فارهة غناء٠٠ وعدد ضخم من الأشجار والمقاعد الوثيرة٠٠ نظر أمامه فوجد شخص آخر من الحُراس يقوده نَحو حسن العلايلي٠٠ كان أمامه سلم كبير جدًا٠٠ صعد عُمر مع الحارس فتساءل٠:

٠٠٠٠٠لِمَ كُل هذا الثراء الفاحش٠؟٠ وتقريبًا لا يوجد في القصر سوى الحُراس وحسن العلايلي وابنه٠؟!٠٠٠

ابتسم الحارس ابتسامة خافتة٠٠ ثم رد بهدوء وصوت خفيض للغاية٠:

٠٠٠٠٠أنت لا تعرف شيئًا٠٠٠ ٠

٠٠٠٠٠عرّفني إذًا٠٠٠ ٠

٠٠٠٠٠غير مَسموح لي بالحديث٠٠٠ ٠

٠٠٠٠٠من يسمعنا إذًا٠؟٠ لا تقلق فأنا لا أتحدث كثيرًا٠٠٠ ٠

٠٠٠٠٠نحن نعرفك٠٠ الجَميع في القَصر يعرفك٠٠٠ ٠

٠٠٠٠٠لماذا٠؟٠ أنا لست مُميزًا لتلك الدرجة٠٠٠ ٠

٠٠٠٠٠أنتابن سعيد العراقي٠٠ فجميع من في القصر يهاب سعيد

العراقي ويخافه حتى الكَبير ذاته٠٠ ٠.

٠٠٠٠٠أأنتم في انتظار عودته٠؟!٠٠

٠٠٠٠٠لو كُنت مكانه لِمَ فكرت أبدًا في العودة٠٠ فكبيرنا جاهز بجيش كامل للقضاء على سعيد العراقي٠٠ ٠.

٠٠٠٠٠جيش كامل٠؟٠ أراك تُبالغ٠٠ ٠.

ابتسم مُجددًا٠:٠

٠٠٠٠٠ألم أقل لك أنك لا تعرف شيئًا!٠٠

دَخلا القصر٠٠ ورأى عُمر كُل ما به وتذكر وَصف أبيه وقت حدوث الثورة على رأفت العلايلي٠٠ وَصفه للقصر وما عليه من جمال وتُراث عريق٠٠ لكن من أين أعادوا كل هذه الأثار٠؟٠ لقد قال أبوهأن الأهالي سرقوا كُل محتويات القصر أثناء تلك الثورة٠٠ يَبدو وأنه نسي أن يوضحها في مُذكراته٠٠ وَقف الحارس في قبالة عُمر بشكل مُفاجئ٠٠ ثم أردف٠:٠

٠٠٠٠٠أنا اسمي طلعت٠٠ طلعت موافي٠٠ إن احتجت أي شيء أثناء وجودك في القصر ستجدني في خدمتك٠٠ ٠.

كان طلعت شابًا في مُقتبل العُمر٠٠ يَبدو وأنه رُبي في هذا المكان حتى أصبح مُعتادًا عليه٠٠ فوقفته ليست وَقفة حارس يهاب كَبيره٠٠ إنما واحد عاش في هذا القصر كثيرًا فأصبح لا يهاب شيء٠ ٠.

غادر طلعت بعدما وَصلا إلى غُرفة حسن العلايلي٠٠ وجد الباب

مَفتوحًا فطرق الباب مرات عِدة حتى أعطاه الإذن بالدخول٠٠ لم يكن وَحده بل كان معه سالم٠٠ فتحدث حَسن٠:

٠-٠-٠-٠تَفضل يا ابن العراقي٠٠ تعال وأخبرنا نُكتة فنحن نشتاق للضحك٠-٠ ٠.

ابتسم عُمر٠٠ وبدأ يتحدث بصوت هادئ٠:

٠-٠-٠-٠لكنـي لست هُنا لإلقاء النكات وإضحاك سيادتكم٠٠ أليس عَمل٠ ٠. ٠. ٠-٠. ٠.

٠-٠-٠-٠عَملك أن تفعل ما نُمليه عليك يا ابن العاهرة٠-٠ ٠.

كان هذا سالم٠٠ نَهض ليضرب عُمر فأوقفه أبوه٠٠ ابتسم حسن بعد هدوء ابنه٠:

٠-٠-٠-٠لم يُخطئ سالم يا عُمر٠٠ فعملك عندنا أن تفعل ما تؤمر به أيًا ما كان٠-٠ ٠.

٠-٠-٠-٠لكني أتيت إلى هُنا لعمل مُعين٠-٠ ٠.

٠-٠-٠-٠صـدقني عملـك أن تفعـل مـا نُريـده٠٠ صياحك وذكاءك لن يفيـدك هُنـا كثـيرًا٠٠ فكلمتـي هي السيف٠٠ ثم من بعدي كلمة ابني٠-٠ ٠.

شعر بالغضب٠٠ لكن هذا لا يُنفي حقيقة الأمر٠:

٠-٠-٠-٠هيا الآن أخبرنا نُكتة قبل ذهابك لليلة الكبيرة٠-٠ ٠.

٠-٠-٠-٠الليلة الكَبيرة٠؟!٠-٠

-----ألم أخبرك؟!. إنها المفاجأة---- .

-----أي نوع من المفاجأة؟!.----

-----ألن تخبرنا النكتة؟!.----

فكّر مليًا.. ثم قال بفراغ صبر:.

-----قيل يومًا في بلد ما أن هُناك سلطانًا ظالم.. جائر.. لا يخاف أحد.. بل ومن شدة فخره واعتزازه بنفسه جعل كُل من حوله يعبدونه.. وإن أتت الشجاعة واحد من أهل البلدة ووَقف أمامه.. قَتل أهله وأطفاله.. واغتصب زوجته بنفسه أمام عينيه.. حتى جاء يوم على تلك البلد وبدأ السلطان يَمل.. فالظلم ملأ البلد بأكملها وكُل من به يعبدونه.. بدأ السلطان يَنزل بنفسه إلى البلد ويَقتل أي شخص يراه..إلى أن جاء واحد من حُراسه.. أخرج السيف من غمده وذبحه أمام الناس.. هل تعرف ما الذي فعلوه؟!.----

بدا حسن وسالم مُستمتعين بالقصة.. كان يخشى أن يُعلق أحدهم ويصيح فيه:.

-----قتلوا الحارس.. وذبحوه مثلما ذبح سلطانهم.. لماذا؟!. السبب بسيط جدًا.. لقد اعتادوا الظلم.. اعتادوا أن يتم قهرهم وقتل العديد منهم دون أن ينبس أحدهم ببنت شفة.. ولما جاء واحد مُغير في حياتهم البسيطة.. ذبحوه---- نظر سالم إلى أبيه.. ثم قال إلى عُمر:.

-----لكني لم أضحك يا عُمر.. يالها من نُكتة سيئة---- .

ثم نهض وصفعه على وجهه صفعة شديدة٠٠ فنظر حسن إلى عُمر بغضب٠٠ وانفجر ضاحكًا بدون مقدمات٠٠ نَظر عُمر له مُتألمًا٠٠ مُتعجبًا من طريقة ضحكه الغريبة٠٠ وجد عينيه تدمعان من شدة الضحك٠٠ هدأ قليلًا٠٠ وقال لـ٠(٠عُمر٠)٠:٠٠

٠٠٠٠-٠٠٠في المرة القادمة ابحث عن نُكتة مُضحكة أكثر من هذه٠٠٠ ٠.

خَرج من الغُرفة بعد أن استأذنهما٠٠ غاضبًا كأنه لم يغضب قبلًا٠٠ لكنه كان مُتسامح مع كُل هذا٠٠ فتلك هي ضريبة دخول هذا الطريق٠٠ سيدهسون كرامته دهسًا٠٠ هذا ما توقعه٠٠ وهذا ما يحدث فعلًا٠ ٠.

كان الرواق الذي يقف فيه واسع بشدة٠٠ والسلالم تحتويه من كُل جانب٠٠ ألوان القصر كانت زاهية٠٠ تُؤثر على النفس إيجابًا٠٠ فاللون الأخضر الفاتح والأزرق يُسيطران على ألوان السِجاد٠٠ أما الأبيض فيُسيطر على السلالم وكأنه في قصر من قصور قديمة٠٠ يَنظر ليجد في الأسفل باقة من العاملات بالقصر٠٠ ست سيدات٠٠ مُرتديات زيًا واحدًا أبيض اللون٠٠ ومن الواضح أن هُناك ما يوترهن٠٠ اختلس النظرات بهدوء ودقق سمعه حتى يعرف ما الحوار الدائر بينهن٠٠ لكن وبدون أي إنذار٠٠ سَمع صوت همس بجواره٠٠ صوت يُناديه لكن بهدوء شديد٠٠ نظر بجواره فوجدها فتاة٠٠ تَكبره بعام أواثنين أو رُبما في مثل عُمره٠٠ أشارت له بأن يذهب وراءها٠٠ لم يكن يعرفها ولم يكن يعرف ما الذي تُريده٠٠ سار خلفها وعيناه تجيل المكان يمينًا ويسارًا حتى لا يُهينه أحدهم٠ ٠.

دَخلت الفتاة في رِواق جانبي آخر٠٠ وتوقفت فتوقف عُمر

وبينهما مسافة كبيرة حتى لا يَشك أي شخص بأمرهما٠٠ بالرغم من أنه لا يوجد أحد بالجوار لكن الشَك يُحاوطه أكثر من أنفاسه٠٠ كانت فتاة جميلة بحق٠٠ تقريبًا تلك المرة الأولى له يرى فيها فتاة بدون حِجاب في قريته٠ ٠

بسبب تقاليد القرية وتعاليمها٠٠ فمُحرم على الفتاة أن تخرج بشعرها٠٠ يبدو غير طبيعي وغير مألوف٠٠ لكن الحياة في القرية من أصعب ما يكون للفتيات خصيصًا٠ ٠

كان شعرها أسود اللون٠٠ مُنسدل على كتفيها٠٠ عيناها تُرسل بريقًا غريبًا تجاه عُمر٠٠ جذابةً وللوهلة الأولى يشعر بأنها قوية الشخصية٠٠ طويلة إلى حد كبير٠٠ في طوله رُبما أقصر قليلًا٠٠ ترتدي ملابس سوداء عارية الكتفين٠ ٠

ولأن عُمر أصبح شابًا الآن٠٠ غض بصره كما يأمره دينه٠٠ وظل مُطرقًا رأسه في الأرض٠٠ بعدما – بالطبع – نَظر إليها لعدة دقائق٠٠ ثم جاءه صوتها يُطمئنه٠:

٠--٠٠٠--اطمئن فلن يرانا أحدٌ هُنا--٠٠ ٠

شعر بالتوتر والخوف٠٠ فأخذ نفسًا عميقًا وأخرجه بهدوء من أنفه٠:

٠--٠٠٠--من أنت وما الذي تُريدينه مني٠؟--٠

٠--٠٠٠--ستعرفني عاجلًا أم آجلًا٠٠ لكن ما أود أن تعرفه أنني لست مثل الباقين--٠٠ ٠

٠--٠٠٠--وكيف لي أن أعرف أن هذا ليس فخ مُدبر لأجلي٠؟!٠--٠

-٠-٠-٠-لا أعرف٠،٠ رُبما لن تعرف أبدًا٠،٠ كُل ما أتيت لأقوله لك-٠- ٠.

اقتربت قليلًا منه٠،٠ ثم أخرجت صورة من جيبها وأعطتها له٠:٠

-٠-٠-٠-لست وَحدك في هذا القصر-٠- ٠.

ابتسمت فنظر عُمر إلى الصورة٠،٠ كانت لشخص غريب ذو شارب أشعث غير مُتساوٍ٠،٠ وجهه يقول أنه كان صارمًا٠،٠ بارد المشاعر ومحتدم الملامح٠،٠ نَظر عُمر إلى الفتاة ليسألها من هذا الرجل٠،٠ نظر إلى الجانب الآخر من الصورة فوجد جُملة واحدة جعلت قلبه يَرتطم بجدار ألمه٠:٠

-٠-٠-٠-سعيد العراقي٠،٠ ١٨ أبريل-٠- ٠.

لقد كان أباه٠،٠ أبوه الذي حَلم دومًا أن يراه٠،٠ ويتأمل ملامحه غيرالواضحة في تلك الصورة نظرًا لزمنها البعيد٠،٠ لم يتمالك نفسه فبكى من شدة اشتياقه لرؤيته٠،٠ خائفًا أن لا يعود أبدًا ويَتركه في هذه المِحنة٠،٠ وحيدًا كما اعتاد دومًا على تركه وحيدًا٠ ٠.

-٠-٠-٠-سعيد العراقي سيعود٠،٠ أنا وأنت مُهمتنا أن نُمهد الطريق لعودته-٠- نَظر إلى الفتاة٠،٠ وكأنها نجدة جاءت من السماء لتُنجده وتطمئنه٠،٠ إنها غريبة عنه لكنه اطمأن فقط لرؤيتها أمامه٠،٠ ابتسم لها بالرغم من دموعه٠،٠ وعِندما خَرجت بعض الأحرف من فَمه ابتعدت الفتاة وتبخرت من أمامه كالشبح٠،٠ نَظر وراءه ليجد سالم٠،٠ اقترب منه فأخفى عُمر الصورة سريعًا٠:٠

-٠-٠-٠-هل تظن أنك ذكيًا٠؟!٠-٠-

٠-٠-٠-٠ليس ذنبي أنك غبي فتريد أن ترى من حولك مثلك٠-٠ ٠.

شعر سالم بالإهانة في قصره٠،٠ في وِسط أهله٠،٠ فبات وجهه أصفرًا٠:٠

٠-٠-٠-٠أنت تُهينني٠!٠-٠

٠-٠-٠-٠يبدو ذلك٠-٠ ٠.

فصفعه صفعة قوية على وجهه مُجددًا٠،٠ بالرغم من ألم الصفعة إلا أن عُمر لم يتحرك من موضعه٠،٠ ولم يُصدر أي إشارة تدل على الألم٠،٠ لم يَكن خائفًا٠،٠ يبدو وأن تلك الفتاة أعطت له ما كان يُريده وهو الدافع الحقيقي للانتقام٠ ٠-٠-٠-٠أنت جبان يا سالم٠،٠ لا تقوى حتى على الرد لأنك لا تستطع الرَد٠-٠ ٠.

وكأن سالم يَشعر بالقوة فقط عندما يَكون أبوه حاضرًا٠،٠ يشعر بأن هُناك من يُدعمه ويقويه٠،٠ لكن الآن لا أحد بجواره٠،٠ فهو وعُمر فقط في مُنتصف الرِواق الفارغ من البَشر٠:٠

٠-٠-٠-٠الفارق الوحيد بيني وبينك يا سالم هو أنني أتعامل بعقلي وأفكر به قبل أن أضرب بيدي٠،٠ لكنك وبدون أي تفكير تضربني لأنك تظن أن الضرب والصفع هي الوسيلة الوحيدة للترهيب٠-٠ ٠.

ابتسم سالم بوجهٍ مُرتعب٠،٠ فقط ليُبين لـ٠(٠عُمر٠)٠ أنه قويًا ولا يخشى شيئًا٠:٠

٠-٠-٠-٠بإمكاني أن أقتلك الآن٠،٠أنت تعلم هذا صحيح٠؟٠!٠-٠

٠-٠-٠-٠نعم يا سالم أعلم٠،٠ لكن أنت لا تستطع فعل هذا لسببين٠-٠ .

.

.....وما هُما؟!..

ابتسم عُمر ثم استدار عائدًا إلى غُرفة حسن العلايلي.. وقال بصوت خفيض..:

.....في الحقيقة لا أتذكرهما الآن..... .

أخرج سالم مُسدسه.. وصوبه ناحية عُمر.. توقف لما سمع صوت المُسدس يُجهز للإطلاق.. شعر بالخوف قليلًا لكنه التفت قائلًا..:

.....السبب الأول أنك أجبن من أن تقتلني.. أنت تعرف أني أقوى منك وأذكى منك.. قتلي لن يُريحك.. بل بعد أن تقتلني هُنا ستُفكر في كلامي وأقوالي التي قُلتها لك.. وستعرف أنني على حق.. فقتلي لن يُريحك على الإطلاق إنما سيُسبب لك عُقدة نفسية أنك لم تستطع التغلب عليّ سوى بمُسدسك وطلقات تخترق صدري ورأسي.. أما الثاني فهو أن أباك أعطاك أمرًا بأن لا تقتلني لأنه يحتاجني عندما يحين الوقت وتبدأ الحرب في هذه القرية.. فأنت لن تستطيع أن تعصي أمرًا لأبيك.. لأنك وبكل بساطة تخاف من غضبه..... .

التفت عُمر مُجددًا.. وغادر المكان بخوف وقلق شديدين أن يُرسل سالم رُصاصة إلى ظهره تجعله في سُبات مُخلد.. ابتسم عُمر لمّا شعر بالقوة لأول مَرة.. وابتسم مُجددًا لما شعر بأن أسلوبه في الحديث قد تأثر بأسلوب الشيخ جمال. . شعر بالسعادة في مكان غريب.. مكان رائحته دماء وغَدر. .

يَبدو وأن هُناك العديد من الأسرار التي لم يَكتبها أبوه في المُذكرات..!.

.*. .*. .*.

هدأت رياح الليل.. نسمات البرد تَحل قلبه.. يرتجف كضوء مشكاة.. ويداه ترتعشان من هول أفكاره.. فاليوم هو اليوم الأول.. على الرغم من أنه اطمأن قليلًا لما جاءته تلك الفتاة الغامضة.. إلا أنالشاحنة التي يجلس فيها حالكة الظلام.. والطريق هادئ تمامًا كهدوء المقابر.. الآن عُمر مُتجه مع عدد لا بأس به من رجال حسن العلايلي للعملية الأولى.. عملية بيع سلاح.. .

كان جالسًا في مؤخرة الشاحنة.. مُمسكًا بيده مُسدسًا لا يعرف حتى طريقة إطلاق الرصاص منه.. وأمامه عدد ضخم من الحقائب المُمتلئة بالسلاح من شتى أنواعه.. لم يُصدق أنه وَصل إلى هذه المرحلة.. مُعتقدًا أن هذا مُجرد حلم وسيستيقظ منه ليُكمل مُذكرات أبيه.. .

لم يَكن وحده في مؤخرة الشاحنة بل كان معه رجلان آخران.. جالسان في هدوء بحوزة كُل واحد منهما بندقية آلية.. طلعت كان واحد منهما.. الحارس الذي قابله في صباح هذا اليوم المشؤوم.. .

-..-..يبدو وأن المسافة بعيدة للغاية يا طلعت.. أليس كذلك؟..-

نظر له شاعرًا بيديه ترتجفان.. لم يعرف من برودة الجو أم من

خوفه من التجربة الأولى،، ابتسم طلعت::

----ليست طويلة،، لكن خوفك ما يُطيلها--. .

----أنا لست خائفًا--. .

----لا تُنكر هذا يا عُمر،، كُلنا كُنا مثلك،، خائفين،، سراويلنا ابتلت من شدة الخوف،، هل سنقتل؟!. هل سيُقبض علينا؟!. لكن في حقيقة الأمر لم يحدث أي شيء من هذا،، نحن في أمان--. .

----هل تُصدق نفسك؟!. هل تستطع النوم ليلًا كما كُنت في السابق؟!--

----لا أستطع،، لا أحد منا يستطع،، تخاف أن تنام نومًا عميقًا فلا تستيقظ أبدًا بسبب رصاصة اخترقت أحشاءك--. .

----إذًا لماذا تقول أنك في أمان؟!--

----لكي أقنع نفسي بهذا،، صدقني لن تكون سعيدًا وأنت تُردد يومًا بعد يوم أنك في خطر--. .

بدأ يقتنع بكلامه قليلًا،، وشعر بأن طلعت يخاف الحياة أكثر من الموت::

----هل أنت مُتزوج يا طلعت؟!--

ضحك،، ثم ردّ عليه بهدوء مثالي::

----لا،، لأني أجبن من هذا--. .

-----هل أنت سعيد في حياتك إذًا؟!-

-----لست سعيدًا لكني راضيًا وهذا يكفي- .

-----ما الذي جعلك تَدخل هذا الطريق؟!-

-----أحببته، وجدت نفسي فيه فسلكت دربه- .

-----لم تندم على هذا؟!-

-----أندم كُل ساعة في حياتي- .

هُنا تدَخل الشخص الثالث الصامت، وقاطع طلعت بحدة شديدة:

-----اخرس يا طلعت، لا تتحدث أكثر من هذا، إنهم يسمعوننا تذكر هذا- .

-----دعهم يسمعون، أنا لم أعد خائفًا منهم أبدًا- .

-----تذكر ما حدث- .

-----لا أنساه أبدًا- .

-----سيفعلونه مُجددًا إن لم تصمت- .

-----لم تعد روحي بالجوار حتى أخاف شيء، لقد قتلوني بالفعل- .

انتاب عُمر الفضول، يود أن يعرف ما الذي حَدث لطلعت يجعل كلامه مُضطرب إلى هذا الحد، مرة يقول أنه سعيد بحياته

وراضٍ عنها٠٠ وبعدها بدقيقة يقول أنه نادم على دخول هذا الطريق٠٠ استطرد الرجل الصامت حديثه٠:

٠٠٠٠-إنهم يسمعوننا٠٠ أقسم لك يسمعوننا ويعرفون ما نقوله٠٠ أرجوك اصمت ولا تتحدث أكثر من هذا٠٠ ٠.

٠٠٠٠-لقد تعبت يا فريد٠٠ ٠.

٠٠٠٠-وأنا أيضًا٠٠ لكن لا مجال للعودة صدقني٠٠ إن عُدنا لن يَكون مُجرد قَطع جُزءًا من أجسادنا٠٠ بل سيكون قطع رؤوسنا٠٠ ٠.

٠٠٠٠-أهون عليّ من أن أعيش الحياة بتلك الطريقة٠٠ ٠.

ثم توقفت الشاحنة٠٠ وسمعوا صوت سالم يُنبههم٠:

٠٠٠٠-يا أولاد العاهرات٠٠ هيا لقد وَصلنا٠٠ ٠.

نزل عُمر وطلعت وفريد من الشاحنة٠٠ نظر إلى الأجواء المحيطة فوجد نفسه في صحراء خالية من أي شيء يُذكر٠٠ وبرودة غير طبيعية٠٠ الهواء يَلفح وجهه وكأنه يود أن يُسقطه أرضًا٠ ٠.

تَحرك عُمر بهدوء من شدة الخوف٠٠ ناظرًا أمامه ليجد سيارتين من اللون الأسود٠٠ بسبب عدم فِهمه في نوعيات السيارات٠٠ لكنه يُجزم أن نوع هذه السيارة فاخر للغاية٠٠ وَجد عددًا من الناس٠٠ قرابة عشرة أشخاص واقفين أمام السيارتين وأمامهم ثلاث حقائب سوداء٠٠ من الواضح أن هُناك كبيرًا لهم أيضًا٠٠ فكبيرهم يقف في المُنتصف بالتحديد٠٠ أما سالم كان معه خمسة حُراس وثلاثة يحرسون الأسلحة٠٠ وعُمر كان واحد من

حُراس الأسلحة٠ ٠

اقتـرب سـالم مـن الرجـل٠، الـكَبير٠، صـافحه ثـم عانقـه عنـاقًا شـديدًا٠، وكأنـه يعرفـه تمـام المعرفـة٠، كـان الرجـل وسـيمًا٠، وكبـيرًا فـي السـن أيـضًا٠، أصـلع الـرأس اللهم عـددًا صغيرًا من الشعيرات في الحافتين٠، ولحية بيضاء مُهذبة بشكل أنيق٠، ابتسم الرجل الغامض وبدأت عملية نقل السلاح٠، دخل خمسة رجـال إلـى الشـاحنة٠، فتحـوا الحقـائب لـيطمئنوا أن الأسـلحة المَطلوبة هي الموجودة٠، فقال سالم بلهجة خائفة قليلًا٠:

٠---٠هُناك مشكلة صغيرة فقط يا رضا باشا٠-- ٠

لم ينبس ببنت شفة٠، فقط أومأ برأسه٠:

٠---٠بريتا ٩٠٠٠ غير مُتوفر منه سوى خمسة فقط٠-- ٠

صُدم الرجـل٠، الـذي يُطلـق عليـه رضـا٠، ثـم اقتـرب مـن سـالم قليلًا٠:

٠---٠أنـت تعلـم يـا سـالم أن البريتـا هـو أكثـر شـيء مَطلـوب هـذه الأيام٠، فالكُل يريد حماية ذاته٠!٠--

٠---٠أعلم يا باشا٠، لذلك ٠(٠ألستار٠) ٠ موجود وبكثرة معنا٠-- ٠

٠---٠لا٠،٠أنا لا أحب هذا النوع٠، ثقيل جدًا على المُبتدئين٠-- ٠

٠---٠لكـ٠ ٠. ٠--٠ ٠

أشار له أن يصمت٠، فاقترب منه حتى توقف في قبالته تمامًا٠، سالم كان خائفًا وهذا كان واضح على أمارات وجهه٠:

-----هذا خطأ لا يُغتفر يا سالم.. وأنت تعلم أن هذا الخطأ ارتُكب من قبل مع أبي---..

-----لكن لم يكن خطأنا.. كان خطأ..-..-..-..

-----ليس ذنبي أن أطلب نوعًا معينًا ويأتيني الرد وقت التسليم---..

-----ظننت أن أبي أخبرك!.--

أغضبته الكلمة.. فأطرق رأسه إلى الأرض ثم ابتسم:.

-----وهل أنا أتحدث الآن معك أم مع أبيك.؟!.--

وتغيرت ملامحه في لحظة.. وصاح فيه:.

-----كُن رجلًا يا ولد!.--

نظر سالم في الأرض طويلًا.. شعر بالإحراج وَسط حُراسه.. ضحك رضا مُحاولًا تخفيف أجواء التوتر:.

-----قيل لي أن ابن العراقي هُنا.. هل هذا صحيح.؟!.--

ارتخت أعصابه.. وكأنه سيُغشى عليه من الخوف.. أطرق رأسه أرضًا مُحاولًا أن يَقتل إحساسه بالخوف.. لكنه وَجد رضا يقترب منه.. يقف أمامه مُتحدثًا بصوته ادئ:.

-----أأنت ابن العراقي.؟!. أنت لا تشبهه إطلاقًا---..

ابتسم ومدّ يده ليُصافحه.. فصافحه عُمر:.

٠-٠-٠-٠أبوك لم يَكن جبانًا مثلك يا وَلد٠-٠ ٠

٠-٠-٠-٠أنا لست جبانًا٠-٠ ٠

٠-٠-٠-٠أبوك كان أجبن منك٠-٠ ٠

ضحك كُل الواقفين عدا طلعت٠، فغضب عُمر قليلًا وتمنى أن تنشق الأرض وتبلعه لكي ينتهي من هذا الموقف٠:

٠-٠-٠-٠هل تعلم أن أبي عامر كان يَكره أباك بشدة٠، لدرجة أنه كاد أن يقتله في نفس هذا الموضع الذي تقف فيه٠-٠ ٠

بدأ عُمر يربط الأشخاص ببعضهم في عقله٠، هذا الرجل ٠(٠عامر٠)٠ جاء لأبيه سعيد في فرحه٠، وأهداه الحرافيش الذين قتلهم أبوه بالخطأ٠، فكيف أن يكرهه وهو يُهديه هدية مثل تلك في زفافه٠؟!٠، إذًا هذا الرجل ٠(٠رضا٠)٠ الذي يقف أمامه٠، هو ابن عامر خفاجي٠، ضابط الشُرطة الفاسد٠ ٠

من مُذكرات سعيد العراقي٠:

٠(٠عامر٠)٠ لم يَكن ضابط شريف يسعى لتحقيق العدالة وتفشي الكَرم والطيبة بين عامة الشعب٠، بل كان ضابط شديد الفساد٠، ما عرفني عليه في الأساس هو عملية سلاح صغيرة تمت بين رأفت العلايلي وعامر خفاجي٠، عامر ليس وحده بل هُناك من يَسنده ويُدعمه٠، فقوته لم تكن قوة مُنفردة٠ ٠

إذًا سالم يخاف رضا ويهابه لأنه بالتأكيد وُرث هذا العمل عن أبيه٠، ولا يستطع رد له الصاع صاعين لهذا٠، الدائرة تلتف يومًا بعد يوم٠، ساعة بعد ساعة٠، وحتمًا ستنقلب الطاولة٠ ٠

-.-.-.هل تعلم أين أبوك الآن؟!. اشتقت إليه وأود فقط أن أجعله يلعق حذائي-.- .

نظر عُمر إليه.، لا يعرف كيف أتته القوة أن ينظر له تلك النظرة القوية التي لا تخشاه أبدًا!:.

-.-.-.لو كُنت مكانك لتمنيت من كُل قلبي أن لا يعود أبدًا!. لأنه إن عا. . . .-.- .

-.-.-.أنا أشعر ببعض الإهانة هُنا؟!. هل يقول هذا الصغير الذي لم يَبلغ الحُلم شيء يا سالم؟!.-.

دَخل سالم مُحاولًا فض الجَمع بينهما!. وصَفع عُمر صفعة تأديبية علـى وجـهه ممـا جعلـت أذنـه تُصـدر صـوتًا مُزعـجًا!. جعلـه لا يستطيع سماع بقية الحديث!. وَضع يده على أذنه مُغمضًا عينيه من شدة الألم!. لكنه نظر لسالم ورضا!. ثم قال!:.

-.-.-.إن عاد أبي سيقتلكم جميعًا-.- .

نَظر سالم له ثم جثا على رُكبتيه مُدنيًا منه!:.

-.-.-.يبدو أنك لا تُريد الصمت يا ابن العاهرة-.- .

أشار إلى طلعت كي يَدخل ويضربه!. فتوقف أمام عُمر ناظرًا إليه!. وعيناه تود أن تقول له!.-.-.سامحني!. سيقتلونني إن لم أفعل ما أؤمر به-.-!. ثم ضربه أكثر من مرة مُحاولًا أن يخفف وطأة يده وقدمه!. لكن عُمر لا يشعر بأي ألم!. لأنه أغشي عليه بالفعل. .

.*. .*. .*.

عندما فتح عينيه بهدوء شديد.. وَجد نفسه في بيته مُحاطًا بأمان عجيب.. يَبدو وأن المكان هو الشيء الوحيد الذي يُشعرنا بالأمان ليس إلا.. رأسه كانت أشبه بثمرة قُسمت نصفين.. ووجهه مُخدر بطريقة مُريبة.. لا يشعر بأي شيء سوى صُداع قاتل يَدك رأسه.. .

وجد شيخه جالسًا على المقعد.. ناظرًا إلى الأعلى ينتظره أن يستيقظ.. كان الشيخ جمال حزينًا لرؤيته هكذا.. كدمات وأثار أياد على وجهه.. ليته لم يَسلك هذا الطريق.. طريق ليس له نهاية.. فقط دماء في كُل أرجاءه.. .

عندما اعتدل عُمر في جلسته احترامًا للشيخ.. وجده يُشير له أن يعود كما كان ليستريح.. كان خجلًا من الشيخ.. خائفًا من ردة فعله لكنه في نفس الوقت يود أن يحتضنه بطريقة غريبة.. ويخبره أنه أخطأ لما سلك هذا الدرب.. لكن جاءه الرد من الشيخ قاسيًا:.

--.. --هل أنت سعيد بهذا يا ابن العراقي.؟!..--

تأمل عُمر قسمات السقف.. ونظر ناحية الشيخ:.

--.. --لم أكن سعيدًا أبدًا..-- .

--.. --لِمَ ولجت لهذا الطريق.؟!. حذرتك مرارًا وتكرارًا..-- .

--.. --لأني أود أن أكوّن خبرتي الخاصة.. حياتي التي لا تهم أحد غيري--.. .

-.- -.-حياتك تَهم حياة كُل فرد في القرية-.- .

-.- -.-بل حياة أبي-.- .

-.- -.-أبوك هو أنت.،.أنت سعيد العراقي-.- .

-.- -.-أنا لست سعيد العراقي-.- .

-.- -.-أبوك أن عاد لن تعود القرية كما كانت وسيحتاج لأشخاص يعملون معه للدفاع عن أفرادها-.- .

-.- -.-هل أبي يشعر بالسعادة بما يحدث لي الآن.؟.!-.-

تجهمت ملامح الشيخ.،. حاول إخفاء حُزنه تجاه ما يَحدث.، لكنه فشل تمامًا.، كطفل يُخفي وجهه بكفيه.، ثم رد بنبرة مُمتلئة بمشاعر ودودة.:

-.- -.-أبوك لم يكن سعيدًا أبدًا-.- .

-.- -.-لكنه يرى الآن ويعرف كُل شيء.؟.!. لِماذا لا يأتي ويُخلصنا من هذا الظلم.؟-.-

-.- -.-محاربة الظلم بظلم أقل ستؤدي إلى خسارة-.- .

-.- -.-أين هو.!. أنا أود أن أراه فقط-.- .

فتَذكر الصورة.، وَضع يده في جيبه كي يأخذها.، تألم قليلًا بسبب قدمه إثر ضربة سالم القديمة.، وأعطى الصورة للشيخ جمال مُنتظرًا منه أن يُفسر كيفية حدوث هذا.، احتد وَجه الشيخ.، وتحولت ملامحه إلى ملامح شخص آخر لا يعرفه

عُمر.. أو لم يره في وجه الشيخ أبدًا..

-- --كيف وصلت لك تلك الصورة..؟ من أعطاها لك..؟!..--

-- --فتاة كانت في القصر.. فتاة غريبة لم أرها من قبل--. .

-- --صفها لي..!--

بدأ يتذكر شكلها.. في وسط توتر من الشيخ.. فوصفها له بكامل ملامحها.. وانتظر رد الشيخ..

-- --من هذه الفتاة يا عُمر..؟!--

-- --كُنت أنتظر أن تجيبني أنت يا شيخ..! فلقد كذبت علي وقلت لي أنه لم يَكن سوى صورة واحدة لأبي-- .

-- --بالفعل لا يوجد سوى صورة واحدة له.. وهي بحوزتي..!--

شعر عُمر بالغضب قليلًا لكنه أحكم زِمام أموره..

-- --إذًا لماذا كَذبت عليّ أول مرة سألتك عن الصورة..؟!. وأخبرتني أن لا أحد يعرف مكانها حتى أنت..!--

توترت ملامح الشيخ.. ابتلع ريقه وبدأ يتلعثم بكلام غير مفهوم.. حتى أردف..

-- --كان في نيتي أن أريها لك-- .

-- --أنت تكذب يا شيخ.. عار عليك أن تكذب وأنت اسمك الشيخ جمال..! ألا تشعر بالإحراج وطفل مثلي يُناديك بالكاذب..! --

---اصمت يا عُمر--- .

---لم تكن كاذبًا بارعًا فبسبب خطأ صغير لم يكن في الحُسبان كُشف كذبك--- ---قُلت اصمت--- .

---كيف لأبي أن يُرافق شخص يكذب مثلك يا شيخ؟!---

---لقد قلت اصمت يا ابن العاهرة،اصمت--- .

نهض الشيخ وأماراته كانت قاسية، فتلك المرة الأولى لُعمر أن يرى الشيخ جمال غاضبًا وغير مُتزن، أيضًا تلك المرة الأولى التي يسمع فيها شيخه يَسب بلفظ مثل هذا!

خَرج من المنزل وأغلق الباب بعنف حتى فَزع عُمر، ما أصعب تلك الليالي!

حتى شيخه، الرجل الذي ربّاه وبمثابة أب له أصبح ضده، كُل شيء في هذا العالم ضده، يود أن يَفتح النافذة، يسمع صوت العصافير، ويقفز ليتناغم صوت ارتطام رأسه بالأرض مع صوتهم، ياله من مشهد تراجيدي رائع!

لكن في حقيقة الأمر لن يتناغم صوت ارتطام رأسه بالأرض مع صوت العصافير، ولن يكون مشهد تراجيدي، بل سيكون مشهدًا قاسيًا، مليء بالدماء، ورأسه تنفجر ومُخه يطير بجوار العصافير بل تحتهم قليلًا .

ظل كما هو، كما كانت وضعيته، رأى بجواره ذلك الدفتر، الشيء الوحيد الباقي من رائحة أبيه، نظر له ثم أخذه بهدوء

وفتحه حيث توقف٠٠ ليُكمل قراءة قصة أبيه الراحل٠ ٠

.*. .*. .*.

من مُذكرات ٠(٠سعيد العراقي٠)٠:٠٠

انتهى الزفاف٠٠ ولازالت الدماء على ملابسي٠٠ دماء المظاليم تلتف حول عنقي وتُدمرني٠٠ كانت الصدمة تجتاح زوجتي التي – وللمرة الأولى تقريبًا – ترى دماء بتلك البشاعة٠ ٠

دَخلنا القصر فوجدت الطبّاخ حضر لنا طاولة شهيّة بمساعدة زوجته٠٠ مليئة بالطعام الذي تشتهيه الأنفس٠٠ رأيت المنظر فلم أقوحتى على إطعام نفسي من شدة الكآبة٠٠ ألم يكن هذا زفافي٠؟!٠ إذًا لماذا لم أشعر بالسعادة٠!٠

دَخلت زوجتي الحمام لكي تُبدل ملابسها٠٠ وانتظرته أأنا في الخارج شاعرًا بألم عميق٠٠ لكن يجب أن أنسى ما حدث هذه الليلة فقط٠٠ فاليوم هو اليوم الموعود الذي طالما انتظرته٠٠ ولأنك يا بُني صغير السن وأنا لا أود أن أجعلك تفقد احترامك وتعرف ما لم يحن لكأن تعرفه٠٠ سأحاول شرح لك ما حدث تلك الليلة باحترام شديد٠٠ لكن لا تدعني أسبق الأحداث٠ ٠

عندما خَرجت فاطمة من الحمام وجدت عينيها مُخضلتين من البكاء٠٠ فيهما حُزن الدنيا والآخرة٠٠ شعرت بأن أهلها قد غصبوها عليّ وأنها لم تتزوجني إلا لطاعة أهلها فقط٠٠ وهذا الشعور مكّن قلبي من الانقلاب علي٠٠ ذهبت إليها وجلسنا على طاولة الطعام٠٠ وجدتها تَنظر إلى الطعام ولا تمد يدها٠٠ لا أعلم خائفة أم تخجل مني٠!٠٠ فتحدثت معها بصوت هادئ٠:٠

٠٠٠٠٠أخشى أن تكوني مغصوبة يا بنت الحلال٠٠ ٠.

وجدتها تَنظر إلي٠،٠ وبدون أي مقدمات وجدتها تَبكي بحرقة٠،٠ صدقني يا بُني أنا لم أر شخصًا يبكي بتلك الحُرقة أبدًا!٠،٠ اقتربت منها وشعرت بالخجل أن أضع يدي على كتفها لأطمئنها٠،٠ أضمها إلى صدري ليخبرها قلبي كم هو يحبها٠،٠ لكني وجدتها تتحدث مع صوت بكاءها٠:٠

٠٠٠٠٠أنا أحبك يا سعيد٠،٠ والله ما أحببت أحدًا بهذا القدر أبدًا٠٠ ٠.

بدأ قلقي يزيد٠،٠ هي تُحبني إذًا لما كُل هذا البكاء٠؟!٠ أخبرتها تساؤلي فجاءني الرد المُفجع٠:٠

٠٠٠٠٠أنا أخاف عليك منك٠،٠ أخاف أن تأتيني بعد بضعة أيام مقتولًا ولا أحد يستطع إنقاذك٠،٠ أخاف أن أعيش معك في حياة مليئة بالرعب والمهالك٠،٠ لهذا أبكي يا سعيد٠٠ ٠.

وجدت نفسي لا إراديًا أتجه نحوها وأضمها بين ضلوعي٠،٠ فوجدتها تستطرد حديثها وهي تبكي كطفل صغير٠:٠

٠٠٠٠٠أنا لا أريد أن أعيش في كُل هذا٠،٠ أنا أريد أن أعيش معك في مكان صغير أعرف أوله من آخره٠،٠ كُل هذا لا يعني شيئًا دونك يا سعيد٠٠ ٠.

تنفست الصعداء٠،٠ فوضعت يدي على شعرها الذي أراه للمرة الأولى٠،٠ أسود اللون كالفحم٠،٠ ناعم كنعومة جَلدها الأبيض٠،٠ وجدت نفسي أقترب منها أكثر وأقبلها بهدوء شديد٠،٠ فجأة

وجهها أصبح أحمرًا كاللهب٠٠ نهضت من مكانها تمسح دموعها فأمسكت معصم يدها ثم نهضت معها وحملتها بين ذراعي٠٠ كانت تصرخ من الجنون أم السعادة٠؟!٠

هل نسينا شعورنا بالكآبة منذ لحظات٠؟!٠ ابتسمت لي وأنا أحملها وأصعد نحو الغرفة٠٠ دخلنا فألقيتها على السرير وبدأت مناوشات هادئة٠٠ ولأنك – كما قُلت في السابق – صغير السن٠٠ أنا لن أقص باقي ما حدث في تلك الليلة٠ كانت أيام سعيدة٠٠ على الأقل لم يكن فيها شيء يُحزن٠٠ مر عدد لا بأس به من الأيام٠٠ وجاءني النبأ الذي أحيا كُل شيء قديم٠٠ هُناك عملية سلاح ستتم في القريب العاجل٠٠ ستتم في الغد٠!٠

مع واحد من أكبر ضباط الشُرطة٠٠ ضابط شديد الفساد٠٠ ضابط يُدعى ٠(٠عامر خفاجي٠)٠٠ عامر زارني في الزفاف وهو كان السبب غيرالمُباشر في المجزرة التي حَدثت في الزفاف٠ ٠.

عامر طلب خمسة أنواع من المُسدسات٠٠ وثلاثة أنواع من البنادق٠٠ البنادق في مثل هذا الوقت كانت تُقدر بالذهب٠٠ لطالما سألت نفسي٠٠ شخص مثل ٠(٠عامر٠)٠٠ ضابط٠٠ يعني أعلى رُتبة تقريبًا في البلد٠٠ لماذا يريد بيع وشراء الأسلحة٠؟!٠ الإجابة لم تكن بسيطة٠٠ لكنها كانت أهون مما أتخيل٠٠ لن أتطرق لهذا الموضوع وسأخبرك به لاحقًا٠ ٠.

بدأ العُمال والمسؤولون عن الأسلحة والعالمون بأنواعها بتجهيز طلبية عامر٠٠ فجاءني ردّ من أحد العمال بأن هُناك نوع عامر طلبه ليس مُتوفر عندنا٠٠ أخبرتهم أن يقوموا بجمع الأنواع الموجودة ووضعها بالحقائب لأن الموعد قد اقترب٠ ٠.

جهزنا كُل شيء تقريبًا٠٠ وأتى الموعد المرتقب٠٠ تلك المرة الأولى لي أن تطأ قدمي ميدان الأسلحة٠٠ كُنا في صحراء جرداء٠٠ الجو يُرسل تعابيره الباردة لأجسادنا٠٠ فكدنا نموت من شدة البرد٠٠ حتى جاءت سيارات عامر ورجاله٠ ٠

كان عدد رجالي يبلغ حوالي عشرة٠٠ أما رجال عامر فلن أبالغ لو قُلت أنهم ثلاثون أو خمس وثلاثون٠٠ هُنا شعرت بأن هُناك شيء ما سيحدث٠٠ وأنها ليست عملية بسيطة٠٠ بدأ رجالي بالخوف قليلًا٠٠ فأشرت لهم أن يهدؤوا وأن لا شيء سيحدث٠ ٠

لقد غفلت عن أن هذا الرجل كان صديقًا مُقربًا لرأفت العلايلي٠٠ نسيت أو تناسيت٠٠ كيف لم أقوم بحساب هذا٠؟!٠ أنا غبي للغاية وإذا حدث شيء ومات أحد من رجالي سأظل حاملًا لدمائه في رقبتي طوال حياتي٠ ٠

وجدت عامر٠٠ الرجل الأربعيني مُرتديًا بدلة فخمة وغالية للغاية٠٠ وكأنه ذاهب لحفل وليس عملية سلاح٠٠ رفعت يدي للسلام فوجدته يقترب مني ويصافحني٠:

٠-٠-٠مُبارك عليك الزواج يا سعيد٠٠ سمعت أنك قتلت حرافيشي٠٠ هل هذا صحيح٠؟!٠-٠

بدأ التوتر يكتسي الأجواء٠٠ التمع غضب موجود بعينيه وزاغت كُل معاني الطمأنينة في وهلة٠٠ أشار بإصبعه لرجاله بأن يُراجعوا الأسلحة المطلوبة٠٠ ثم ابتسم لي٠:

٠-٠-٠يبدو وأن صوتهم لم يعجبك يا سعيد٠-٠ ٠

كُنت صامتًا٠٠ ناظرًا في وجهه٠٠ مُتجهمًا غير مُبتسمًا٠٠ فوجدته يُستطرد٠:

٠-٠-٠-٠الآن أنت بحوزتي٠٠ هل تعلم كم المبالغ التي عُرضت علي لأقتلك الليلة٠؟٠-٠

٠-٠-٠-٠لا تهمني المعرفة في حقيقة الأمر٠-٠ ٠.

٠-٠-٠-٠أنت غالٍ عندنا٠-٠ ٠.

٠-٠-٠-٠أعلم هذا٠٠ وأعلم أنك لن تقتلني الليلة٠-٠ ٠.

لاح التعجب بعينيه٠٠ رأيته يبتسم٠٠ ورجاله في الخلف يقومون بعملهم٠:

٠-٠-٠-٠رُبما٠٠ ورُبما أقتل رجالك وأخذ أسلحتك وأترك لك سيارتك لتذهب وحيدًا٠-٠ ٠.

جاء واحد من رجاله هامسًا في أذنه ببعض الكلمات٠:

٠-٠-٠-٠هل تعلم٠٠ هذا سببًا آخر يجعلني أفعل ما لا أريد فعله٠٠ لماذا يوجد نقص في الأسلحة المطلوبة٠؟٠!٠-٠

٠-٠-٠-٠هذا خطأي وس٠ ٠. ٠-٠. ٠.

٠-٠-٠-٠أحب الرجل الذي يعترف بخطئه٠-٠ ٠.

كان يتحدث٠٠ فنظرت لواحد من رجالي وأعطيته الإشارة ليطلق النيران٠٠ وضعت يدي على مُسدسي ونزلت على الأرض٠٠ فبدأ سيل رهيب من طلقات الرصاص تَجوس المكان بأكمله٠ ٠.

بدأت أطلق النيران في كُل مكان٠٠ خائفًا مذعورًا٠٠ رُبما تأتي رصاصة في أعماق جسدي تقتلني٠٠ لكن لا٠٠ ليس الآن٠٠ زحفت حتى وصلت إلى خلف سيارة من سياراتنا وانتشلت بندقية آلية٠٠ أنا لا أرى ما النتائج في الخلف٠٠ هل رجالي يَقتلِون أم يُقتَلون٠٠ اختلست النظر فوجدت ثلاثة من رجالي فقط هم الصامدون٠٠ فدخلت معهم وضربت الرصاص من خلف السيارة٠٠ ما كان يدفعني لإطلاق النيران هو خوفي فقط٠٠ خوفي من أن أموت الآن وفي تلك اللحظة٠٠ وبهذه الطريقة٠ ٠

وجدت أكثر من خمسة عشر شخصًا من رجاله قد سقطوا أرضًا٠٠ وهو يقف خلف السيارة مُختبئًا٠٠ قفزت في رأسي خطة سريعة٠٠ وشرعت سريعًا في تنفيذها٠٠ بدأت أطلق الرصاص على رجاله حتى سقط أكثر من نصفهم٠٠ لم يتبق سوى عشرة منهم٠٠ ورجالي لم يتبق سوى ثلاثة٠٠ أنا واحد منهم٠ ٠

زحفت سريعًا حتى وصلت خلف سيارتهم وأنا أطلق النيران بعشوائية تامة٠٠ كيف وصلت إلى هُناك دون أن تقتنصني رصاصة٠؟!٠ أنا لا أعلم٠!٠٠ وجدت عامر جالسًا على الأرض مُمسكًا مسدسه خائفًا٠٠ فبسرعة ضربته رصاصة جاءت في قدمه فتأوه بشدة٠٠ وجدت اثنين من رجاله يقتربون مني ويطلقان الرصاص٠٠ وبالفعل جاءت رصاصة في ذراعي الأيسر٠٠ فتخدرت يدي من شدة الألم وبدأت أضرب حتى سقط الاثنين٠٠ أما عامر ظل يتأوه وقدمه تَشع دماءً٠٠ ويدي أصبحت غير صالحة للاستعمال مُجددًا٠ ٠

وجدت صوت الرصاص قد هدأ تمامًا٠٠ لم يعد أي أحد حيًا عدا

ثلاثة من رجال عامر.. رجالي كانوا الأقوى.. قتلوا ثلاثون شخصًا وهم في الأصل عشرة.. أمسكت عامر.. ألقيت الرشاش أرضًا وأخرجت مسدسي ووضعته على رأسه.. جعلته ينهض معي وأنا أصرخ من شدة ألم ذراعي.. فأنا أضع المُسدس على رأسه بيدي اليُمني وأحمله باليد اليُسرى.. وأنا لا أقوى على هذا الألم.. لكن لا يوجد أي مَفر من هذا..

---ابتعدوا وإلا أقسم لكم سأقتله---..

على الأرض.. رأيت واحدًا من رجالي حيًا.. أو يُجازف للحياة.. وجدته يمسك مُسدسًا ويصوبه تجاه رأس أحدهم.. كان عامر مُتيقظًا لهذا الأمر.. فصرخ سريعًا:..

---احذر يا غبي---..

فجاءت الرصاصة من مُسدس رجلي يَقتل واحدًا من الثلاثة.. ثم الثاني.. ثم لم يقوى على الثالث فقتله.. رصاصة في رأس ذلك الرجل الذي أنقذني أنهت حياته بالكامل.. ولم يتبق سواي وعامر.. ومعه رجل من رجاله..

كانت مجزرة حقيقية.. ما حدث في زفافي لم يكن سوى (لعب عيال) مقارنة بهذا.. عدد لم أر مثله في حياتي من الجثث.. وجدت الرجل الخاص بعامر يقترب مُصوبًا مُسدسه تجاهي:..

---إذا اقتربت خطوة أخرى سأقتل كَبيرك.. هل تفهم؟!---..

فتوقف موضعه.. وأمره عامر بأن يضع المُسدس أرضًا.. وبالفعل وضع المسدس أرضًا.. فجاءه الرد سريعًا غير مُتكلفًا

مني٠،٠ رصاصة اخترقت رأسه فبات بجوار أصدقائه٠،٠ ضربت عامر بقدمي فسقط أرضًا٠،٠ اقتربت منه وأنا أشعر بنيران تغلي في ذراعي٠،٠ ثم تحدثت٠:٠

٠-٠-٠-٠أنا لن أقتلك يا عامر٠-٠ ٠.

شعرت بروح عامر ترتد في وجهه٠،٠ فأخذ نفسًا عميقًا٠،٠ فدنوت منه أكثر ووضعت مُسدسي على قدمه اليُسرى٠:٠

٠-٠-٠-٠سأجعل مجرد تفكيرك أن تقتلني هو ما يقتلك٠-٠ ٠.

وضربت رصاصة في قدمه٠،٠ فصرخ صرخة قُربت على قطع أحباله الصوتية٠،٠ صرخة اخترقت جوف الصحراء٠،٠ بدأت أنظر إلى رجاله لأتأكد أنه لا يوجد أحد حي٠،٠ فنهضت من موضعي مُصوبًا المسدس تجاه عامر خائفًا من أن يغدرني ويضربني بمُسدس على الأرض٠،٠ ذهبت إلى السيارة التي بها الأموال فوجدتها ممتلئة بالأوراق٠،٠ ليست حقيقية٠،٠ ابتسمت إلى عامر٠:٠

٠-٠-٠-٠لقد كذبت٠،٠ كذبت يا عامر ووضعت أوراق ليست حقيقية بدلًا من الأموال٠-٠ ٠.

ذهبت له وصفعته صفعة شديدة على وجهه٠،٠ فوجدته يُخبرني بنبرة تهديدية٠:٠

٠-٠-٠-٠ستندم على هذا يا سعيد٠،٠ حسن العلايلي لم ينس أنك قتلت أباه ولن ينسى أنك قتلت رجالي٠-٠ ٠.

٠-٠-٠-٠رُبما٠،٠ ورُبما أقتلك مع رجالك أيضًا!٠-٠

ضربت رصاص في كُل إطارات السيارات ما عدا واحدة.. وجدته يَضحك بشدة.. بالرغم من الألم المُتملك منه..:

..---..هل تظن أن تلك هي النهاية يا سعيد..؟!.. تضرب إطارات السيارات وتقتل رجالي لتضمن أنني لن أخرج من هُنا حيًا..؟!..--

..---..تقريبًا..!..--

..---..أنت أغبى مما توقعت يا سعيد--.. .

ذهبت له.. ثم ابتسمت ودنوت من أذنه..:

..---..لا تعبث مع الغرباء أبدًا يا عامر--.. .

وصفعته مرة أخرى على وجهه حتى أغشي عليه تمامًا.. وضعت يدي على رقبته لأرى نبضه فوجدته حيًا.. استقللت سيارتي.. السيارة التي بها الأسلحة.. ثم قطعت ملابسي ولففت مكان الرصاصة في ذراعي حتى لا تسيل الدماء.. كان الألم يزداد.. شعرت بأنها لن تعود أبدًا مثل السابق.. ابتعدت تمامًا عن مكان المجزرة.. ورأيت الجُثث في المرآة.. والدماء التي احتلت الرمال.. ورأيت وجهي في المرآة.. مُمتلئ بالدماء هو الآخر.. .

أنا لن أعود أبدًا كما كُنت..!.

.*. .*. .*.

## (٥)

الدماء.. الدماء.. الدماء.. .

لعنة الله على الدماء وسفكها٠٠ الخوف المُحيط به لن ينتهي أبدًا٠٠ ما لبث أن يأخذ قسطًا من الراحة بقراءة مُذكرات أبيه٠٠ فوجدها بتلك الدموية والفظاعة٠٠ وكأن أباه يُرسل رسالة له أن سيل الدماء بدأ في عهده ولن ينتهي أبدًا٠ ٠

حُبست أنفاسه لما قرأ هذا الكلام٠٠ فالآن أتى وقت أن يستريح وينام٠٠ فغدًا هو يومًا آخر من سلسلة الكرامة المُبعثرة أرضًا٠٠ لكن بالتأكيد سيكون عهدًا جديدًا في حياته٠٠ مليء بالدماء نعم لكنه عهدًا مُختلفًا وحياة جديدة٠ ٠

لمّا أغمض عينيه٠٠ سمع صوت الباب يدق٠٠ تأفف بغضب وشعر أنه الشيخ جمال٠٠ حاول أن يكون طبيعيًا لأقصى حد٠٠ فنهض بعدما استند على الطاولة٠٠ فألم قدمه وجسده لم يهدأ قط٠٠ بل كان في تزايد وتباين وواضح٠ ٠

نهض ليفتح الباب فوجد شخصًا غريبًا لم يره في القرية قط٠٠ طويلًا وله وجه صارم للغاية٠٠ في البدء٠٠ ظن عُمر أنه شخص أرسله حسن العلايلي كي يؤدبه على ما فعله مع رضا خفاجي٠:

٠-٠٠-٠من أنت٠؟!٠ وما الذي تريده في هذا الوقت المُتأخر من الليل٠!٠-٠

لم يكن عُمر خائفًا لكن الفضول انتابه لأقصى درجة٠٠ ابتسم هذا الرجل الغامض٠٠ وربت على كتفي عُمر٠٠ كان شابًا ولم يَكن رجلًا عجوزًا٠٠ يبدو وأنه في العقد الثالث من عمره٠٠ شعت أمارات الاطمئنان على وجهه٠٠ وقال٠:

٠-٠-٠-٠أنا محمود العراقي٠،٠ أخيك الأكبر يا عُمر٠-٠ ٠.

.*. .*. .*.

# الفصل الرابع: ٠(٠بشائر العراقي٠)٠

## (١)

أثناء كُل هذا الضجيج٠،٠ كُل هذه الأخطاء والعبث الذي يَحدث في الخارج٠،٠ كانت هي جالسة في منزلها٠،٠ وحيدة كعادتها٠،٠ لا تُفكر في الخروج خارج المَنزل٠،٠ لم تعلم أبدًا هل هي سعيدة بوحدتها٠؟٠ أم هذا مُجرد حديث تُجبر به خاطرها المَكسور٠!٠

لم تَجد من يَحنو عليها٠،٠ حتى أمها لم تكن تلك السيدة العطوفة التي تُشعرها بأمان الدُنيا٠،٠ هذا لم يَكن خطأها٠،٠ إنه الحِمل الهالك الموضوع على عاتق أمها٠،٠ لا يوجد سيدة تتحمل هذا العناء٠ .٠

سيدة وَحيدة بفتاة وَحيدة٠،٠ فقراء٠،٠ لا يراعهما سوى الخالق الكَريم٠،٠ في قرية لا يُقام فيها العدل٠،٠ويحتد بها الظُلم٠،٠ فهل هذه السيدة عَرفت أصلًا معنى الحنان٠؟٠!٠

كانت ٠(٠شهد٠)٠ جالسة أمام النافذة٠،٠ وعلى رأسها حجاب يُستر شعرها الأسود٠،٠ المُتمايل كأمواج بحر ليلة برد قارص٠،٠ مُنتظرة أن يَطيب الغداء لها ولأمها٠،٠ كانت أم شهد مريضة للغاية٠،٠ لذلك كانت هي من تقوم بواجبات المَنزل كي تُريحها من العناء٠،٠ لم يَكن مَرضًا عاديًا٠،٠ ظلت شهد تسأل أمها أن تذهب إلى الطبيب٠،٠ ليحاول مداوتها٠،٠ وافقت وقالت لها أنها ذهبت وأعطاها بعض الأدوية٠،٠ لكنها في الحقيقة لم تذهب أبدًا٠ .٠

لم تكن الأموال كافية لطعام ابنتها حتى تذهب إلى الطبيب

وتدفع له ثمن الكَشف الباهظ.. كانت مُقتنعة أنه مَرض هزيل وسيذهب حيث جاء.. لكن في حقيقة الأمر لم يَكن الأمر كذلك أبدًا.. ..

أما شهد.. فكانت جالسة تُطالع أجواء القرية.. تَنظر إلى المارة.. أصواتهم وأفعالهم.. لم تُحب أبدًا هذه القرية.. لم تُحب أبدًا طريقة حياتها.. لكن هذا هو الطريق الوحيد.. ..

لم يَكن ..(عُمر). بعيدًا عن خيالهاوأحلامها.. كُلما تذكرته فقط أوَشكت عيناها على البُكاء.. لقد ذاع صيته في القَرية بأنه أصبح واحدًا من رِجال سالم وحسن العلايلي.. ومن يلج هذا الطريق فلا عودة سالمة منه أبدًا.. ..

لكنها بالرغم من كُل هذا.. تُحبه حُبًا لا يقوى هو على فِهمه.. وتَدعو له يومًا بعد يوم بأن يَخرج من هذا الطريق سالمًا ليكون لها.. آمال صعبة المُنال.. كانت تعلم أنها مُجرد أمنية.. لكن هل الحياة بخيلة لتلك الدرجة..؟!. أن لا تعطينا أي شيء نُريده بل تُعطينا ما نَخاف أن نأخذه..!.

في تلك اللحظة كانت الأم في حالة ألم شديدة.. وكأنها تُصارع الموت.. ..

أو أنها تُصارع الموت بالفعل..!.

سَمعت شهد صوت أنّات وتأوهات أمها من الألم.. فقفزت من المقعد حتى سقط على الأرض.. ذهبت ناحية غُرفة أمها فوجدتها تتألم بشدة وتَقبض على يدها؛ وكأنما لم تَمسك يد ابنتها من قَبل.. ..

أتلك هي النهاية؟. اللحظة التي يَخشى الجميع الوصول لها؟!.
أصبح الأمر جليًا أمامها.. فوجه السيدة يُمتقع لحظة بعد لحظة ويُصبح خاليًا من الألوان.. شفتاها مُتشققتان..أخذت الأم نفسًا عميقًا.. كأنها تود توديع الحياة بنفسٍ أخير. ..

ظلت هي مُتجهمة.. غير مُستوعبة كُل هذه الصدمات الفُجائية.. لم تُعط أي انطباع بل ظلت ساكنة موضعها وكأنه حُلمٌ سخيف وستستيقظ منه الآن. ..

لكنه لم يَكن حُلم أبدًا.. حاولت السيدة إصدار كَلمة من فمها.. لكن مُحاولاتها بائت بالفشل.. ونامت النوم الأبدي.. نومٌ لا يوجد به ألم على الإطلاق. ..

ظلت شَهد تُحرك وَجه أمها.. وتَضع يدها نحوها وتُحاول إفاقتها.. ثم أخذت تُنادي عليها بهدوء غريب.. كانت على علم بأن كُل شيء سيمر.. لكن كيف؟!.

ما فعلته تباعًا كان غريبًا.. كانت على علم بأن أمها لن تستيقظ أبدًا.. فتركتها كما كانت وذهبت إلى المَطبخ.. لأن رائحة الطعام جاست أنحاء البيت.. أوقفت الموقد وبدأت في وَضع الطعام في الأطباق.. كان أرز وشوربة من الخُضار. .. لم تَكن تعلم ما الذي يَدور بخُلدها.. كأن مجرى الدماء توقف عن استقباله.. ولم تعد تشعر بأي شيء.. حتى أمها تركتها موضعها دون أن تُخبئ وجهها أو حتى تقرأ الفاتحة على روحها..أو حتى تتيقن من وفاتها!.

نَظرت في المرآة.. فوجدت نفسها تَود النزول إلى الشوارع.. لا

تطيق الجُلوس في المَنزل٠٠ وبالفعل غادرت مَنزلها وبدأت تَسير في الشوارع حتى وَصلت إلى مَنزل عُمر٠٠ ثم وَقفت أمامه ثابتة مُنتظرة أن يَخرج٠ ٠.

حتى وإن خَرج٠٠ فما الذي ستفعله٠٠ لقد تَعبت من كُل هذه الأشياء٠٠ روحها لا تَتحمل٠٠ ظلت واقفة أمام بيته حتى بَكت٠٠ دموعها كانت تتسابق على الخروج٠٠ لقد ماتت أمها الآن٠!٠

المصائب حتى لا تُعطيها أي حَيز للتفكير أو الصَبر٠٠ صَدق من قال أن المصائب لا تأتي فرادى٠٠ فهذا هو الحال دومًا٠ ٠.

أثناء بكائها وَجدت الشيخ جمال يَقترب من بيت عُمر٠٠ لمحها بطرف عينه فأكمل سيره إلا أنه رآها تبكي٠٠ تَقدم ناحيتها وبدا قلقه ظاهرًا على وجهه٠٠ فسألها٠:٠

٠--٠٠٠ما الذي حَدث٠؟٠ لِماذا تبكين٠؟٠!٠--٠

بدأت في البُكاء أكثر وأكثر٠٠ انفجر كُل الألم في هذا البُكاء٠٠ مُنتظرة أن يسألها أحد ٠(٠ما بِك٠؟٠)٠٠ ولمّا حدث أغرورقت عيناها باكية٠:٠

٠--٠٠٠أمي٠٠٠أمي ماتت يا شيخ٠-- ٠.

ابتلع ريقه٠٠ وحَزنت ملامحه لوهلة٠:٠

٠--٠٠٠سامية ماتت٠؟٠!٠ لا حول ولا قوة إلا بالله٠٠إنا لله وإنا إليه راجعون٠-- ربت على كتفها٠٠ فنظرت له والحُزن الدفين يحتوي عينيها٠:٠

٠-٠-٠-٠لقد ترعرعنا سويًا في هذه القرية٠٠ لكن العُمر والزمن أنسانا٠-٠ ٠.

كانت صامتة مُطرقة رأسها أرضًا٠٠ راضية أم خائفة٠؟!٠ ما الذي سيحدث لها من دون أمها٠:٠

٠-٠-٠-٠لا تخافي يا شهد٠٠ أنا بجوارك ولن أتركك أبدًا٠٠ رَحم الله أمك٠-٠ ٠.

وبدأ يعرف منها التفاصيل٠٠ أين جُثتها ومُنذ متى توفت٠٠ كُل هذه الأشياء٠٠ حتى ذهب معها المَنزل فعلًا ووجد العديد من أقارب ٠(٠سامية٠)٠ هُناك٠٠ فجلس هو على الأريكة٠٠ مُتعبًا من الصعود على السلم٠٠ فوجد ٠(٠مَنصور٠)٠ الأخ الأصغر لـ٠(٠سامية٠)٠ يَقترب منها غاضبًا٠:٠

٠-٠-٠-٠أين كُنتي يا فتاة٠؟٠ من الذي سَمح لكِ بالخروج٠؟٠-٠

٠-٠-٠-٠خالي مَنصور٠٠ كيف جئت إلى هُنا٠؟٠-٠

دفعها بعيدًا من شدة غضبه فتدخل الشيخ٠:٠

٠-٠-٠-٠اهدأ يا رجل وصل على حبيبك المُصطفى٠-٠ ٠.

نَظر له وقد لانت ملامحه٠:٠

٠-٠-٠-٠عليه أفضل الصلاة والسلام يا شيخنا٠٠ لكن الأصول هي الأصول٠٠ ستأكل القرية وجهنا يا ابنه٠ ٠.٠-٠ ٠.

٠-٠-٠-٠اهدأ يا بني٠-٠ ٠.

اختبأت شَهد وراء الشيخ.. فتبسم له قائلًا:.

.-..-..تلك الفتاة أمانة في عنقك حتى يوم الدين.. فأنت خالها والخال والد-.. .

نَظر الشيخ إليها فوجدها خائفة.. وكأنها تُخبره بأن لا يتركها مع هذا الرجل.. ابتسم مَنصور للشيخ ثم حَدج شهد بنظرة مُريبة.. تنبأ جمال بأن ذلك الرجل يدّعي الطيبة أمامه فقط وأنه سيريها أسوأ أيامها.. راقب الشيخ ملامح شهد فوجدها ساكنة وهادئة.. ويختلج عينيها حزن شديد.. فخالها لن يتركها في حال سبيلها وسيُريد زواجها في أسرع وقت.. كل هذه الأشياء كان يعرفها الشيخ جمال.. ولم يَكن يعرف ما الذي ينبغي عليه فعله. .

لكن الشيخ أدرك أن هُناك شيء يجب عليه إصلاحه.. شيء يجب عليه إنقاذه وهي حياة تلك الفتاة.. تلك الفتاة التي تقريبًا لم تَعش عُمرها جيدًا.. بل لم تعش عُمرها أصلًا. .

ابتسم لها.. فرأى عينيها تترجاه بأن لا يَذهب.. وكأنها تعلم مصيرها القادم.. ترك الشيخ كُل تلك المشاعر جانبًا حتى يهدأ الغضب المَنكوب في هذا المَنزل. نَزل على السلالم مُستندًا بيد على الحائط واليَد الأخرى على عصاه.. حتى وَصل إلى مَنزل عُمر.. ولمّا طرق الباب سَمع صوتًا من الداخل لشخص غريب يتحدث:.

.-..-..صدقني..أنا لن أكذب عليك-.. .

وكأن هُناك شجارًا.. فطرق الشيخ أكثر حتى يُسمع صوت الباب.. فكان صوت الرجل الغريب:.

٠-٠-٠-٠لا تفتح الباب يا عُمر٠٠ لا تفتح الباب٠-٠ ٠

٠-٠-٠-٠إنه الشيخ جمال بالتأكيد فلا أحد يزورني سواه٠-٠ ٠

٠-٠-٠-٠لا تفتح الباب أنا أحذرك٠-٠ ٠

ثم صمتا لوهلة صغيرة٠٠ وأصبح صوتهما مُنخفضًا قليلًا٠٠ شعر الشيخ بأن هذا الرجل يُشكل تهديدًا على حياة عُمر٠٠ فسارع الشيخ يعدو نَحو الشارع٠٠ وابتعد قليلًا حتى لا يَكون الصوت عاليًا ويسمعه الرجل بالداخل٠٠ وبدأ يتحدث مع ثلاث من رجال القرية٠٠ أو شبابها٠:٠

٠-٠-٠-٠هُناك واحد يُشكل خطرًا على عُمر ويهدده بالقتل إن فتح الباب للغرباء٠-٠ ٠

٠-٠-٠-٠عُمر ابن كبيرنا٠؟!٠ ابن سعيد العراقي٠!٠!٠-٠

٠-٠-٠-٠يا له من ابن عاهرة٠-٠ ٠

٠-٠-٠-٠يجب أن نقتله حالًا٠-٠ ٠

شعر الشيخ بالسعادة لأن كُل من في القرية يُحبون عُمر٠٠ ليس لأنه عُمر ولكنه ابن سعيد العراقي٠٠ لم ير واحد من هؤلاء الشباب سعيد العراقي بالتأكيد٠٠ فأعمارهم تتراوح بين العشرين والخامسة والعشرين٠٠ أو رأوه عندما كانوا أطفالًا٠٠ لكن تلك الحكايات التي قيلت عن سعيد العراقي كفيلة أن تجعلهم يُضمرون له حُبًا وأملًا في عودته٠ ٠

أخذوا عصي خشبية ثقيلة وبدأوا يقتربون من البيت حتى

وصلوا إلى عتبة الباب٠٠ كان الشيخ واقفًا على بعد أمتار منهم٠٠ لأنه لن يستطع فعل شيء بسببه السن٠٠ أعطاهم الإشارة ليكسروا الباب٠٠ فأنقشع الباب مكسورًا أمامهم من الضربة الأولى نظرًا لضعفه٠ .٠

وعِندما دخلوا باحثين عنهما لم يجدوا شيئًا٠٠ كان المنزل خاليًا عن بَكرة أبيه٠ .٠

٠٠٠٠-٠٠٠لا يوجد أحد يا شيخ٠٠- .٠

غضب الشيخ٠٠ احتدمت ملامحه٠٠ وشعر بأن هُناك لعبة تُلعب٠٠ لعبة قذرة يَجهل أطرافها٠!٠

.*. .*. .*.

٠(٠قبل ما حدث ببضعة ساعات٠)٠

٠٠٠٠-٠٠٠أخي٠؟٠٠-

خَرجت الكَلمة بحرص شديد٠٠ وأنفاس مُتقطعة٠٠ مُتهدجة٠٠ كأن راحة البال لا تود القُدوم أبدًا٠!٠

قالها عُمر وهو في حالة تعجب٠٠ هل له أخ حقيقي٠؟!٠ بعد كُل هذه السنوات من الوِحدة وعدم الإدراك والنضج الكافيين٠٠ بعد كُل هذا الشقاء والعناء لكي يعود الأب الغائب٠٠ يَظهر له أخ٠؟!٠

٠٠٠٠-٠٠٠هل ستتركني هُنا أم ستدعني أدخل٠؟!٠٠-

توترت ملامح عُمر٠٠ فدعاه للدخول إلى المنزل فبدأ هذا الرجل المُدعى ٠(٠محمود٠)٠ يتحسس بيده الحائط٠٠ وينَظر إلى

تشققات الجدران،، كان معه حقيبة سوداء صغيرة،، موضوع فيها أشياء غير ظاهرة له،، مما أثار ريبة عُمر،، أغلق عُمر الباب وبدأ يرمقه بنظرات مُرتقبة لأي شيء غريب قد يفعله،، لكنه لم يفعل أي شيء غريب بل توقف فجأة عن كُل شيء وبدأ يبكي،، ..

كان بكاؤه مُزعجًا،، أزعج عُمر بشدة حتى ترجاه أن يتوقف،، فتحدث بين دموعه،،:

،،،،،،أعذرني فأنا كُنت أحلم بتلك اللحظة مُنذ أعوام،،،، ..

جَلس على المِقعد،، وابتسم لعمر،، لم يَكن يَشبه عُمر أبدًا،، لم يعرف إذا كان يشبه أباهأم لا فالصورة لم تكن واضحة،، لكن المعروف والواضح على ،،(محمود،،) أنه رجل طويل القامة وضخم كسعيد العراقي،، وله ملامح مُحتدمة وصارمة،، وجهه يشع هيبة،، لكن صوته لايليق أبدًا على هذا الجسد الضخم،، في الحقيقة صوته لم يَكن يليق أبدًا على رَجل،، بل الصوت كان أنثويًاقليلًا!،،

بادله عُمر الابتسام،،والارتياب يقاتله،، فجلس قبالته وقال بنبرة تهافتت عليها الشجاعة،،:

،،،،،،حسنًا،، من أنت يا رَجل وما الذي تريده!،،،،

،،،،،،يا رَجل،،؟!،، أراك تعاملني كالغرباء،،،، ..

،،،،،،أنت كالغرباء حتى تُثبت لي عَكس ذلك،،،، ..

رجع بظهره حتى ألصقه بالمقعد،، وَوضع ساق على الأخرى،، نظر حول المكان حتى جاءته فكرة،، فنهض،،:

-.-.-.إذًا دعنا نَشرب شيء في هذا البيت الكئيب-.- .

-.-.-.لن تنهض من مكانك يا مُحترم.،.الزم موضعك وإلا طردتك وجعلت الأهالي يضربونك للصباح-.- .

ابتسم محمود.، وشعر بأنه يعامل رجلًا لا طفلًا أو مراهقًا.:

-.-.-.تعجبني شجاعتك يا عُمر.، لطالما أخبرني أبي أنك تشبهه أكثر مني-.-

بـدأ يستحوذ على انتباهه.، لكنه لم يُظهر ذلك له بل ظل صامتًا.:

-.-.-.أبي مُعجب بك.، حقيقي مُعجب بشخصيتك-.- .

-.-.-.لقد أخبرتني بهذا.،إن لم تخبرني حالًا من أنت وما الذي تريده سأط. .. .-.-. .

-.-.-.حسنًا حسنًا.، سنتحدث على مَهل لأن الموضوع طويل جدًا-.-. .

-.-.-.لن أضيع معك وقتي-.- .

-.-.-.لكنك تَود الإثبات.، وهذا ما سأقدمه لك-.- .

-.-.-.أين هو.؟-.-

كان معه حقيبة صغيرة.، حقيبة لونها أسود.، فتحها وأخرج منها دفتر عتيق أصفر اللون.،.دفتر يَشبه دفتر أبيه.، يشبه الدفتر الذي كتب أبوه فيه مُذكراته. إنه نفس الدفتر!. نفس

الدفتر الذي كَتب فيه سعيد العراقي ذكرياته وحكايته لابنه الوحيد.. كما قال في المُذكرات..!.

فَتح الدفتر وبدأ يجول بين دفتيه مُحاولًا تكذيب ماتراه عيناه.. لكنه كان حقيقيًا جدًا.. باختلاف الخط المُهترئ غير المَفهوم لدرجة كبيرة.. لكنه نفس الخَط الموجود في مُجلده الذي أعطاه له الشيخ جمال.. .

بدأت التساؤلات تنال من وَجه عُمر وتعابير وجهه.. لم يستطع إخفاء تعجبه.. لكن هُناك إحساس راوده أنه ليس أخيه.. فتحدث معه بحدة.:.

---..ليس دليلًا كافيًا--.. .

---..أنا وأنت نعلم أنه كافٍ.. لكني أعلم أنك طمّاع وتود دليلًا آخر.. لذلك أحضرت لك هذا--.. .

وأخرج من جيبه صورة وناولها لعمر.. كانت الصورة لأبيه.. جالسًا على مقعد وحده.. وعلامات الشيخوخة والكِبر بدأت تظهر على وجهه.. تلك الصورة لم يرها من قبل.. فالصورة التي رآها في قصر حسن العلايلي والصورة التي مع الشيخ جمال واحدة.. أما هذه فمختلفة.. حتى أنها أحدث من الصورة الأولى قليلًا.. بقرابة خمس أو عشر سنوات.. .

فسعيد العراقي أصبحت شعيرات رأسه بيضاء.. معظمها على الأقل.. وجهه بعد أن كان صلبًا ومُحتدمًا أصبح هادئًا.. وعيناه تَملك قدرًا كبيرًا من الانكسار والذُل..!. كأن من في هذه الصورة شخصًا آخر لم يتخيله عُمر أبدًا.. شخصٌ خائف من شيء

كبير٠٠ لا يعلمه أحد٠ ٠

خَطف محمود الصورة منه٠٠ ووضعها في جيبه بهدوء تام٠٠ ثم نهض إلى المَطبخ وبدأ يتساءل٠:٠

٠-٠-٠-٠كيف لك أن تعيش في مثل هذا البيت القذر يا عُمر٠؟٠!٠-٠

ظل عُمر ساكتًا من الصدمة٠٠ زلزال بقوة مليون ريختر تمكن منه وشرخ أنفاسه لأقسام٠٠ إذًا فلماذا يقول الشيخ جمال بأنه ابنه الوحيد٠٠ لماذا يقول سعيد العراقي أصلًا أنه لا يملك سوى شابًا وحيدًا وهو عُمر ذاته٠!٠

الحكاية تزداد تعقيدًا وخوفًا وألمًا٠٠ لكنه سيظل إلى النهاية مُتمسكًا بكُل شيء حتى يعرف٠٠ يعرف الحقيقة التي يُحاول الكثير إخفاؤها لأسباب غير معلومة٠ ٠

جَلس مَحمود أمام عُمر٠٠ وتحدث بهدوء٠:٠

٠-٠-٠-٠لا يوجد أي شيء في هذا البيت٠-٠ ٠

٠-٠-٠-٠بالتأكيد أبي أخبرك أني أعيش وَحدي٠-٠ ٠

ابتسم محمود٠٠ ثم نطق٠:٠

٠-٠-٠-٠أخبرني٠٠ وأخبرني أن جمال يأتي ليزورك بين فينة وأخرى٠٠ الشيخ رجل هرم٠٠ سيموت قريبًا٠-٠ ٠

٠-٠-٠-٠بالتأكيد أبي أخبرك كم أحبه٠-٠ ٠

٠-٠-٠-٠أخبرني أيضًا أن جمال يُحبك حُبًا شديدًا٠-٠ ٠

بدأ صبره ينفذ.. وبدأ الفضول يأكل ما بقيّ من عقله.. فاقترب من محمود.:

.....أخبرني أرجوك أين أبي.؟.أنا أود رؤيته..... ..

ابتسم محمود.. ثم بدأت ملامح التأثر تظهر على وجهه.:

.....أنا أيضًا أود رؤيته.. فأنا لم أره طيلة عُمري سوى في الصور والخطابات التي يُرسلها لي..... ..

.....لكنك قُلت لي حالًا أنه يُخبرك كُل شيء..... ..

فَهم عُمر أن أبيه لم يَظهر لمحمود قط.. بل ظل يُرسل له خطابات ليُطمئنه على حاله ويُخبره بجديده.. ابتسم عُمر مُتفهمًا.. وعاد بظهره إلى الخلف مُستندًا على المقعد.:

.....أخبرني من أنت.. ولماذا يُرسل أبي خطابات لك ولا يُرسلها لي.؟.!.....

.....حكايتي طويلة.. لكني سألخصها لك قدر الإمكان..... ..

أخذ نفسًا طويلًا.. وبدأ يَقص حكايته.:

.....أنا من قرية قريبة من قريتك.. لكني في الحقيقة لم أعان معاناتك.. لم أكن وحدي طيلة العُمر.. ولم أكن طيبًا ولا ساذجًا مثلك.. أنت أخي الصغير ويجب عليّ أن أحذرك.. الحياة ليست بتلك السهولة التي تظنها..... ..

.....كلامك يُشبه كلام أبي في المُذكرات..... ..

٠-٠-٠-٠لأنه أبي ويجب أن أكون مثله٠!٠-٠

ابتسم محمود٠، بعدما شعر أن عُمر بدأ يسترخي قليلًا٠:

٠-٠-٠-٠كُنت أجهل الحياة٠، أجهلها بكل معانيها٠، أمي كانت معي دومًا٠، وكُلما سألتها عن أبي أخبرتني أنه مات٠، حتى جاء موعد موتها كما يحدث في الحكايات٠، وأخبرتني أنه حي٠، ويعيش في مكان ما وَحده ومنعزل عن البشر٠-٠ .٠

اعتدل عُمر في جلسته٠، جُذبت حواسه ليستمع لما بقي من القصة٠:

٠-٠-٠-٠ولمّا ماتت أمي٠، شعرت بأن الحياة بأكملها تقف ضدي٠، أعمل لأكسب قوت يومي٠، وأعيش يومًا في السراء وسنة في الضراء٠، حتى جاءت ذكرى أبي في مسامعي٠، تذكرته وتذكرت العنوان التي أملّته أمي عليّ قبل رحيلها٠، أتعلم يا عُمر٠، فأنا أحسدك قليلًا٠، أنت لم تر أمك لتتعلق بها٠، ولن تعيش بتلك الذكرى السيئة أبدًا٠-٠ .٠

٠-٠-٠-٠لكني لم أر حنانًا في حياتي أبدًا٠، فالأم وحدها من تعطي الحنان كما يقولون٠!٠-٠

٠-٠-٠-٠وتلك نعمة٠، لأنك لم تُجرب ذلك الحنان لتحزن عندما تُحرم منه للأبد٠!٠، المُهم٠، لم أكن مُشتاقًا لرؤية أبي٠، لم أكن أعرفه أصلًا٠، كُل ما عرفته عنه أناسمه سعيد العراقي٠، ليس أكثر وليس أقل٠، ولمّا رُحت لهذا المكان٠، البعيد قليلًا عن القرية٠، مَدخله أشبه بالكهف٠، أضواء خفيفة٠، وصوت أغنية ٠(٠أنا هويت وانتهيت٠)٠ يُشعل الأنفاس٠، مكان غريب للغاية يا

عُمر٠٠ مَدخله ضيق لكن بداخله٠٠ واسع جدًا٠٠ وبه مكتب عتيق في المُنتصف٠٠ وعليه أوراق مُتناثرة٠٠ وفي اليمين سرير ضخم٠٠ واليسار لوحة لفتاة عارية بالكامل٠٠ وبجوارها جرامافون يُصدر صوت أنا هويت وانتهيت٠ ٠

أخذ نفسًا عميقًا٠٠ واستطرد٠:٠

٠-٠-٠كان هذا المكان العتيق بداخل بناية قديمة٠٠ في مكان بعيد عن هُنا اسمه مصر الجديدة٠٠ في القاهرة٠٠ والبناية عليها حارس٠٠ حارس يُدعى عم محفوظ٠٠ عندما سألت عم محفوظ عن ٠(٠سعيد العراقي٠)٠ امتقع وجهه والخوف تناثر في ملامحه٠٠ فقال لي أنه في هذه المنطقة غير معروف بهذا الاسم٠٠ ومعروف باسم ٠(٠حمزة الراهب٠)٠-٠ ٠

٠-٠-٠حمزة الراهب٠؟!٠-٠

٠-٠-٠أبوك يا أخي العزيز لا يريد أن يعرفه أحد٠٠ وإن أكملت المُذكرات ستعرف السبب٠-٠ ٠

٠-٠-٠إذًا كيف عم محفوظ الحارس يعرف اسم أبينا٠؟!٠-٠

٠-٠-٠لأن عم محفوظ واحد من أهل القرية٠٠ وهو السبب الرئيسي في تهريب أبانا منها وإيداعه في مكان لا يعرفه أحد٠٠ المُهم أن عم محفوظ أخبرني بأن سعيد العراقي ليس هُنا٠٠ وقد هجر المكان مُنذ ساعة تقريبًا وسيعود لاحقًا٠٠ دَخلت المكان فوجدته كما أخبرتك سلفًا٠٠ وأخبرني عم محفوظ أن تلك الأغنية تتكرر وتتكرر٠٠ لأن حمزة الراهب٠٠ أي سعيد العراقي٠٠ يحبها بشدة٠-٠ ٠

٠-٠أريد الذهاب إلى هذا المكان-٠ .٠

٠-٠-٠-٠سأكمل لك٠،٠ أول ما دخلت المكان وجدت الأوراق في كُل موضع به٠،٠ حتى وجدت على الحائط ورقة كَبيرة٠،٠ مكتوب عليها اسمي٠،٠واسمك٠،٠ كتب أبي لي ولك خطابين طويلين٠،٠ خطاب لكُل واحد فينا٠،٠ قرأت خطابي وعرفت عنوانك٠،٠ وأخبرني به كُل شيء٠،٠اسمك وسنك وعنوانك ومن أين تأكل ومن أين تشرب ومن يُساعدك ومن يكرهك٠،٠ أخبرني كُل شيء٠،٠ ووجدته يُشير إلى الدفتر في خطابه٠،٠ وأخبرني أنه كان يعرف بقدومي٠،٠ ويعلم أنني لا أشتاق له كثيرًا٠،٠ أبي يعلم كُل شيء يا عُمر-٠-٠ .٠

٠-٠-٠-٠ثم٠؟٠!٠-٠

وَضع يَده في جيبه وأخرج ظرف به خطاب٠،٠ ثم وضعه أمام عُمر٠:٠

٠-٠-٠-٠عندما فتشت في المكان جيدًا٠،٠ كان محفوظ يقف بعيدًا يُراقبني٠،٠ لقد أخذ أمرًا من أبي أن يجعلني أفتش في المكان بدقة٠،٠ لم يمنعني حتى لو بكلمة٠،٠ قال لي أنه يجب علي المغادرة حالًا٠،٠ وأن أبي سيرسل خطابًا كُل فترة ليطمئن عليّ٠،٠ وبمجرد أن قال هذا٠،٠ توقفت الأغنية٠،٠ فغادرت المكان بابتسامة٠،٠ وأنا أعلم أنني سأعود مُجددًا حين غفلة لرؤية أبي-٠-٠ .٠

أخذ عُمر الخِطاب وفتحه بهدوء٠،٠ فاستطرد محمود٠:٠

٠٠٠٠٠وبالفعل وجدته يُرسل لي خطابات بين فترة وأخرى٠٠ يطمئنني على حاله ويُرسل لي أموال لأستطيع العيش٠٠ ويُخبرني بما لا يستطيع كتابته في مُذكراته٠٠ قرأت المُذكرات٠٠ وفهمت حكاية أبي جيدًا٠٠ ثم ذهبت لأراه على غفلة كما قُلت٠٠ لكني لما وَقفت أمام البناية وَجدت عم محفوظ يمنعني من الدخول٠٠ ويُخبرني أنني لن أستطيع الدخول أبدًا طالما حمزة الراهب ٠(٠سعيد العراقي٠)٠ يَرفض دخولي٠٠ ابتسمت وأخبرته أنني سأدخل مهما كان الثمن٠٠ فتركني مَحفوظ أدخل مَدخل البُناية٠٠ فشعرت بالقلق٠٠ولما دخلت مَدخل ٠٠٠الكهف٠٠٠ كما أحب أن أقول عليه٠٠ وَجدت المكان خاليًا من البشر٠٠ والأغنية بدأت تعلو في أرجاء المكان٠٠ فشعرت بالخوف٠٠٠لكن هل سيؤذيني أبي٠!٠ لن يؤذيني فأنا ابنه ولن يُحب أذيتي أبدًا٠!٠٠ لكني سمعت صوتٌ رخيم من الخلف يُخبرني أن أغادر٠٠ لأنني لن أخرج أبدًا٠٠٠بدأت أبحث عنه في أرجاء المكان٠٠ لكنه لم يَكن هُناك أي أحد٠٠ شعرت بأن الجنون أصابني٠٠ وأنني جُننت بوجود أبي حولي٠٠ لم يَكن هُناك أي غُرف٠٠ لم يَكن هُناك أي مكان أخر غير هذا٠٠ السرير والجرامافون والمكتب العتيق٠٠ لذا كيف أسمع صوته من هُنا٠!٠٠ فسمعت الصوت مُجددًا ٠٠٠غادر٠٠٠ ٠٠
لم أستطع تحديد موضعه أبدًا٠٠ فوجدت عم محفوظ يأتي من الخلف ويُربت على كتفي٠٠ ثم يُخبرني أنه لن يخرج أبدًا٠٠ ولن تستطيع رؤيته حتى يشاء هو٠٠ في طريقي إلى المغادرة٠٠ وَجدت الأغنية تتوقف٠٠ فنظرت خلفي باحثًا عن أي شيء٠٠ أي شيء٠٠ فوجدت صورته مُعلقة على الحائط٠٠ نظرت إلى محفوظ فأخبرني أن ألتقطها دون قلق٠٠ إن لم يردأن تراها فلن تراها أبدًا٠٠ لقد وضعها لسبب٠٠ وبالفعل أخذت الصورة٠٠ ولم

أعد إلى هذا المكان مُنذ حينها٠٠ ٠.

بدأت أصوات العصافير تُزقزق في أرجاء القرية٠،٠ شمس صافية تَهل في بيوت الفقراء٠،٠ شعر عُمر بأن الشمس أخيرًا احتلت قلبه٠،٠ لأنه أخيرًا سيرى أباه٠،٠ عرف موضعه ومكانه٠،٠ حتى لو كان بعيدًا٠،٠ لكنه أخيرًا سيراه٠،٠ حتى ولو شاء أن يَقتل أي شخص٠،٠ ليرى هذا الرجل٠!٠

ابتسم محمود٠،٠ ثم قال٠:٠

٠٠٠٠٠شعرت بأن الهدف الأسمى الذي يوجهني أبونا إليه هو أن أزورك٠،٠ وأعرفك وجهتنا القادمة٠،٠ وأخبرك أنني لن أغادر هذا المكان أبدًا حتى نرى أبانا٠٠٠ ٠.

٠٠٠٠٠وأنا أيضًا لن أجعلك تغادر حتى تجعلني أرى هذا المكان٠٠٠ .
٠

٠٠٠٠٠لكني لن أستطيع فعل هذا الأمر وحدي٠،٠ حتى وإن كُنت معي فنحن لسنا بالقوة الكافية٠،٠ حسن العلايلي وما بقي من أسرته سيقتلونني إن عرفوا أنني أعرف موضع أبي ومكانه٠٠٠ ٠.

٠٠٠٠٠ما الذي يجب علينا فعله٠؟٠!٠٠٠

٠٠٠٠٠نجعل الأهالي في صفنا٠،٠ نُخبرهم أن الأمل ما زال قائمًا٠،٠ومازلنا بحاجة إلى القوة٠٠٠ ٠.

شعر عُمر بالقلق٠،٠ فنهض من مكانه فجأة٠،٠ ثم نظر لمحمود بخوف٠:٠

٠٠٠٠٠إذًا لماذا لم يُخبرني الشيخ أن لي أخًا أكبر٠؟٠!٠ لماذا لم

يُخبرني أبي بهذا في مُذكراته٠! هُناك كذب٠، هُناك واحد يُحاول التلاعب بي٠-- ٠.

نهض هو الآخر وتحولت ملامح الاطمئنان إلى ذعر٠:

٠--٠--٠اهدأ يا عُمر٠،٠اهدأ٠-- ٠.

سَمع صوت الباب يُطرَق٠:

٠--٠--٠صدقني٠،٠أنا لن أكذب عليك٠!٠--

اتجه ناحية الباب فأوقفه محمود٠:

٠--٠--٠لا تفتح الباب يا عُمر٠، لا تفتح الباب٠-- ٠.

٠--٠--٠إنه الشيخ جمال بالتأكيد فلا أحد يزورني سواه٠-- ٠.

٠--٠--٠لا تفتح الباب أنا أحذرك٠-- ٠.

احتدت ملامحه وسار حتى الباب٠، فأوقفه محمود بجملة٠:

٠--٠--٠إن فتحت له الباب لن نذهب إلى أبيك٠، لن نذهب إلى الكهف٠-- ٠.

٠--٠--٠لماذا٠؟٠!٠--

٠--٠--٠لأن أبي طلب مني هذا يا عُمر وسأمنعك حتى ولو بالقوة٠! ٠--

توقف عُمر٠، مُتسمرًا في مكانه٠، نظر إلى محمود وأخبره٠:

٠--٠--٠لماذا٠!٠--

٠٠٠٠٠ليس هُناك وقت٠٠ سنذهب إلى المكان الذي يقطن فيه أبوك٠٠ ثم نعود ونشرح الأمر للشيخ وباقي الأهالي٠٠٠ ٠٠

سَمع صوت أقدام تقترب من الباب٠:٠

٠٠٠٠٠إن الشيخ يظن أنني خطرٌ عليك يجب أن نخرج سريعًا٠٠ سيقتلونني٠٠٠ لم يكن يعرف٠٠ هل هو على حق أم نصاب٠؟٠ لكن ما الذي سيستفيده من كُل هذه اللعبة٠؟!٠٠ الشيخ جمال يستطع الانتظار٠٠ أما تلك الفرصة لن تُهدر ولن تنتظر أبدًا٠٠ تقدم عُمر ناحية النافذة في الناحية المضادة للباب٠٠ خَرج من النافذة لأنه يقطن في الطابق الأرضي٠٠ وخرج خلفه محمود٠٠ ثم ركض محمود بعيدًا ومعه عُمر٠٠ إلى مكان لا يعرفه٠ ٠٠

مكان تتضح فيه الرؤية كاملة٠!٠

.*. .*. .*.

## (٢)

٠٠٠ حَمزة الراهب ٠٠٠ ٠٠

تردد الاسم في مسامعه دون تَمهل ولا تَوقف٠٠ اسم غريب وكأنه يدل على أن صاحبه مسيحي الديانة٠٠ هل أبوه أصبح مسيحيًا بعد أن كان مُسلمًا٠؟٠ أم هذه مُجرد خدعة كي لا يكشفه أحد٠؟٠! ٠٠ بالتأكيد هو الأمر الثاني لكن الشكوك تَظل بعقله كأمواج غير واهنة٠ ٠٠

أبوه حي٠٠أبوه يعيش في مكان بعيد٠٠ مكان يُدعى ٠(٠مَصر

الجديدة)،، تلك هي المرة الأولى له التي يخرج فيها خارج قريته،، لم يَخرج منها أبدًا وكأنه الكون الخاص به،، كالطفل الصغير الذي يرى المطر للمرة الأولى،.

وَصلوا القاهرة،، في مُدة لا تتجاوز الثلاث ساعات،، كان (محمود)، يتحدث كثيرًا لكن عُمر لم يسمعه أبدًا،، لم يَكن عقله مُتيقظ للحديث أبدًا،، ولا حتى جسده،، فكان يتألم دون حتى أن يُصدر أي إشارة تَدل على الألم،، جسده لم يذق طعم الراحة بالرغم من كُل هذا العناء،.

في الميكروباص المُتوجه إلى مصر الجديدة،، كان يَنظر إلى النافذة،، مُركزًا أنظاره نَحو الفتيات،، فتيات تقريبًا لم ير مثلهن في حياته،، كُلما نظر إلى واحدة غض بصره لكنه يختلس النظرات مُجددًا،، فرآه محمود،:

---أبوك كان مثلك تمامًا يا عُمر--.

نَظر له بترقب،، فسأله،:

---وكيف تعرف،؟!، فأنت مثلي لم تره أبدًا--.

---ألم تقرأ المُذكرات،؟!، أبوك كان يعشق النساء مثل عينه--.

---أي رجل يعشق النساء مثل عينه،!--

فصمت محمود ونظر أمامه دون حديث،، وبعد وقت قليل وصلا إلى المكان المُرجو،، وأثناء وقوفهما أمام المكان،، بدأ عُمر يُدقق النظر حول الأماكن والأشخاص المحيطين به،، شارع

نظيف جدًا٠٠ وكأنه لم ير شوارع في حياته من قبل٠٠ كان يشعر بالحرج لوقفته في هذا المكان بهذه الملابس البالية التي تُظهره كشحاذ٠ ٠

دقق النظر مُجددًا لكن في المكان الذي يقطن به أبوه٠٠ أو هكذا ادعى محمود٠٠ كانت البناية عادية للغاية لكنها كثيرة الطوابق٠٠ ابتسم محمود٠:٠

٠---٠٠٠ابتسم يا عُمر٠٠أبوك بالداخل٠--٠ ٠

لكنه لم يَكن مُقتنعًا٠٠ لم يشعر بأن تلك النهاية التي طالما بحث عنها٠٠ ليست بالتأكيد بتلك السهولة٠٠ نظر إلى البناية واقترب من البوابة٠٠ فبدأ الزمن يبطؤ تدريجيًا وضربات قلبه تشتد٠٠ وكأن قلبه وَد الانقلاب على قفصه الصدري٠ ٠

٠---٠٠٠على فين يا شباب٠؟!٠--٠

كان البواب مُتخفيًا لحين أزمعا الدخول٠٠ فوقف أمامهما بالمرصاد٠٠ وانتظر حتى أن يتحدث محمود٠٠ لكن محمود ظل صامتًا٠:٠

٠---٠٠٠أنا أبحث عن العم محفوظ٠--٠ ٠

فصمت البواب٠٠ فاستطرد محمود واضعًا في يد البواب عشرون جنيه٠:٠

٠---٠٠٠بالتحديد أكثر أبحث عن حمزة الراهب٠--٠ ٠

كان البواب مُبتسمًا٠٠ لكن ملامحه دلّت على شيء غير ذلك٠٠

فاقترب محمود أكثر منه٠:

٠-٠-٠-٠بالتحديد أكثر وأكثر٠، أبحث عن سعيد العراقي٠-٠ ٠.

أمسك الورقة فئة العشرين جنيه٠، ووضعها في جيب محمود مُجددًا٠:

٠-٠-٠-٠خُذ أموالك يا بيه٠، حَمزة الراهب مات مُنذ زَمن طويل وأبي محفوظ لحقه الشهر الماضي٠-٠ ٠.

صُدم عُمر٠، لكن تعابير وجه محمود كانت ثابتة وجامدة كما هي٠، شعر بأنه يكذب٠:

٠-٠-٠-٠إذًا أنت ابن محفوظ صح٠؟!٠ لقد حكى عنك كثيرًا يا وَلد٠-٠ ٠.

٠-٠-٠-٠الله يحظك يا باشا٠، إذًا ما الذي تُريده٠؟!٠-٠

٠-٠-٠-٠أنا أود الدخول إلى البناية٠، الغرفة التي كان يَقطنها سعيد العراقي٠-٠ ٠-٠-٠-٠من هو سعيد العراقي يا بيه أنا لا أعرف شخص يدعى بهذا الاسم٠!٠-٠

٠-٠-٠-٠إذًا أدخلني غُرفة حمزة الراهب٠!٠-٠

٠-٠-٠-٠لا أستطيع فأبي أوصاني ألا أفتحها للغرباء٠-٠ ٠.

٠-٠-٠-٠أناابن حمزة الراهب٠!٠-٠

٠-٠-٠-٠حمزة الراهب لم يتزوج طيلة حياته٠!٠-٠

صَمت محمود وأخذ نفسًا عميقًا٠، ثم ابتسم لعُمر كي يُطمئنه٠:

-----حتى وإن تزوج فبالتأكيد لن يُنجب شابًا بهذا الصوت الأنثوي!---

هُنا شعر عُمر بأن أخيه فقد أعصابه وفقد توازنه، فابتسم مُحاولًا الحفاظ على هدوءه:

-----قُل لي، هل لديك أولاد!---

-----عندي ولد--- .

-----ألا تريد شراء شيئًا جميلًا ليلعب به؟---

وأخرج من جيبه ورقة فئة الخمسين جنيه، ووضعها في جيب البواب:

-----أدخلنا إلى غُرفة حمزة الراهب وسأعطيك مثلهم--- .

نَظر إلى المال، ثم وافق وبالفعل أدخلهما إلى غُرفة أسفل الدَرج، في مكان مَخفي تمامًا لا يستطع أحد رؤيته بسهولة، فتح الباب ذا اللون الأبيض بمجرد أن وَضع المفتاح في القفل، ودخلوا إلى الغرفة. .

لقد كانت غُرفة عتيقة بحق، نظيفة إلى حد كبير وكأن من عاش بها تركها بالأمس، غرفة واسعة ويطغى عليها اللون الأبيض، والإضاءة البرتقالية تضع هيبة لتفاصيل الغرفة، ودرجتا سلم في مُنتصف الغرفة لتفصل بين الباب والغرفة ذاتها، لكنها على الرغم من كُل هذا لم يكن بها كُل تلك الفوضى التي تحدث عنها محمود، فلقد كانت الغرفة نظيفة للغاية. .

على اليسار مُعلقة صورة لفتاة عارية٠٠ صورة يتضح عليها القِدم الشديد٠٠ فتاة تَنظر إلى الأرض باستحياء وتضع يدها على شعرها الأشقر غير الناعم٠٠ كانت جميلة بحق٠٠ من أين أتى أبوه بهذه اللوحة٠؟!٠

وفي الأسفل كان الجرامافون يُعطى للغرفة شيء من العظمة٠٠ لابد وأنه الجرامافون الذي حكى عنه أبوه والذي كان في قصره يومًا ما٠٠ ابتسم عُمر لا إراديًا٠٠ لأنه رأى أباه في تلك الأشياء!٠

٠٠٠٠أبوكما كان على علم بقدومكما٠٠ لذلك غادر٠٠٠ ٠

لقد كان البواب على معرفة بالأمر٠٠ فابتسم محمود مُجددًا لعُمر لأن تخمينه كان صحيحًا٠٠ اقترب البواب من الجرامافون٠٠ ثم نظر إليهما٠:

٠٠٠٠كما أوصاني٠٠٠ ٠

وبدأت الأغنية المُفضلة لأبيه تتطاير في وجدانه٠٠ ٠٠أنا هويت وانتهيت٠٠٠٠ في تلك اللحظة فقط صدق محمود٠٠ وشعر بأنه أخوه حقًا وليس مُجرد رجل نصاب٠٠ ابتسم له٠٠ وبدأ يَنظر مُجددًا إلى الغرفة وإلى السرير الذي ينام أبوه عليه٠٠ فسمع صوت البواب وهو يغادر الغرفة٠:

٠٠٠٠ولا تنسى أبدًا يا عُمر٠٠أبوك سيعود يومًا ما٠٠٠ ٠

وأخرج الخمسين جنيه وألقاها على مقربة من محمود٠٠ ثم غادر الغرفة٠٠ كُل هذا والأغنية تُرسل ما تبقى من أمل في نفسيهما٠٠ تلك الأغنية التي قادت أباه إلى هذا الطريق٠ ٠

حاول عُمر البحث عن أي شيء يدل على طريق أبيه لكن آماله خابت.. فالغرفة كانت فارغة تمامًا من كُل شيء.. ما عدا القليل من الأوراق الفارغة المُتناثرة في أرجاء المكان.. ابتسم محمود.. ثم تحدث بثقة.:

.....أبونا لن يعود أن وددنا عودته.. لكنه سيعود حين يود هو العودة... .....ماذا لو كُشف أمرنا.؟!...

كانت الأحوال بالقصر الخاص بعائلة العلايلي غريبة.. العائلة في انزعاج كبير بسبب كبيرهم الغاضب لأسباب مجهولة.. وسالم يُلقي الأوامر لعُمال القصر حتى لا يُزعجون أباه أكثر. .

في تلك الأثناء كانت تجلس الفتاة التي أعطت لعُمر صورة أبيه أثناء زيارته للقصر.. ذات الجسد المُتناسق والشعر الأسود.. ومعها سيدة تكبرها عُمرًا.. سيدة كَبيرة في العقد السادس من عُمرها.. تَرتدي ملابس عادية ولا يَبدو من ملابسها أنها واحدة ذات سلطة في القصر الكبير.. لكن الحِكمة والذكاء يطّلان من عينيها. .

كان التوتر يسود الأجواء.. حسب ملامحهما فهناك سر كبير يُشتت أنفاسهما.. الفتاة أخرجت تلك الكلمات بحرص شديد وترقب لأي شخص قد يُفاجئهما ويَدخل. .

ذلك المكان غير المُضيء البته.. جلستا فيه تتحدثان عن خطتهما غير واضحة المعالم.. لكن خرجت تلك الجملة وكأنها شاذة عن كُل شيء قيل وقال وسيقال.. فابتسمت السيدة مُحاولة إخفاء التوتر الذي يسود وجهها.:

-----لن نأت بعد كُل هذه المُدة ونَخيب!---

-----أنا أشعر بالضيق،، وكأنني أصبحت مخلوقة لهذا فقط!---

-----وأنا أيضًا!، لكن صبرًا جميلًا يا ابنتي!---

---إلمتى؟!، إلى متى يا أمي؟!، حتى يَنكشف أمرنا ويقتلنا حسن العلايلي!---

بدأ صبرها يَنفذ ناحية الفتاة والتي اتضح أنها ابنتها،، فبدأ الغضب يُثار على وجهها:،

-----لا تُندميني أني حكيت لكِ الحقيقة يا ياسمين!---

في تلك اللحظات دَخل سالم إليهما،، بوجه مُبتسم على غير عادته،، فاعتدلتا في جلستهما وبادلتاه الابتسام:،

-----أبي يريدك يا ست زينب،، بشيء ضروري وخصوصي للغاية--- .

نهضت زينب،، السيدة الكَبيرة،، ثم قالت لسالم والذي – على غير عادته أيضًا – كان يُحبها جدًا لأنها اعتنت به واكتنفته مُنذ أن كان طفلًا،، لأن أمه الحقيقية ماتت:،

-----هل تعرف شيء بخصوص هذا؟!---

-----لا والله يا ست زينب،، أنا لا أعرف شيء--- .

خَرجت من الغرفة والشك يُساورها،، أما ياسمين فظلت واقفة أمام سالم،، وابتسمت له:،

٠-٠-٠-٠عجبًا٠،٠ من يَراك مع أمي يتعجب أن هذا الرجل هو من يَقتل ويَسب في الخارج٠!٠-٠

٠-٠-٠-٠تلك السيدة يجب عليّ بل حتمًا أن أكّن لها احترامًا يا ياسمين٠-٠ ٠.

خَرجت هي أيضًا من الغرفة وتبعها سالم٠،٠ فبدأ يتحدث٠:٠

٠-٠-٠-٠هل عرفتي النبأ الجديد في القرية٠؟٠!٠-٠

شعرت ببعض من الخوف من النبأ٠،٠ لكنها أومأت كأنها تود سماعه٠:٠

٠-٠-٠-٠يقولون أن عُمر العراقي اختفى من القرية تمامًا ولا أحد يعرف طريقه٠-٠ ٠.

هُنا شعرت بالخوف الحقيقي يُحيطها٠،٠ يتهافت على قلبها ومسامعها٠،٠ فحاولت إخفاء خوفها٠،٠وابتسمت٠:٠

٠-٠-٠-٠أنا لم أحب هذا الولد٠،٠ أتمنى أن لا يعود أبدًا٠-٠ ٠.

٠-٠-٠-٠هل أخبرك بسر يا ياسمين٠؟٠!٠ أنا اعلم أنكِ لن تقولي هذا السر لوالدنا أولأمك على الأقل٠-٠ ٠.

أومأت برأسها أيضًا كي يُلقي على مسامعها السر٠:٠

٠-٠-٠-٠أنا خائف من عودة سعيد العراقي٠،٠ كُلما سمعت شيء عنه كُلما عرفت مَدى الجُرم الذي ارتكبه أبي وأقرانه نحوه٠-٠ ٠.

٠-٠-٠-٠لا أحد لا يخاف عودة العراقي٠،٠ وأناعلى خير علم أن

عودته ستسبب العديد من المهالك٠٠ ٠.

٠٠٠٠أبي يقول دومًا أن عِنده أساليب للقضاء عليه٠، لجعله يَستسلم دون حتى أن يَرفع عليه سلاح٠٠ ٠.

٠٠٠٠وهل تظن أن سعيد العراقي سيعود وحده٠؟!٠ لن يعود العراقي إلا بالعديد من الناس لاقتحام قصرنا وقتلنا جميعًا٠٠ ٠.

تعجب من ردها بهذا النحو٠، فابتسم قائلًا٠:

٠٠٠٠أراكِ مُتحمسة لعودته٠٠ ٠.

شعرت بأن بريق عينيها فضح مشاعرها دون الحديث٠، فكما تشرح أمها٠، سعيد العراقي هو المُخلص والمُنجي والناجي الوحيد٠، وأن الحياة في هذه القرية ستكون أهون بكثير مما عليه الآن٠ ٠.

حاولت كَبت ردّها الحقيقي٠٠:٠٠ نعم أناأريد عودته٠!٠٠٠، وابتسمت٠، مُدارية شعورها٠، وأردفت٠:

٠٠٠٠أود عودته فقط لأراه مقتولًا وأرى دماءه تُغذي جنبات القرية٠٠ ٠.

ابتسم سالم مُطمئنًا٠، ثم أخبرها٠:

٠٠٠٠هل تعرفين حكايته أصلًا٠؟!٠٠

٠٠٠٠ومن في القرية لا يعرف حكاية سعيد العراقي٠!٠ فالأطفال يعرفون حكايته قبل الكِبار٠!٠٠

سَمع صوت أبيه مُناديًا عليه من آخر القصر.. فاستأذن أخته وصعد نَحو أبيه مُهرولًا.. ظلت ياسمين واقفة موضعها.. وهي لا تعرف ما القادم.. ما الخُطة التي يجب عليها فعلها..؟..!.

لكن الشيء الوحيد الذي كانت تعلمه علم اليقين.. أن تلك الأحداث.. بصعوبتها ومساوئها.. لن تعود كما كانت لو جاء سعيد العراقي.. فالأمل كُله ينصب نَحو شيء واحد فقط..اسمه ..(..سعيد العراقي.)..

في نفس اللحظة خارج القصر.. وقف الشيخ جمال.. ومعه كُل أهالي القرية تقريبًا.. الأطفال والشيوخ والرجال.. صارخين في نفس واحد..:

..-...-عُمر العراقي..، عُمر العراقي-.. .

لقد ظنّ الشيخ جمال أن من خَطف عُمر كان حسن العلايلي..، ومن ثم أقنع القرية بأكملها بأنهم سيقتلونه إن لم يُنقذوه الآن..، فجمّع الأهالي كُلهم ووقفوا أمام القصر يصرخون باسم عُمر. .

خَرجت ياسمين إلى النافذة تُشاهد كُل هذا.. على وجهها ابتسامة..ابتسامة تَسخر من كُل شيء حولها.. وَجدت حُراس القصر يَقفون أمام البوابة ومعهم الكثير من الأسلحة.. كانت تسمع أصواتًا من الداخل لأبيها الغاضب.. يَصرخ سَخطًا..:

..-...-أنا سأخرج لهم وأحل تلك المُشكلة-.. .

كان الحَشد مازال يَصرخ باسم عُمر.. يتقدمون خَطوة بخطوة حتى أوقفهم الشيخ جمال بيده..:

٠-٠-٠-٠قولوا لكبيركم أننا نريد ابننا٠،٠ وإلا أقسم بعزة جلال الله سنقتلكم واحدًا تلو الآخر حتى يَخرج عُمر من بينكم٠-٠-٠ .٠

لم تَكن تعرف إن كان عُمر بحوزتهمأم لا٠،٠ لكن سالم – أخوها من الأب فقط – لو فعلوا هذا لأخبرها٠،٠ فسالم يُحبها ويُحب زينب أمها حُبًا كبيرًا٠،٠ ومن عادة سالم أن يأتي ويتحدث معها عن كُل شيء بسذاجة مُنقطعة النظير٠ .٠

كانت تعرف بأعماقها أن عُمر ليس معهم٠،٠ فلم تقلق كثيرًا لأنها عَرفت أنه مُجرد سوء فِهم وسيذهب كما جاء بكُل هدوء٠،٠ خَرج ٠(٠حسن٠)٠ من القصر ومعه رجاله٠،٠ على مقعده المُتحرك ذي اللون الأسود الفخم٠،٠ ما أن خرج من القصر ابتعد جمال ورجال القرية عنه بعدة أمتار لسبب غير واضح٠،٠ حتى أصبح بين جمال وحسن مسافة بعيدة٠:٠

٠-٠-٠-٠تلك المرة الأولى مُنذ زمن يا حسن٠!٠-٠-

أخذ حسن نفسًا٠،٠ فنعم تلك المرة الأولى مُنذ زمن بعيد على نزوله القرية أمام الأهالي٠،٠ فكلما نزل حاول بأقصى الطُرق أن يبتعد عن أنظارهم٠،٠ خوفًا منهم٠!٠

٠-٠-٠-٠ليس هذا ما تريد الحديث عنه٠،٠ابنك ليس بحوزتنا٠،٠ ولم أرسل لك واحد من رجالي أو حتى سالم ليقول لك هذا٠،٠ لأثبت لك جدية الأمر٠!٠-٠-

٠-٠-٠-٠ومـا الـذي يُدريني يـا حسـن أنـك لا تَكـذب عليّ٠،٠ وعُمـر بالداخل يُحاول الصراخ ولا يستطيع٠!٠-٠-

٠٠-للأسف لن يُدريك شيء ولن أستطيع إظهار لك دليل لأني لا أملك واحدًا٠!٠٠

كانت المسافة طويلة لدرجة أن كُل واحد منهم يصيح حتى يسمعه الثاني بوضوح٠٠ وتعجب حسن من هذا الأمر فلا يستطع رؤية وجوههم بتفاصيلها٠٠ كُل ما يراه أمامه رجلًا عجوزًا٠٠ والكثير من الشباب وقِلة من الشيوخ والأطفال٠:

٠-٠٠-٠لكن بعقلك الفذ يا شيخ القرية٠٠ هل أود اختطافه حقًا٠؟!٠ فهو يعمل عِندي وإن وددت قتله أثناء العمل سأفعل هذا٠!٠٠

٠-٠٠-٠أنا لست غبيًا حتى تُخبرني بهذا أيها الرجل٠٠ وما الذي يُثبت لي أيضًا أنك خطفته وستقتله دو٠ ٠. ٠. ٠-٠. ٠.

لم تُركز ياسمين مع الحديث على الإطلاق٠٠ بل كُل ما شغل بالها لدرجة كبيرة هو عُمر العراقي العائد من الخلف٠٠ فهي تراه بوضوح يقترب نَحو القصر ومعه شخص آخر غريب٠٠ أخذت نفسًا وكأن قلبها اطمئن لعودته٠٠ ثم أوقفهم عُمر بكلمة٠:

٠-٠٠-٠أنا هُنا يا شيخ٠-٠ ٠.

التفت الكُل للوراء٠٠ في دهشة من أمرهم وتعجب غريب٠٠ كان عُمر مُتعبًا ومُرهقًا لأقصى درجة٠٠ جَسده قد قُرب على السقوط دون دراية٠ ٠.

دَخل عُمر بينهم ومعه ٠(٠محمود العراقي٠)٠٠ فبدأ الكُل يسترق النظر إلى هذا الرجل الغريب عن القرية٠٠الطويل والشامخ٠٠ مُحاولين معرفة من هذا الرجل٠ ٠-٠٠-٠ألم أخبرك أنه ليس معنا٠؟!

٠--٠

لم يُحاول الشيخ الرد عليه٠،٠ لأنه كان خائفًا على عُمر وها هو أمامه٠،٠ ابتسم مُطمئنًا٠،٠ ثم قال عُمر لكُل الواقفين٠،٠ وبدأت ياسمين تُدقق سمعها نَحو ما يقوله٠:٠

٠--٠٠٠أنا لم أكن مَخطوفًا٠،٠ لم أكن محبوسًا أو شيء من هذا القبيل٠--٠ ٠.

وأخذ يُعلي في صوته أكثر حتى يسمعه الجميع٠،٠ حتى حسن ذاته كان مُتشوقًا لمعرفة أين كان٠،٠ كان عُمر يُحارب السقوط من شدة الإعياء والمرض٠:٠

٠--٠٠٠أنا كُنت مع هذا الرجل٠،٠ الرجل الذي يعرف الحقيقة كُلها٠--٠ ٠.

ثم أشار نَحو محمود٠،٠ فنظر الجميع نحوه حتى ياسمين ذاتها٠،٠ واضعة يَدها على خدها مُحاولة فِهم ما يحدث٠،٠ توقف مكانه محاولًا عدم السقوط بين الناس٠:٠

٠--٠٠٠هذا هو محمود العراقي٠،٠ أخي الأكبر٠--٠ ٠.

بدأت الصيحات تَخرج بين الجَمع٠،٠ حتى حسن العلايلي نفسه تعجب بشدة لهذا الأمر٠،٠ والشيخ جمال لم يَكن مُستوعبًا ما قيل٠،٠ وكأنها صدمة ثقيلة الوطأة تأتيه على رأسه الهشّة٠،٠أما ياسمين٠،٠ فتيبست وتسمرت موضعها٠ ٠.

ابتسم محمود٠،٠ ثم نَظر إلى عُمر٠،٠ فوجده يسقط على الأرض مُباشرةً مَغشيًا عليه غير واعٍ لأي شيء يَحدث حوله٠!٠

.*. .*. .*.

# (٣)

مِن مُذكرات ٠(٠سعيد العراقي٠)٠:٠٠

امتلأت يَدي بالدماء يا بُني٠،٠ أصبحت لا أرى سوى الدماء٠،٠ أخر ما توقعت أنتغمره الدماء هو قَلبي٠،٠ حتى قلبي أصبح غير صالحل لاستعمال مُجددًا٠!٠

أريد الحياة كالسابق٠،٠ سهلة وبسيطة٠،٠ حتى وإن كُنت فقيرًا فلا أريد أن أسلك هذا الطريق٠،٠ طريق تنام فيه بعين وأخرى مفتوحة٠،٠ لكني في النهاية٠،٠ لم أندم على خوضي لهذا الطريق إلا تلك اللحظة فقط٠!٠

عندما فتحت عيني وَجدت زوجتي ٠(٠فاطمة٠)٠ جالسة٠،٠ عيناها مُخضلتان من البُكاء٠،٠ واضعة يدها على يَدي لتطمئن علي٠،٠ من الواضح أنها لم تتركني أبدًا٠،٠ بمُجرد أن رأتني أفتح عيني٠،٠ابتسمت٠،٠ بل صرخت من السعادة وعانقتني دون مراعاة لذراعي المُصاب٠،٠ لكني لم أشعر بالألم٠،٠أو الألم كان موجودًا لكنني لم أشعر به٠،٠ لأنها بين أعناقي الآن٠ .٠

تلك الفتاة التي أحببتها ولم تختف من قلبي أبدًا٠،٠ الآن تعانقني وتهمس في أذني بكلمات غير واضحة على الإطلاق٠،٠ ظلت تبكي وتبكي٠،٠ بعد أن ابتسمت وفَرحت ليقظتي٠،٠ الآن تبكي خائفة علي٠!٠

-.-.-.ألم أخبرك أن تبتعد عن هذا الطريق.. ألم أخبرك يا سعيد-.-..

ابتسمت.. وتذكرت أن ما حدث في الصحراء أثناء عملية تبديل السلاح لم يكن حادث.. بل كان مجزرة حقيقية بكُل المقاييس.. راح ضحيتها أكثر من ثلاثين شخص.!.

كانت حيواتهم عادية.. أو أقل من العادية.. قُتلوا في غمضة عين.. وأنا المُتسبب في قتلهم جميعًا..أو على الأقل المُتسبب في قتل رجالي.!..لمّا فكرت في هذا الأمر أصبحت أصرخ في قرارة نفسي.!.

-.-.-.يا قَلبي عاللي مالوش حد-.-..

أطرقت السَمع أكثر.. فكان الصوت من صالة القَصر.. على الجرامافون ذي الصوت العالي.. ابتسمت لزوجتي مُحاولًا تخفيف وطأة الأمر على نفسي وعليها.. أخبرتها بهدوء.:

-.-.-.هل تحبينني يا فاطمة.؟.!.-.

نَظرت إليها ودموعها تتساقط على صَدري.. فوجدتني بدون أي سابق إنذار أخطفها مُجددًا نَحو أعناقي.. لا أعلم لماذا.. لماذا تزوجت من الأساس.. لماذا أحببت تلك الفتاة.؟.. يجب أن أحافظ عليها وأحميها فهي تقريبًا الشيء الوحيد الذي يستطيعون تهديدي به.. لو لم أرها صُدفة لم يَكن لدي الآن ما أخشاه لمواجهتهم. ..

-.-.-.عِدني بأنك لن تجعلني أخاف عليك مُجددًا يا سعيد-.-..

وَضعت يدي على شعرها وبدأت أتحسسه بهدوء.. لا أعلم ما الذي سأقوله.. أطمئنها كذبًا أم أقول لها حقيقة الأمر وأخيفها أكثر.؟!. أنا لست ذكيًا.. أعترف بهذا أمامك يا بُني حتى أمام أهل القرية بأكملها..أنا لست هذا الرجل الذكي ليحمي قريته ويحمي عائلته من الخطر.. وجدت الصوت يُطربني ويزيد قلقي.. ..

---..طول عُمره يقاسي الوَجد.. وتجري دمعته عالخد.. مسكين حاله بالمرة--.. ..

أود البُكاء في أحضانها.. الخوف يتملك من أعصابي وكأن النهاية على الأعتاب.. لكن نهاية ماذا.؟!. نهاية كُل شيء أم نهايتي أنا فقط.!. أنا لا أعلم ولا أريد أن أعلم:..

---..لمدة يومين وأنت على هذا الحال.. هل أنت سعيد بهذا.؟!. سعيد بأن تكون كُل يوم عُرضة للموت.؟!.--..

نَظرت في عيني.. تود القرار الأخير والوعد النهائي:..

---..عِدني أنك لن تعود إلى هذا الطريق مُجددًا--.. ..

وباتت الكلمة تَجول بأنحاء وجداني.. أعدها بماذا وأنا حياتي أصبحت على كف عفريت.. لن أستطيع وعدها بأي شيء.. ابتسمت وأخبرتها بهدوء:..

---..أعدك يا فاطمة أنني لن أجعلك تخافين علي كتلك المرة أبدًا--.. ..

ارتاح خُلدها لمّا سمعت هذه الجُملة.. لقد كذبت عليها.. أنا أعلم

تمام العلم أن حياتي لن تَكن إلا عُرضة للأخطار،، فجأة سمعت صوت باب الغرفة يُطرق،، كان جمال،، فلم تَنهض زوجتي لترتدي شيئًا يُغطي شعرها لأنه أخيها،، وجدته يقترب مني ويطمئن علي،، فابتسمت ثم تحدثت بلهجة جدية،:

،،،،ضعوا أضعاف عدد الحُراس على القصر،، ،،،، ،،

،،،،فعلنا هذا بالتأكيد،، عدم عودة الرجال معك جعلتنا نشعر بالخوف،، وعودتك على هذه الحالة بالطبع،، وأيضًا أسلحتنا التي بنفس سيارتك،، توجب علينا فعل اللازم لأجل حمايتك وحماية القصر،،، ،،

شعرت بالراحة لثوانٍ معدودة،، وشكرته على كُل هذا،، فوجدتني مُباشرةً أنهض من السرير وصيحات زوجتي وجمال يُحذرانني من فعل هذا،، لكني شعرت ببعض الراحة وأن جسدي أصبح قادرًا على التحرك،، أنا لن أعود على هذا السرير وأهل القرية يحتاجونني،، نهضت ونظرت من نافذة القصر،، فوجدت الحياة تَسير كما هي،، لا شيء تغير،، ثم التفت لجمال وأنا واضع يدي اليُمنى على إصابة ذراعي الأيسر،:

،،،،هل عَلم أهل القرية ما حدث،؟!،،

،،،،لا لم يعلم أحد،،لقد شددت على الحُراس بأن لا يقول أي أحد ما حَدث،،، ،،

تحولت ملامحي إلى الحُزن في أقل من ثانية،:

،،،،وأهالي الحُراس الذين قُتلوا في الصحراء معي،؟!،،

أطرق جمال رأسه إلى الأرض.. لم يستطع الإجابة.. فعل مثل هذا يمكن أن يجعل أهل القرية ينقلبون ضدي تمامًا.. فأنا لم أحم شباب القرية كما وعدتهم.. فبالتالي لن أحميهم..!.

لكن ما حَدث لاحقًا.. في الدقائق التالية.. أثبت أن كُل شيء لن يستمر كما جاء..:

..---..غرباء بأسلحة.. غرباء بأسلحة---.. .

رأيت من الشُرفة عدد لا بأس به من الأطفال يَركضون ناحية القصر.. يصرخون علامة على قدوم الغريب إلى القرية.. في اللحظة التالية سمعت طلقات الرصاص تعلو سماء القرية.. وبدأت حالة من الصياح والذعر تحدث في القرية.. فالرصاص يَنهش أجساد أهالي القرية.. والدماء تتناثر في جنباتها.. لم أحتاج لذكاء خارق لكي أعرف أن من يفعل كُل هذا.. هو حسن العلايلي.. وها قد أتى أخيرًا للانتقام وقتل أهالي القرية.. وقَتلي..!.

..---..زوروني كُل سنة مَرة.. حرام تنسوني بالمرة---.. .

.*. .*. .*.

..---..سعيد العراقي كان وغد---.. .

قالها محمود لـ .(عُمر). بعد أن أنهى له قراءة الفصل ما قبل الأخير في دفتر أبيهما.. ما تبقى في حياة أبيه أصبح قليلًا جدًا.. معنى هذا أن موعد قدوم أبيهما اقترب.. واقترب موعد العدالة المُنتظرة في القرية.. .

لم يَفهم معنى ما قيل.. فتبسم وهو نائم على الأريكة من فرط التعب.. ثم نظر له مُحاولًا إخفاء ملامحه المُتعبة والمُرهقة.. مُنذ عملية السلاح التي ضُرب وأهان فيها.. حتى ذهابه إلى مصر الجديدة وعودته إلى القرية في وقت قياسي.. كان جسده قد أيقن أنه لن يستطع القيام بالمزيد.. فأعلن استسلامه وضعفه أمام الجميع.. .

لم يَكن عُمر حتى الآن مُقتنعًا بتلك الأحداث المُتلاحقة على رأسه.. وكأن ما يحدث أشبه بمسبحة انفض خرزها.. وكان مُقتنعًا اقتناعًا تامًا أن بعد كُل مرحلة من الألم يجب وجود بعض الراحة لمحاولة استيعاب ما حدث.. لكن هذا لم يَحدث حتى الآن..!.

.....لماذا..؟..!.....

.....لا أعلم.. لكني فقط شعرت بأن أقول هذا.. أنه وغد..!.....

.....ما الذي حَدث بعد أن أغشي علي وسط الجمع..؟..!.....

.....لا شيء.. أخذوك إلى المَنزِل.. ثم وَجدت رجلًا عجوزًا تقريبًا هو من حدثتني عنه قبلًا.. يُدعى الشيخ كمال تقريبًا.. يُرمقني بنظرات غريبة وكأنه يتوعد بفعل شيء..!. أنا لم أفهم ما الذي يُريده حتى..!.....

.....الشيخ جمال يا محمود.. هو بمثابة أبي بل هو أبي تقريبًا.. فهو ربّاني وقت غياب أبي الحقيقي وعلمني وجعلني رجل أعتمد على ذاتي.. فمهما قال لك يجب أن تسمعه وتُنفذ ما يقوله..... .

-----الشيخ جمال نعم،،اتفقنا يا عُمر،، لن أفعل ما يزعجك صدقني-- ..

أثناء هذا الحديث،، سُمع صوت الباب،، فنهض محمود مُتأففًا للفتح،، فوجدها فتاة غريبة،، لم يرها من قبل،، بطبيعة الحال هو لم ير أي أحد من أهل القرية تقريبًا،، لكنها كانت مُستحية،، فنظرت إلى الأرض ثم قالت:،

-----عُمر،،أريد عُمر-- ..

وابتعدت عن الباب،، حينما سمع عُمر الصوت أدرك تمامًا أنها (شهد)،، ففزع قلبه وكأنه لا يود رؤيتها،، انقشعت مشاعره دون إدراك منه،، لكنه بدأ يستوعب أنه لم يَكن هذا الشخص الرومانسي الشاعري الذي تتمناه أي فتاة،، ..

لَكنه يعرف أن شهد ليست كأي فتاة،،!

كأنه يُحاول تبرير أخطاءه،، تبرير عدم معرفته بأي أخبار ناحيتها،، وبالتأكيد ما أتيت لتخبره أنها تُحبه مثلًا،، ستقول له مصيبة كُبرى،، كأن عقله وتفكيره ينقصهما مثل هذا الخبر،!

-----ما بكَ يا عُمر،! لِمَ تغيرت كُل هذا التغير؟،!--

ظل يُحادث نفسه الواهنة،، يُندِم ذاته ندمًا فوق ندم،، نَهض من مكانه،، مُحاولًا تهوين الآلام من قلبه،، هو نفسه لا يُدري ما الذي يَشعر به،، هل كُل تلك الأحداث غيرته؟،! لم يَعد كالسابق؟،!

خَرج من المنزل،، فوجدها تَقف قبالة النافذة،، مُرتدية اللون

الأسـود كالعادة٠٠ ملامحها تُحيطه علمًا بأنه لن يرى مثل هذا البؤس في حياته؛ لكن بمُجرد أن نظر إلى عينيها فقط أدرك كُل شيء٠٠إنه يُحب تلك الفتاة بشدة٠ ٠

وجد نفسه يَنظر حوله كالتائه٠٠ راجيًا قلبه بأن يَخلو الشارع من النـــاس٠٠ لـيكون لـهما فقـط يتسـامران كالعشـاق٠٠ ويغنيـان ويرقصان٠٠ ثم يأتي الناس من العدم يرقصون حولهما٠٠ لكن في الحقيقة لم يَكن هذا ما يحدث٠٠ كان الشارع – بالرغم من ضيقه ٠٠ مُزدحمًا٠٠ ولم يكونا يتسامران٠٠ بل كُل واحد فيهم ينظر إلى الآخر في هدوء شديد٠٠ وكأنهما يتناجيان بأعينهما فقط٠ ٠

وَضع يَده على يدها٠٠ فما منها إلا أن بكت٠٠ أخذت نفسًا عميقًا ثم انخرطت في البُكاء٠٠ وعلى لسانها٠:

٠٠٠٠لقد ماتت أمي يا عُمر٠٠ ٠

كان يعلم بأن الصدمة ستأتيه٠٠ لكن الصدمة الآن كانت أقوى مما يتحمل٠٠ كُل شيء ضده تقريبًا٠٠ حتى شهد٠٠ لأنها حبيبته فما يوجعها يوجعه٠٠ وبشدة أيضًا!٠

كانت تنتظر لحظة ما لتبكي٠٠ لحظة ما يَفهم ما تدور به٠٠ وماذا تفعل الحياة لها٠٠ إنها تؤمن بقضاء الله لكن كُل هذا٠٠ كُل هذا يَحدث لها فقط!٠ ٠٠ كانت تتعجب وفي الوقت ذاته ترضى٠٠ ولا تَجحد عما قسمه المولى٠٠ فابتسمت لعُمر٠:

٠٠٠٠أنا سأغادر الآن٠٠ لقد جِئت للاطمئنان عليك فقط٠٠ ٠

-----لن تغادري يا شهد،أنت ستظلين معي---.

-----لا يا عُمر، لن يوافق خالي منصور عليك---.

-----لو لم يوافق يا شهد سأجبره على الموافقة، ليس لدي ما أخشاه---.

-----لديك يا عُمر---.

-----ما الذي أخشاه؟---

-----تخشاني---.

-----لن أخشاكِ ما حييت---.

-----تخشى مغادرتي كما أخشى مُغادرتك---.

-----إذًا لن أجعلك تغادرين ولن أغادرك أبدًا!---

-----ليست بتلك السهولة---.

-----سنجعلها بتلك السهولة سويًا!---

-----لكن الناس؟!---

-----لا أعرفهم، ولا أود معرفتهم---.

-----سيتحدثون كثيرًا---.

-----لقد خُلقوا للحديث---.

-----مازلنا صغارًا، وأمي غادرتني بالأمس فقط---.

٠-٠-٠-٠سننتظر٠، لكن ليس كثيرًا كما كُنت أخطط٠، لن أجعلهم يأخذونك مني٠-٠ ٠.

اضطرب شعورها٠، لقد ماتت أمها بالأمس فقط٠، أمها التي كانت لها السَند الأول والأخير٠، وكُل ما يَحدث الآن يُثبت أن شعورها مُضطرب٠، فهي حزينة أشد الحُزن على وفاة أمها٠، وسعيدة الآن بأن عُمر يُخطط لزواجهما٠، كانت على علم بأن هُناك ما سيحدث٠، شعورها وَحده فقط ما أثبت لها هذا٠، فقالت بشك٠:

٠-٠-٠-٠لكني أخشى أن تبتعد٠-٠ ٠.

٠-٠-٠-٠لن يَحدث٠!٠ أنا أحبك يا شهد٠-٠ ٠.

٠-٠-٠-٠هل تظن أن ٠(٠أحبك٠)٠ وحدها تَكفي٠؟٠!٠ كم عاشق قال لمعشوقته أحبك وغادرها٠؟٠!٠-٠

٠-٠-٠-٠لكني لست بعاشق٠،٠أنا فقط أحب الشعور الذي يأتيني كُلما رأيتك٠!٠-٠

٠-٠-٠-٠أليس هذا العشق٠؟٠!٠-٠

٠-٠-٠-٠رُبما٠، لكني لست مثلهم٠-٠ ٠.

٠-٠-٠-٠كُلهم قالوا هذا أيضًا٠!٠-٠

٠-٠-٠-٠هل تكذب عيناي يا شهد عندما أقول لكِ أني أحبك٠؟٠!٠-٠

٠-٠-٠-٠هل تظن أنهم كانوا يكذبون٠؟٠!٠-٠

٠٠٠٠٠لا تجبريني على القاء نفسي في أعناقك وسط العامة!٠٠٠

ابتسمت باستحياء٠٠ فشعرت بكره ذاتها لوهلة٠٠ كيف لفتاة يتيمة الأب ويتيمة الأم حديثًا٠٠ تبتسم بتلك الطريقة؟٠!٠ لمُجرد فقط أن قال لها وَلد ما أنه يحبها ويود أن يعانقها٠!٠

لوهلة شعرت بأن كُل التعاليم التي علمتها لها أمها توفيت معها٠٠ وكُل الأسس التي تربت على أساسها هُدمت وحَلّ بدلًا منها أسسٌ أخرى٠!٠٠ وَجدت نفسها بدون إنذار تتحرك بعيدًا عن عُمر٠٠ تسير نَحو مَنزلها٠٠ مُحاولة البحث عن ذاتها الضائعة في غياهب الأسى٠!٠

نَظر عُمر لها وبدأ يسير نحوها٠٠ فبدأ الأهالي ينظرون له٠٠ لم يَكن عُمر مجهولًا في القرية شَكلًاأواسما٠٠ فالكُل يعرفه٠٠ لذا تعجبوا كثيرًا لمّا وجدوه يسير خلف فتاة٠٠ لكن لم يُعلق أحد وأكملوا سيرهم دون تعليق٠ ٠

حاول إيقافها لكنها لم تتوقف٠٠ كانت تبكي٠٠ تَبكي بحرقة٠٠ لقد زال إحساسها بالحُزن على أمها عندما رأت عُمر٠٠ فشعرت ببعض من البغض والكُره لذاتها٠٠ كيف تنسى حُزنها على أمها المتوفاة٠؟٠!٠

٠٠٠٠٠أنا لم أعرف أبدًا إحساس حُب الابن لأمه٠٠ لكني في تلك اللحظة فقط٠٠ أشعر وكأني أود رؤية أمي لأحتضنها٠٠٠ ٠

نَظرت له٠٠ والبُكاء يُبهت ملامحها٠٠ ابتسمت له بين دموعها٠٠ فابتسم٠٠شعرأن الحياة تُرسل له بريقًا من الأمل٠٠ بريقًا يتعلق به حتى يصل إلى ما بقي من الأمل٠ ٠

لم يرها حزينة كهذه المَرة٠٠ ولم يرها أيضًا أجمل كهذه المَرة٠٠ بالنسبة لعُمر فهو يعرف أنه أشبه بالأمل الأخير والمتبقي الوحيد في حياتها٠٠ وهذا أصدر وخزًا عميقًا بأعماقه٠٠ ماذا لو لم يَكن هذا الرجل الذي يتمنى أنيكون عليه٠؟٠ الذي يتمنى أن تراه عليه٠؟٠!٠

رَفعت يدها لتُشير له بالسلام٠٠ فرفعها هو الآخر٠٠وعلى وجهه ابتسامة لم يُدر معناها٠٠ أهذه هي البداية الحقيقية لهما٠؟٠!٠ أم كُل هذا مُجرد بداية خادعة لنهاية مأساوية٠؟٠!٠

حَدث أغرب شيء من الممكن أن يَحدث٠٠ وَجد شهد تُهرول ناحيته وتعانقه٠٠ وَسط العامة٠٠ وَسط الجَمع٠!٠

اختلسوا النظرات٠٠ وعُمر لم يَشعر بأن ما حدث سيجعل الشيخ جمال يؤدبه٠٠ كُل ما شعر به هو سعادة لم يَشعر بها أبدًا٠٠ على الأقل تلك الفترة٠!٠

كانت هي في مكان آخر٠٠ عيناها لم تهدأ عن البكاء٠٠ مُتشبثة به كغريق يُحاول التشبث بأي شيء ينقذه من الغرق٠٠ تضمه لها بشدة وكأنها لا تريد مغادرته أبدًا٠٠ ثم ابتسمت بين أحضانه٠٠ وهمست٠:٠

٠-٠٠٠-لن أنتظر أن تكون أملًا زائفًا٠٠ سأكون بخير-٠٠ ٠.

لم يَفهم كلماتها٠٠ لكنها بهدوء تام انسحبت وَسط أنظار نَظرات الآخرين المريبة لهما٠٠ ابتعدت تمامًا حتى اختفت عن ناظريه٠٠ فأصبحت حَركة الشارع عادية وعادت كما كانت٠ ٠.

ما حَدث جعله يعيد التَفكير في كُل شيء.. لقد انقلب تفكيره وميزان عقله رأسًا على عَقب.. سار بعيدًا مُحاولًا الاختفاء من نظرات الناس.. وكأنهم يخبرونه أنأباك لن يكون سعيدًا عندما يراك تعانق فتاة وَسط العامة.. بدأ ضميره ينقلب عليه.. بل كُل شيء تقريبًا انقلب عليه وعلى ما يشعر به.. .

وَجد الشيخ جمال يسير بعيدًا.. في طريقه إلى بيت عُمر.. فأوقفه عُمر فظهرت ملامح الغضب على وجه الشيخ.. كان مُنتظرًا رؤيته لينفجر فيه كالبركان..:

.....من هذا الغريب..؟!.. من هذا الذي رأيناه في الأمس..؟!.....

كان يعلم أن الأمر له علاقة بمحمود.. فظل صامتًا قليلًا يُفكر فيما يقوله.. حتى جاءه الرد..:

.....إنه أخي.. لديه ما يَكفي من الإثباتات ليُثبت لي وللجميع أنه أخي وابن سعيد العراقي..!.....

.....سعيد لم يُخبرني أبدًا أنه لديه أي أولاد غيرك..!.....

.....أشك في هذا.. يبدو وأنه أخذك كأضحوكة له.. .

غَضب أكثر.. فرمقه بنظرات غاضبة.. حتى تَحدث..:

.....خِذني إلى هذا الغريب..... .

طيلة الطريق كانا صامتين.. لم يتحدث أحدهم مع الآخر إلى أن وصلا إلى عتبة البيت.. فتحدث الشيخ بنفاذ صبر يحتويه هدوء..:

-----إن لـم يَكـن أخـاك وكـان نصـابًا.. سـأحاسبك علـى ثقتـك الساذجة بالغرباء---..

أومأ عُمر برأسه.. فدخلا إلى المنزل وجداه نائمًا على الأريكة.. لم ينم طيلة الليل لمراعاة عُمر.. فنظر الشيخ إليه في غضب ذاهبًا له بخطوات سريعة كي يوقظه.. فأوقفه عُمر بكلماته:.

-----لقـد كـان يرعـاني طيلـة الليـل يـا شيخ.. أتركه نائمًا ولما يستيقظ سنتحدث---..

لـم يَحفـل الشـيخ بكلماتـه.. فأيقظه بعدما ضربه عدة ضربات برفق على وجهه حتى استيقظ.. فتعجب محمود وابتسم:.

-----آه..أنت الشيخ جمال صحيح.؟!---

نَهض من موضعه.. ومَد يده لمصافحة الشيخ.. لكن الشيخ لم يَمـد يـده للمصـافحة.. تعجـب عُمر من رد فعل الشيخ فهو لم يُحـرج أحـد أبدًا حتى ولو كان عدوًا.. قال بصوت هادئ لكن الإهانة تُملؤه:.

-----أخرج يا بُني من هذا البيت وأخرج من القرية ولا تعد لها أبدًا.. حالًا---..

-----أظن أن هذا البيت ليس ملكك وليس ملكًا لأي أحد سوى أبي---..

صفعه الشيخ على وجهه صفعة شديدة.. فبالرغم من أنه عجوز إلا أن جسـده كـان قـويًا.. يـهابه الجميع.. فنظـر محمـود إلـى الأرض مُحاولًا استيعاب الإهانة التي نالها:.

٠-٠-٠-٠الغريب ليس أنك تضربني ولا تَرد السلام٠-٠ ٠

اعتدل في وقفته٠،٠ وبدأ صوته يتحول تدريجيًا إلى الغضب٠:٠

٠-٠-٠-٠الغريب أن أبي لم يَذكرك في أي من حديثه ولا خطاباته٠!٠-٠

٠-٠-٠-٠لا٠،٠ الأغرب أنك نصاب ومحتال ولديك لسان سليط وُجب قطعه٠-٠ ٠

ثم نَظر محمود إلى عُمر٠،٠ وتحرك ناحيته٠:٠

٠-٠-٠-٠أليس هذا غريبًا يا عُمر٠؟٠!٠ رَجل أنت تقول أنه كان صديق أبينا المُقرب٠،٠ لم يُذكر أبدًا في مُذكرات أبينا ولا خطاباته٠!٠-٠

٠-٠-٠-٠في الحقيقة يا محمود أن الشيخ ذُكر مرات عِدة في المُذكرات٠،٠ يبدو أنك لم تَلحظ٠-٠ ٠

٠-٠-٠-٠لا٠،٠أنا أقسم أنه لم يُذكر أبدًا٠!٠-٠

بدا وجه الشيخ مُمتقع اللون٠،٠ إما من شدة الغضب أو من شدة شيء آخر لم يعلمه عُمر٠،٠ أخذ عُمر المُذكرات وفتح على الفصل ما قبل الأخير الذي قرأه محمود له٠،٠ ووجه إصبعه نَحو كلمة الشيخ جمال٠،٠ لكن في تلك اللحظة تَعجب لأنه لم يَلحظ تلك الملحوظة الصغيرة من قبل٠،٠ اسم ٠(٠جمال٠)٠ في المُذكرات مَكتوب بخط ليس نفس الخط الموجود طيلة الصفحة٠،٠ بل طيلة المُذكرات٠!٠

كُل مرة يُذكر فيها ٠(٠جمال٠)٠ في المُذكرات٠،٠ الخط يتغير٠،٠ كيف لم يَلحظ هذا من قبل٠؟٠!٠

---أرأيت؟! لقد أضاف هو اسمه في المُذكرات يا عُمر!--

نَظر إلى الشيخ فوجده يُرمق محمود بنظرات مُريبة، انطلق محمود يَبحث في الغرفة عن المُذكرات الخاصة به حتى وجدها، وفتح ذات الصفحة التي فتحها عُمر، فوجد شيء غريب جدًا، في المكان الموجود به الشيخ جمال في مُذكرات عُمر، كان الاسم مُغاير في مُذكرات محمود، كان الاسم (حمزة)، بالتحديد أكثر (حَمزة الراهب) .

نَظرا إلى بعضهما في استغراب وصدمة، وجدا الشيخ يبتسم، وكأن هُناك شيء ما يَحدث، نَظر إلى محمود واقترب منه:

---يا ابن السافلة، لقد تلاعبت بعقل عُمر، حتى أن خدعتك انطلت عليّ أنا نفسي-- .

نَظر محمود إلى عُمر في خوف من الشيخ:

---يا عُمر، أبعده عني أنا لم أقترف أي شيء خطأ-- .

هُنا حدث ما صدم الشيخ، توقف عُمر بينهما ومَنعه من ضربه، احتدت ملامح عُمر من الشيخ وشعر بأنه يُخبئ سرًا ما، فنظر إلى عينيه مُباشرةً:

---في الأمس ذهبنا إلى المكان الذي اختبأ به أبي طيلة الفترة الماضية، ولصدف القدر لم يكن معروفًا في المكان باسم (سعيد العراقي) بل كان معروفًا باسم (حمزة الراهب)، والآن نَكتشف عبر صُدف القدر أيَضًا، أن اسمك لم يَكن موجود في المُذكرات، لقد بدلته باسم حمزة الراهب، والسبب إلى

الآن مَجهول٠٠ كيف تصف هذا؟!٠ كيف تشرحه أصلًا؟!٠

نَظر الشيخ بصدمة كبيرة على وجهه٠٠ فابتعد محمود وجَلس على الأريكة٠٠ ابتسم الشيخ لشعوره بأن عُمر قد انقلب عليه هو أيضًا٠٠ شعوره بخيبة الأمل٠٠ ثم أخذ يُبرر٠:

٠٠٠٠حَمزة الراهب هو الاسم غير الحقيقي لي٠٠ اختلقه سعيد لي بعدما أصبح الخُطر يراودنا كُلنا٠٠ فلم يرد حتى أن يقحمني في تلك المشاكل والأخطار٠٠ فاختار هذا الاسم لي٠٠ ثم وأثناء هروبه مع واحد من رجال القرية٠٠ هذا الرجل كان يعمل في القاهرة٠٠ قام بصنع وتجهيز غُرفة لسعيد كي يقطن بها٠٠ ولم يَجد اسمًا أفضل من هذا كي يتخفى به٠٠ لذلك ففي المُذكرات الخاصة بك كان اسمي موجودًا لأني وضعته بدلًا من اسم حمزة الراهب٠ ٠.

رَبت على كتفي عُمر٠٠ ثم بدأت عيناه تَلمع وكأنها قاربت على البكاء٠:

٠٠٠٠والآن بعد أن بررت لك كُل شيء٠٠ وبعد أن أخبرتك أن سعيد ليس عِنده سوى وَلد واحد وهو أنت٠٠ وأنت إلى الآن لم تصدقني٠٠أو لا تود تصديقي لأنه عنده الأدلة الأكبر والأكثر٠٠ ٠.

تَحرك ناحية الباب٠٠ فَتحه فنظر إليه مرة أخيرة٠:

٠٠٠٠سأغادر يا عُمر٠٠ سأغادر ولن تستطيع العثور عليّ٠٠ لكن لتعلم إن كان هذا الغريب صادقًا أم لا٠٠انه المُذكرات وأبوك سيعود٠٠ وسيخبرك بالحقيقة٠٠ ٠.

ثم نَظر إلى محمود.. الغضب في اسمى معانيه يَرتسم على ملامحه.. يتوعد له بشيء مُريب.. ثم غادر الشيخ.. غادر ولم يوقفه عُمر.. لم يَكن مُصدقًا أو غير مُستوعبًا لهذا.. لا يعلم ما الدافع لفعل الشيخ مثل كل هذا.. لكن كما قال الشيخ.. يجب أن ينهي المُذكرات ليعرف إن كان هذا الغريب صادقًا أم لا. .

نَظر إليه فوجده جالسًا على الأريكة مُمدًا جسده أشبه بالنائم.. نظر من النافذة فوجد الشيخ على مقربة من البيت يَبكي.. يَبكي بحرقة.. لم يَكن لديه القُدرة على الخروج لسؤاله.. أو لم يرد هو الخروج.. لا يعلم لماذا. .

نظر الشيخ للمنزل.. فرأى عُمر يختلس النظرات.. وكأنه يُرسل له نظرات الوداع.. كأنه لن يراه أبدًا.. استدار الشيخ وسار بعيدًا عن ناظري عُمر.. حتى اختفى عنه تمامًا. .

كان الشيخ يَبكي.. هو لا يعلم سبب بُكاؤه.. هل لأن النهاية اقتربت أم أن عُمر صدق الغريب عليه؟!. مَسح دموعه لما وجد الناس تقترب منه وتسأله.. لم يجيب على أحد منهم وسار حتى أدرك في قرارة نفسه أن حياته في تلك القرية قد انتهت. .

حتى بعد عودة سعيد!.

.*. .*. .*.

## (٤)

لوحة الفتاة العارية.. الجرامافون.. صوت سيد درويش.. صورة أبيه.. شهد.. القصر. .

كُلها أحلامٌ تراوده في المساء دون رحمة.. تتهافت لقتال لُبه الهش ومشاعره الواهنة.. لا يعلم إن كان كُل هذا سيمر بسلام أم سيأخذ منه ما لا يتوقع أن يؤخذ..!

كان خوفه مُنصب على ما حوله.. أحلامه التي بناها.. الزواج من شهد.. الكثير من الأموال.. سلطة كبيرة في القرية.. لكن ما يَحدث الآن يبعده تمامًا عن كُل شيء تمنى أن يُحققه في السنوات المُقبلة.. .

استيقظ من نومه وللمرة الأولى يشعر بأن جسده قد أخذ ما يَكفيه من الراحة.. بدأ يتأمل سقف المنزل المُتهالك.. ونظر حوله فوجد محمود نائمًا على الأريكة المُجاورة لسريره.. .

كانت الساعة الثانية ظهرًا.. والذهاب إلى القصر لكونه واحد من رجال العلايلي أصبح منسيًا.. فعمر لا يقوى الآن على الذهاب.. ليس لأن جسده يَمنعه عن ذلك.. بل لأن المصائب التي حَدثت في الأيام الماضية تمنعه.. .

ظهور مكان أبيه.. وفاة شهد.. اختفاء الشيخ جمال من القرية..!

نَعم.. فالشيخ جمال اختفى تمامًا من القرية ولم يَجده أحد.. فهم عُمر أن الشيخ جمال كان يَقصد هذا تمام القَصد.. بأنه سيغادر ولن يستطع العثور عليه.. .

الغريب في الأمر أن عُمر لم يبحث عنه بجهد وبتعب كما كان يفعل في الماضي.. فما حدث آخر مرة رأى فيها شيخه غير

وقلل مِقدار حُبه بداخل عُمر٠٠ لظنه أن الشيخ يُخفي العديد من الحقائق والتي لا يعلم عنها شيء٠٠ فما الأشياء الأخرى التي يخفيها الشيخ عنه٠؟!٠

نَهض من موضعه ودخل الحمام كي يغسل وجهه ويستفيق لأحداث اليوم٠٠ نَظر إلى المرآة فوجد قسمات وجهه تغيرت٠٠ تعابيره تغيرت٠٠ روحه ذاتها تغيرت٠٠ فسأل نفسه إذا كانت عودة أبيه هي ما جعلته هكذا٠٠بتلك الملامح التي لا يعهدها٠٠ وتلك الصورة التي لم ير نفسه عليها يومًا!٠

أيقظ محمود للخروج والحديث مع الناس٠٠ فالآن لن يَسمع أحد كَلمة عُمر بعدما رأوه يحتضن فتاة في مُنتصف الطريق٠٠ انتفض من موضعه وذهب هو الأخر إلى الحمام ليغسل وجهه٠٠ وخرجا بتعجل للحديث مع الناس عما هو قادم وآتٍ٠٠ توقف عُمر وتبعه محمود في مُنتصف شارع مَنزلهما٠٠ وتحدث محمود بعدما اجتمع عدد صغير من الناس٠:٠

٠-٠٠-٠نحن الآن في خَطر٠٠ دومًا ما كُنا في خطر٠٠ لمن لا يعرفني فأنا محمود العراقي ابن سعيد العراقي٠٠ وهذا هو أخي الأصغر عُمر العراقي٠-٠ ٠

بدأ الأهالي في الحديث٠٠ وبدأت السيدات والفتيات يخرجن من النوافذ ويستمعن إلى الحديث٠٠ صمت محمود لدقائق حتى يأتي الناس٠٠ وبالفعل في غضون دقائق كان عددًا كبيرًا واقفًا أمامه٠:٠

٠-٠٠-٠أنا لا أشبه أبي٠٠ فأبي لا يشبهه أحد٠٠ كُل ما يمكننا فعله

تلك الفترة هو أن نصبح جاهزين لقدوم سعيد العراقي.. لأن عودته ستحمل الكثير من الدماء.. وأنتم كُلكم تعلمون هذا.. ..

..ومن أنت لتقول هذا.؟!. نحن لم نرك في القرية ولا نعرفك.. أما عمر فنعرفه معرفة شديدة لِمَ لا يتحدث هو بدلًا منك.!..

نَظر محمود إلى عُمر.. فخرج واحد آخر من بين الجمع.:

..ولا حَتى عُمر يجرؤ على الحديث.. لقد عانق فتاة في مُنتصف الطريق مُنذ يومين.. ..

صمت محمود وأطرق عُمر رأسه إلى الأرض.. لكنهما لم يحفلا بحديثه فاستطرد محمود.:

..أنا مثلما قُلت ابن سعيد العراقي.. ابنه الأكبر.. صحيح أنا لم أولد بالقرية لكني أعرف عنها مُنذ زمن.. ولمّا جاءت إشارة أبي للقدوم أتيت.. لأني أعلم أنه سيأتي هُنا ليخلصكم من الظلم الفَج.. ..

فخرج طفل من أطفال القرية.. مُتحدثًا باستهزاء بالغ.:

..أمتأكد أنك ابن سعيد العراقي وليس بنته.؟!..

كان الاستهزاء واضحًا بسبب صوت محمود الشِبه أنثوي.. فانفجرت الضحكات بين الجَمع حتى كِبار القرية.. شعر عُمر بالغضب أكثر من محمود.. فانتفض صارخًا.:

..أنتم سفلة.. لقد أخطأ أبي يومًا ما عندما دافع عنكم وعرض

حياته للخطر لأجلكم٠٠ إن كان أبي موجودًا بينكم الآن وسمع ما تقولونه عن ابنه٠٠ هل سيظل صامتًا مُطرقًا رأسه إلى الأرض أم سيقتل من أطلق تلك الوقاحة حتى ولو كان طفلًا٠؟!٠٠

صَمت الجَميع وكأنه أحرجهم جميعًا٠٠ فخرج واحد آخر٠:

٠٠٠٠٠وإن كان أبوك موجودًا عندما عانقت فتاة في مُنتصف الطريق٠٠ هل سيظل صامتًا مُطرقًا رأسه إلى الأرض أم سيضربك ويحرمك من المصروف٠؟!٠٠

في تلك اللحظة انفجر محمود غضبًا٠٠ ودَخل بين العامة لكي يؤدب هذا الشخص٠٠ اقترب منه وأخذ يضربه بشدة في وجهه٠٠ وَسط تعجب الأهالي وخوفهم٠٠ فانقض عدد منهم على محمود ليمنعوه من ضرب الرجل ونجحوا في ذلك٠٠ لكن الرجل أغشي عليه من قوة ضربات محمود٠٠ أخذ يَمسح قبضته من الدماء٠٠ ونظر إلى الحَشد٠٠ مُغيرًا نبرة صوته حتى أصبحت غريبة للغاية ومُريبة٠:

٠٠٠٠٠إن لم تتأدبوا سأخبر أبي ألا يعود لأجلكم أبدًا٠٠ وإن أخبرته سيفعل٠٠ نَظر عُمر إلى محمود٠٠ فوجده يبتعد عن الجَمع بشدة حتى دَخل المَنزل٠٠ وَجدهم يَنظرون إليه٠٠ لا يعلم ما الذي يقوله٠٠ أخذ عددًا من رجال القرية الرَجل الذي ضربه محمود ليداووه٠٠ فأزدرد عُمر ريقًا جافًا٠٠ وتصبب العرق من وجهه٠٠ كان خائفًا من أن يخافوا منه٠٠ ألا يُحبوه ولا يُفرقوا بينه وبين سالم العلايلي٠ ٠

٠٠٠٠٠أنا أحب تلك الفتاة وسأتزوجها في الأيام المقبلة٠٠ وأرجو

منكم تقبل اعتذاري،، فأنتم أهلي ولا يَجب علينا أن نتفرق في مثل هذا الوقت العصيب،، ..

شعر بأن الأهالي يتقبلون حديثه،، فاستطرد بعدما مسح جبينه،:

،،،،يمكن أن تحاسبوني على فعل هذا الخطأ لكن بعد انتهاء ما نمر به،، وبعد عودة أبي سأجعله هو من يَحكم فيما فعلته،، لكن عندما ننتهي من هذا،، هل أنتم موافقون،؟!،،

بدأوا ينظرون لبعضهم في حيرة من أمرهم،، ثم أصدر بعضهم إيماءة بالموافقة،، والآخرون التزموا الصمت غاضبون من الموقف ومما حدث،، فخرج واحد منهم يسأل،:

،،،،أين الشيخ،؟!، لماذا هو مُختفي عن الأنظار ولا يستطع أحد الوصول له،؟،،

تفرقت الهمسات بينهم،، وأخذوا يتساءلون عن أمر الشيخ،، فتحدث عُمر بنبرة فيها حُزن كبير،:

،،،،الشيخ ذهب إلى القاهرة لسبب مجهول،، وسيعود في الأيام المُقبلة،، رضوا عن الإجابة،، فصمتوا مُنتظرين كلامًا جديدًا منه،:

،،،،سيعود عهد القرية لِمَا كان عليه وقت سعيد العراقي،، لأن عودته اقتربت،، أكثر مما تتخيلون،!،،

ثم استأذنهم وابتعد،، كان الشك يحيطه،، يساور أنفاسه،، أين ذهب الشيخ،؟!، وكأنه دفتر غطّاه التُراب،، لم يكن يُريد أبدًا أن

يسأل ذاته هذا السؤال.. ..أين ذهب الشيخ؟!.. ..

لم يستطع الرد.. لكنهم يقولون أنهم بحثوا عنه في كُل مكان ولم يجدوه.. لقد خَرج من القرية.. خَرج منها حُزنًا مما فعله عُمر.. لقد كان الشيخ بمثابة أبيه.. فكيف صدق الغريب عنه؟!. حتى وإن كان يملك كُل الحجج والبراهين.. كيف صدقه؟!. كان يقول هذا لذاته مُندمًا إياها.. يُريد أن يعود بالزمن ليومين فقط كي يَطرد محمود ويقبل رأس الشيخ. ..

عند اقترابه من المَنزل وَجد فتاة تقف أمامه.. لم تكن ملامحها غريبة عليه بل كان يعرفها جيدًا.. كانت ياسمين.. لكنه لم يَعرف اسمها بعد.. كُل ما يعرفه عنها أن تلك الفتاة التي أعطته صورة لأبيه في القصر. ..

شعر بالتساؤل لما رآها.. كانت ترتدي حجابًا وملامحها لم تكن كما رآها في القصر.. فلقد حاولت تغييرها كي لا يعرفها أحد.. أشارت له بيدها أن يأت.. ذهب لها ووقفا بداخل مَدخل المنزل كي لا يراهما أحد.. كان يشعر بأن هُناك شيء ما يحدث.. شيء ما يسير في مسارٍ خاطئ.. فقالت له بنبرة هادئة كي لا يسمعها أحد:.

-...إن هذا الرجل الذي يدّعي أنه أخيك.. ليس أخيك-.. ..

ابتسم عُمر باستهزاء.. قائلًا:.

-...نعم نعم.. هو ليس أخي.. لكن من أنت لتقولين هذا أصلًا؟!. من أين تعرفينني وتعرفين أبي؟!. كيف جئتي بصورته؟!-..

-.-.-.لن أستطيع إخبارك من أنا.، لكني أقسم لك أن هذا الشخص ليس أخيك.، سعيد العراقي لم يُنجب سواك و. .. .. .-.- ..

ثم صمتت.، أدركت أنها كانت ستخبره بسر ما.، فصمتت ونظرت إلى الأرض.:

-.-.-.أنا يجب أن أغادر.-. ..

أمسكها عُمر من معصمها.، وجعلها تتوقف كما كانت.:

-.-.-.لن تغادري إلى أي مكان حتى أعلم من أنت وما الذي تُريدينه مني.!.-.

كان محمود يَسمعهم من الداخل.، على شفتاه ابتسامة.، فغادر من النافذة وسار بهدوء شديد إلى مكان غير واضح المعالم.!.

-.-.-.لن أستطيع إخبارك يا عُمر لن أستطيع.-. ..

احتدت ملامحه.، لكن لم تخف ياسمين منه على الإطلاق.، بل ابتسمت.:

-.-.-.كل ما أود أن تعرفه.،أن هُناك لعبة تُلعب عليك.، ومن يلعبها غير معروف.-. ..

اقترب محمود من منزل مُتهالك.، نَظر للتأكد بأن هذا هو المَنزل المُرجو.، ثم طرق عدة طرقات فوجد الباب مفتوحًا. ..

-.-.-.وكيف لي أن أصدقك.؟.!. لِمَ لا أقول بأنك مُجرد شخص آخر يتلاعب بي.؟.!. .-.

دَخل محمود البيت،، يجول بنظره كثيرًا حتى وَجده أمامه،، الشخص الذي كلفه بتلك اللعبة،، ابتسم محمود،، ثم صافحه بهدوء،،

أخذت ياسمين نفسًا،، وعُمر واقف مُنتظر إجابة تَشق أنفاسه،، بدأت ضربات قلبه تَزداد،، دقق النظر في ملامحها،، كانت تشبهه تمامًا،، وكأنها هو،، في تلك الأثناء أدرك الإجابة دون أن تتفوه بها،،

-----أنا اسمي ياسمين،،ياسمين العراقي---،،

كان محمود واقفًا مُصافحًا الشيخ،، الشيخ جمال،، ابتسم الشيخ لمحمود،،:

-----أعتذر عن صفعتي لك،، لكن وُجب أن يُصدقنا عُمر---،،

.*. .*. .*.

-----كيف،،؟!،، سعيد العراقي لم يَكن لديه سوى ابن واحد!،،---

في القَصر كانت الأمور مُنقلبة،، متوترة،، ومن أصدر ذلك التوتر كان كبيرهم،، حسن العلايلي،، لم يَستطع أن يُكتم تفكيره وخواطره الغاضبة،، التي تَنم عن شر مُطلق،،

-----العودة تقترب يا أبي،، وإن عاد لن يرحم أحد---،،

كان سالم وأبوه حسن يجلسان في بَهو القَصر،، أمامهما حُراس القصر أجمع،، يُخططان لفعل الكَثير لحماية أنفسهم والعائلة من الأخطار،، أو الخَطر الوحيد،، الذي يُدعى ،،(،،سعيد العراقي،،)،،

وَقفت ٠(٠زينب٠)٠ في الأعلى ترى البَهو وتَسمع الحديث٠٠ تختلس النظرات دون أن يراها حسن أوابنه٠٠ لتحاول فقط معرفة ما يَدور وما يتحدثون عنه٠٠ كان الصوت مُنخفضًا لكنها سمعت حسن يُخبرهم بحزم٠:

٠٠٠٠٠يجب عليكم التركيز والحماية أضعاف ما كُنتم تفعلون٠٠ فالخطر سيضرب ضربته قريبًا٠٠٠ ٠.

كان حَدسه قويًا٠٠ يعلم بأن ما يَحدث الآن مُجرد استعداد للقادم٠٠ وإن لم يَستعد جيدًا سيُصبح قَتله أمام الناس هو النهاية الوَحيدة التي طالما تمناها له ٠(٠سعيد العراقي٠)٠ ٠.

٠٠٠٠٠أبي٠٠٠اسمح لي أن أقول شيئًا٠٠٠ ٠.

توقف سالم أمام الرجال٠٠ كان أصغر الحاضرين لكن كلمته تُسمع بينهم٠٠ فتحدث بلهجة قوية٠:

٠٠٠٠٠عددكم ليس بالعدد القليل٠٠٠فأنتم حُراس القصر بل حُراس القرية كُلها٠٠ في الأيام المقبلة سيكون هُناك بعض التطورات في الحماية٠٠٠ ٠.

كان يَتحرك يمينًا ويسارًا حتى أشعل التوتر بين الرجال٠٠ فاستطرد٠:

٠٠٠٠٠لا يوجد حارس بينكم لا يعلم كيفية استعمال السلاح٠٠ فكلكم خُبراء في هذا٠٠ ولهذا السبب لن يَقف واحد بينكم دون سلاح٠٠٠ ٠.

تعجب أبوه٠٠ فابنه لم يَر أبدًا سعيد العراقي٠٠ ولم يَر أبدًا ما

الـذي فعلـوه٠٠ لماذا كُل هذا الحماس للقضاء عليـه٠؟٠ هل لأنه يُحب أباه ويخاف عليه من هذا الخطر٠؟!٠ كان في عجب من أمره لكنه كان سعيدًا من حديث ابنه الشاب٠:٠

٠٠٠٠-لا يَمر أحد أمام القصر٠٠ وكُل المحال والبقالات تُغلق إلى فترة وجيزة حتى أجيز أنا بفتحها مُجددًا٠٠ وأي شخص ينقلب على الأوامر اضربوه واجعلوه عِبرة للآخرين٠-٠ ٠.

كانت زينب واقفة تَستمع إلى هذا الحَديث٠٠ واضعة يدها على قلبها الذي يَنبض بشدة على غير العادة٠٠ كُل هذه الحماية لأجل عودة سعيد العراقي٠؟٠!٠ استرقت السمع مُجددًا٠:٠

٠٠٠٠-كُل هـذه الأوامـر سـتنتهي فـور قَتـل سـعيد العـراقي وابنه وشـيخ القريـة٠٠ هـؤلاء الثلاثـة بالتحـديد أي شـخص آخـر غير مُهم٠-٠ ٠.

نَظـر إلـى أبيـه٠٠ فـرأى فـي معالمـه فَخـر وتبجيـل٠٠ عَرف أنـه يَتحدث كالكِبار حقًا وشعر بالفرح بأعماقه٠٠ أن سالم العلايلي سيَكون يومًا الكَبير على القرية٠٠ وسيكون أقوى كَبير مَسك زمام القرية مُنذ نشأتها٠ ٠.

٠٠٠٠-واحد منكم سيكون مسؤولًا عن مُراقبة عُمر العراقي٠٠ لن يفارقـه حتـى لـو للحظة٠٠ ليعرف كُل شيء عنه٠٠ أين يذهب ولمن يذهب ولِمَ يذهب له٠٠ كُل شيء عن عُمر العراقي٠-٠ ٠.

رَفع واحد من الرجال يَده للحديث٠٠ فأذن له سالم٠:٠

٠٠٠٠-لِمَ كُل هذا٠؟٠!٠ لنقتل عُمر والشيخ وننتظر حتى عودة سعيد

العراقي ثم نقتله هو الآخر!..

ابتسم سالم.. وشعر بقوة السؤال الذي لم يُدرك إجابته أبدًا.. نَظر إلى أبيه فوجده يَنظر إليه بترقب مُنتظرًا إجابة تُفحمه.. فرد سالم:.

.....نحن لا نود سعيد العراقي مقتولًا.. بل نود اللعب به قليلًا.. نود المَرح معه.. أما عن قتلنا لعُمر والشيخ الآن.. فكيف سنجعل سعيد يَرضخ للاستسلام وكُل أحبائه قُتلوا بالفعل.؟!..

نَظر إلى الحُراس ليرى تعابير الاندهاش على وجوههم.. ليس لقوة الرد بل لطريقته في الحديث وثقته.. صمتوا مُنتظرين المَزيد من حديثه:.

.....نَحن لن نقتل سعيد.. لكننا سنقتل كُل شيء بداخله.. حينها فقط تَكون القوة.. .

سَمع صوت تصفيق حاد من أبيه.. فنَظر له مُبتسمًا.. سعيدًا جدًا.. فالآن هو بكُل الوسائل.. كَبير القرية الجديد. .

نَظرت زينب من الأعلى.. مَصدومة مما سمعت.. كيف لهذا الكلام والتفكير الشيطاني أن يَخرج من عَقل شخص مثل سالم.؟ !. يودون قتل عُمر أمام أبيه.. ويودون جعل سعيد هاربًا مرة أخرى. . فزعت مما سَمعت.. فدخلت غُرفتها لتُفكر فيما سيحدث تباعًا.. إن سار مُخطط عائلة العلايلي كما هو فستكون نهاية العراقي وعائلته عن بكرة أبيها. .

.*. .*. .*.

فـي الـوقت ذاتـه كـان محمـود بـداخل مَنزل الشـيخ جمـال٠٠ يُصافحه بحرارة وكأنهما على معرفة مُنذ القِدم٠٠ الشيخ كان مُتعبًا٠٠ وتعبه واضح على ملابسه ووجهه٠٠ حتى أنه كان يَسعل بشدة٠٠ لكن نظراته لمحمود كانت غريبة٠٠ لا تزال غريبة٠!

٠٠٠٠أعتذر عن صفعتي لك٠٠ لكن وجبأن يُصدقنا عُمر٠٠٠ ٠

قالها الشيخ بابتسامة هازئة على وجهه٠٠ فضحك محمود بصوته شبه الأنثوي٠٠ وجَلس على الأريكة٠٠ ظل الشيخ واقفًا وتحولت ملامحه من ابتسامة إلى العبس التام٠٠ كان محمود خائفًا من الشيخ٠٠ فلما نظر له ووجده يَنظر بتلك الطريقة نَهض مُجددًا دون تَفكير٠٠ أومأ الشيخ برأسه بهدوء٠٠ ثم جَلس هو أولًا فتبعه محمود٠:

٠٠٠٠لقد وعدتني أنك ستخبرني كُل شيء الآن٠٠٠ ٠

٠٠٠٠سأخبرك٠٠ لكن ليس كُل شيء٠٠ فقط ما تريد معرفته٠٠٠ ٠

ابتسم محمود٠٠ ثم سأل٠:

٠٠٠٠أين أموالي٠؟٠!٠٠

ابتسم الشيخ وكأنه ينتظر تلك الإجابة٠٠ ثم أخرج من جيبه مَبلغًا ضخمًا وألقاه نَحو محمود٠٠ بدأ يَعد الأوراق حتى وجدهم خمسة آلاف جُنيه٠:

٠٠٠٠لكن خمسة آلاف مَبلغًا هزيلًا يا شيخنا العظيم٠٠ فلقد تعرضت إلى المهالك مع عُمر وأنت في النهاية تُعطيني خمسة آلاف٠!٠٠

دولة الكتب دراية

صَمت الشيخ تمامًا.. ثم نَظر له وتحدث بنبرة غير نبرته المعهودة:.

-.-..-لقد اتفقنا على هذا المبلغ.. لا تُغضبني-.- ..

ابتسم الشيخ بنفاذ صبر.. فأيقن محمود أنه لا مجال للحديث مع هذا الرجل:.

-.-..-لقد نَجحت الخِطة.. الكُل صدق أنني ابن سعيد العراقي-.- ..

أومأ الشيخ برأسه دلالة على صِحة كلامه.. فاقترب محمود منه:.

-.-..-لكن لماذا.؟!.-.

تعجب الشيخ:.

-.-..-لا أفهم.!.-.

-.-..-لماذا تُخبر الجميع أنني الأخ الأكبر لعُمر.؟!.-.

ابتسم.. وعاد بظهره إلى الوراء مُفكرًا:.

-.-..-يَمكن القول أنني شعرت بالخوف عليه-.- ..

-.-..-من ماذا.؟!. فعُمر لم يَكن مُحاط بالخطر.. كان ينام هنيئًا ويستيقظ ثم يذهب إلى العمل عند العلايلي.. لقد حكى لي أنه كان يعمل عندهم-.- ..

دودة الكتب حرامية

----أنت لا تعرف عائلة العلايلي، لا تعرف غضبهم ومقتهم---

بدأ محمود في الاستيعاب، فهم لعبة الشيخ، فقال محمود:

----لقد قررت إبعاد عُمر عن تجارة السلاح بالقوة!، أجبرته على هذا دون علمه!---

أومأ برأسه مُبتسمًا، فاستطرد محمود:

----هل حاولت إبعاده سابقًا عن هذا الطريق؟!---

ابتسم جمال:

----تحدثت معه كثيرًا لكنه ظن أن هذا هو الطريق الأمثل لعودة أبيه، أن يَدخل في الطريق الذي سلكه سعيد قبله كي يعود وينتقم---

----لكن هذا ليس صحيحًا؟!---

----ليس صحيح، ولا ينبغي علي إخباره بالحقيقة---

----وما هي الحقيقة؟!---

التزم الشيخ الصمت، مُنتظرًا سؤال آخر من محمود ليجيب عليه:

----هل سعيد يَقطن في هذا المكان الذي ذهبنا إليه؟! والذي أعطيتني عنوانه كي أثبت لعمر أنني أخيه!---

----نعم، سعيد يَقطن هُناك فعلًا---

دودة الكتب حرامية

٠-٠-٠-٠إذًا لماذا لما ذهبنا لم نجده٠؟!٠ لماذا لم يكن هُناك٠؟!٠ وكيف كان المكان مُجهزًا بتلك الطريقة٠؟!٠-٠

شعر بأن السؤال جاء في محله٠٠ فدنا من محمود هامسًا٠:٠

٠-٠-٠-٠لأن سعيد يرى٠٠ يسمع٠٠ سعيد حولنا وبيننا٠-٠ ٠.

شعر محمود بالقلق٠٠ فاستطرد جمال٠:٠

٠-٠-٠-٠أعطيتك المُذكرات فقط لتُثبت لعمر أنك أخيه٠٠ في الحقيقة كان إثبات جيد وقوي٠٠ لهذا صدقك عُمر وصدق أكثر لمّا ذهبت إلى هذا المكان٠٠ كُل هذا سعيد كان يعرفه٠٠ سعيد هو من أعطاني الأوامر لفعل هذا٠-٠ ٠.

٠-٠-٠-٠هل تتحدث مع سعيد العراقي٠؟!٠-٠

٠-٠-٠-٠أخبرتك أن سعيد العراقي حولنا وبيننا٠٠ يَسمع ويرى٠٠ يعلم كُل شيء يدور في القرية٠-٠ ٠.

ابتسم جمال٠٠ وبدأ يَضحك فنَهض من موضعه٠:٠

٠-٠-٠-٠لقد اقترب عُمر من الموت يوم عودته من عملية السلاح٠٠ ضربوه حتى أغشي عليه٠٠ سعيد لن ينتظر حتى يُقتل ابنه بسبب أولاد العاهرة٠٠ وبسبب غباء ابنه٠-٠ ٠.

ابتلع محمود ريقه خوفًا٠٠ وشعر بأن هُناك شيئًا خاطئًا٠٠شيء يسير عَكس المسار٠:٠

٠-٠-٠-٠وفي ليلة جاءني الأمر من سعيد بأن أبعده عن هذا الطريق٠٠ حاولت التحدث إليه لكنه لم يسمع٠٠ فلم يَكن هُناك

طريقًا آخر سوى الإجبار٠٠أن أجعله ينشغل بأمر آخر٠٠ أمر كبير وجلل٠٠ كعودة أخيه الأكبر!٠٠

اقترب الشيخ من محمود٠٠ فاستطرد بنبرة مُرعبة٠:

٠٠٠٠إنه يَسمع٠٠ ويرى٠٠ يعرف كُل شيء٠٠ .

ضَحك بشدة٠٠ حتى شعر محمود بأن المكان يَهتز لأجل ضحكاته٠:

٠٠٠٠وأنت الآن٠٠وحدك تعرف حقيقة الأمر٠٠ تعرف أنني من جعلتك تذهب إلى هُناك وتخبر الجميع بأنكأخوه٠٠ وفي حقيقة الأمر أنك مُجرد نصاب٠٠ فعلت هذا لأجل بعض الأموال٠٠ .

نَهض محمود من مكانه٠٠ بدأ الخوف يُكتنفه ويقاتله٠٠ نظر إلى الشيخ برعب حقيقي٠:

٠٠٠٠أنت مجنون٠٠ .

وَضع الشيخ يَده على وجنتي محمود٠:

٠٠٠٠لا٠٠ لا٠٠أنا لست مجنون٠٠ كُل ما في الأمر أن الحياة غير عادلة على الإطلاق٠٠ .

ابتسم جمال٠٠ فأدرك محمود٠٠ أدرك وبدأت الصدمة تَنهال على وجهه كالصاعقة٠:

٠٠٠٠لقد مات سعيد العراقي٠٠ مات ولا يوجد من يُدعى سعيد العراقي الآن٠!٠٠

دودة الكتب حرامية

ضَحك الشيخ أكثر٠٠ ضحك حتى اقشعر بدن محمود٠٠ فتحرك سريعًا ناحية الباب كي يغادر٠٠ فتوقف الشيخ خلفه٠:

٠٠٠٠-إنه يَسمع٠٠ يرى٠٠ يعرف كُل شيء٠٠٠ .

ثم أخرج الشيخ مُسدسًا من جيبه٠٠ أطلق رصاصة جاءت في ظهر محمود٠٠ فوَقع على الأرض٠٠ والدماء تَخرج من ظهره بكثافة٠٠ نَظر إلى وجه الشيخ الذي يَقترب منه بهدوء حتى دنا منه٠٠ كانت أنفاسه تَخرج بصعوبة شديدة٠٠ وجد الشيخ يَبتسم٠٠ ثم يقول بنبرة هادئة٠:

٠٠٠٠-لا٠٠ لم يَمت أبدًا٠٠٠ .

وجاءت الرصاصة الثانية في قلبه تُعلن النهاية٠ .

.*. .*. .*.

٠٠٠٠-لكن كيف٠؟!٠ أنا أشعر أنكِ أنت من تحاولين النَصب عليّ٠!

٠٠٠

كان الجو بينهما مَشحونًا بالتوتر٠٠ مليئًا بالمشاعر غير المَفهومة٠٠ كانت تُحاول طمأنته لكن هو لم يَفهم أي شيء٠٠ لا يستطيع فهم أي شيء٠٠ في مَدخل البناية وَقفان كما كانا٠٠ يَبدو وأن عُمر كان مُغيبًا٠٠ فتلك الفترة هي الأسوأ في حياته٠ .

حاولت ياسمين إرساء مراكب عَقله٠٠ حاولت إفهامه أن كُل هذه مُجرد لعبة لكنه لم يقو على الاستيعاب٠٠ ولم تستطع إعطاءه الدليل القَطعي أنها أخته٠٠ التوأم٠!

دودة الكتب دراية

لكن شكلها،، أماراتها وملامحها،، تَقول أنها أخته،، تشبهه تمامًا،، كيف لم يَلحظ هذا التشابه في بداية رؤيته لها،؟!،
ابتسمت ياسمين له لترد على جملته،:

،،،،،أنا لا أنصب عليك،، ولا أحاول إكمال اللعبة التي بدأت،، ولا حتى أستطع الآن إثبات أنني أختك بشكل رَسمي،، لكن صدقني،،، .

اقتربت منه،، وضعت يدها على يَده،، ثم قالت بلهجة جعلت الراحة تتسرب إلى قلبه،:

،،،،أنا أختك،، وكما قلت لك في السابق،، مُهمتنا أنا وأنت أن نُرتب عودة سعيد العراقي،،أبونا،،، .

لم يكن يَحلم في أمانيه بأن تكون تلك الجميلة هي أخته،، لم يَكن يحلم بأن تتحدث معه أصلًا،، لكنه قال لها،:

،،،،أنا أخاف منك،، أخاف من كُل شيء،، أشعر أن الكون مُتحالف ضدي،،، .

ثم نظر لها وعيناه اقتربت من البكاء،:

،،،،أنا حتى لا أعرف معنى السعادة،،، .

وكأن وجودها بجانبه هدأ من روعه،، وجعله يستسلم لدقائق من الزمن،، يستسلم إلى البكاء والعجز لكي يستطع النهوض مُجددًا،، وضعت يدها على كتفه،، ثم نَظرت له،:

،،،،أحيانًا يجب علينا التوقف كي نستطيع مواصلة الطريق،،

يجب علينا البُكاء كي نشعر بالسعادة عند الوصول٠٠ ٠.

٠٠٠٠٠لكني لا أريد السير في هذا الطريق مُجددًا٠، لقد تعبت٠٠ ٠.

٠٠٠٠٠لن تستطيع٠، لقد دَخلته وأنت على علم كاف بعواقب دخوله ومآسيه٠٠ ٠.

٠٠٠٠٠لكني تعبت٠٠ ٠.

٠٠٠٠٠حتى وأنت بعيد عن كُل شيء ستتعب٠، لأنك ستكون وحيدًا٠٠ ٠.

حالتها كانت أشبه بحالته كثيرًا٠، فهي لا ترى أمها إلا قليلًا٠، لحكم القصر وقوانينه الصارمة٠، لكن عندما نظرت إليه علمت أن حالته أكثر سوءًا بكثير منها٠، فهو لم يَكتنفه أحد على الإطلاق سوى الشيخ جمال٠، أما هي فكان القصر بكُل من فيه يكتنفها٠ ٠.

مَسح دموعه٠، ثم نظر إليها شاكرًا لأنها حاولت تهدئته٠، فأخبرته بما جاءت لتخبره إياه٠:

٠٠٠٠٠أين وَصلت في المُذكرات٠؟!٠٠

٠٠٠٠٠ما بقي لي سوى الفصل الأخير٠٠ ٠.

٠٠٠٠٠يجب أن تنهيها الليلة٠، وعندما تنهيها٠، اعلمأن النهاية قد أوشكت٠، أوشكت جدًا٠٠ ٠.

ثم غادرت البناية٠، وأخبرته قبل مغادرتها أنه سيراها مُجددًا غدًا للاتفاق على كُل شيء٠، الشيء الوحيد الذي يفرقها عنها هي ومحمود أنه عندما رآه لم يَشعر ولوهلة أنه أخوه٠، بالرغم كُل

الإثباتات والبراهين التي قدمها له٠،٠ لكن هُناك جُزء يقول عكس ذلك٠ ٠.

أما هي٠،٠ فقط وبدون أي برهان شعر وبقوة أنها أخته٠،٠ إن الشبه بينهما يفوق الوصف٠،٠ دَخل المنزل مُحاولًا التفكير في طريقة لمعرفة اللعبة التي تُلعب عليه٠،٠ لم يَجد محمود ولم يَعرف من أين ومنذ متى قد غادر٠ ٠.

نَظر في النافذة وَجد الناس تُهرول ناحية مكان ما٠،٠ لم يَكن يفهم لكن الشيء الوحيد الذي استوعبه أن هُناك مصيبة ما حدثت٠،٠أو تحدث٠،٠ سأل واحد من المُهرولين٠،٠ فأجابه٠:٠

٠-٠-٠-٠لقد وجدنا الشيخ٠-٠-٠ ٠.

لم يَجد ذاته إلا في الشارع٠،٠ مُهرولًا مثل العامة ناحية مَنزل الشيخ كما قال له الرجل٠،٠ خائفًا من تلك المفاجآت التي تَحدث في أوقات غريبة٠،٠ أين كان الشيخ٠؟٠!٠ ولماذا هم مُتلهفون لرؤيته٠،٠ فلم يَطل اختفاءه لتلك الدرجة٠،٠ فماذا إن عاد أبوه٠؟٠ ماذا سيفعلون٠؟٠!٠

وَصل أمام المَنزل فوجد الشيخ واقفًا والدماء تَحل بملابسه٠،٠ وملامحه غريبة للغاية وكأنه تغير بشدة٠،٠ وعلى الأرض كانت جُثة محمود سابحًا في دماءه٠،٠ صُدم حتى شهق من شدة الصدمة٠،٠ فوجد الشيخ يقول٠:٠

٠-٠-٠-٠دَخل رجل علينا من عائلة العلايلي وقتله٠،٠ كاد أن يقتلني لكن محمود دافع عني٠،٠ رحمه الله٠-٠-٠ ٠.

دوحة الكتب خاصة

لم تَدخل الحيلة على رأس عُمر٠٠ شعر بأن الشيخ يُخفي أمرًا ما٠٠ أما كُل رجال القرية صدقوا وابتلعوا الأمر٠٠ وبدأوا يحوقلون ويستغفرون٠٠ أما الشيخ فكان يعلم بأن ما حدث لن يعلمه أحد٠٠ بأن هو من قتل محمود٠٠ ولن يعلم أحد حقيقة محمود٠٠ لكنه رأى نظرات عُمر تُساورها الشك٠ ٠

بدأ يَسمع أقاويل الناس٠٠ أن عائلة العلايلي قتلت الابن البِكر لسعيد العراقي٠٠ شعر الشيخ بأن مُخططه يَكتمل٠٠ قَتله لمحمود وجعل الناس تظن أن من قتله هم عائلة العلايلي٠٠ سيجعلهم يغضبون كُرهًا أكثر لعائلة العلايلي أثناء المواجهة الأخيرة٠٠ فابتسم الشيخ سرًا٠٠ وشعر أن كُل ما خططه يسير على النهج الصحيح٠ ٠

أما عُمر٠٠ حاول أن يفهم لماذا جاء محمود إلى مَنزل الشيخ٠٠ ولماذا في هذا الوقت بالتحديد٠٠ ولماذا خرج من النافذة ولم يَخرج من الباب٠٠ كُلها أسئلة اغتصبت عقله٠٠ لكنها أسئلة جاءت في محلها٠ ٠

وَجد الأهالي يرفعون الجُثة من الأرض٠٠ واطمأنوا على سلامة الشيخ جمال فوجوده سالمًا دون أي جرح٠٠ مما أكد شكوك عُمر أن من قتل محمود هو الشيخ ليس شخص آخر٠ ٠

بعد ساعة تقريبًا٠٠ من الصمت بين عُمر والشيخ٠٠ والناس يقولون الكثير٠٠ تم حَمل الجُثة بعيدًا٠٠ وظل عمر والشيخ في المنزل وحدهما٠:

٠-٠٠-٠لم يَكن أخي يا شيخ٠٠ لقد تأكدت من هذا-٠٠ ٠

ابتسم الشيخ مُحاولًا إظهار عكس ما يُبطن.. كيف عرف ومن أين تأكد.؟!.

.....لقد أخبرتك بهذا سلفًا..أن هذا الغريب لم يَكن أخاك..... .

.....إذًا لماذا هذا الغريب جاء عندك.؟!. وللصدفة قُتل عندك أيضًا.؟!.....

اقترب الشيخ منه والدماء تملأ ملابسه ويده.:

.....كيف تتحدث معي بتلك الطريقة.؟!. لقد جعلك تشك بي يا عُمر.. أنا من ربيتك وجعلت لك مأوى.!.....

.....إن كُنت مكاني لحدث معك مثلما حدث معي..... .

.....لا.. لكُنت استفتيت قلبي.. أنت لم تفعل هذا بل جعلته يتغلب علي.. جعلتني أنا الغريب..... .

كان الشيخ يبتسم من الداخل.. فعمر لم يَشك حتى أن من كان يلعب تلك اللعبة هو الشيخ جمال نفسه.. الذي ظهر أمام عُمر أنه ضحية.. كان يفعل كُل هذا لمحاولة إبعاده عن الطريق.. للحفاظ عليه فقط حتى يحين الوقت. .

.....لا تحاول قَلب الطاولة علي..... .

.....لا أود هذا أصلًا.. أنسب ما تفعله الآن أن تذهب لتُكمل المُذكرات.. وتعرف ما الذي حدث لأبيك ليكون هاربًا كُل تلك المدة.. حينها ستجدني عندك.. مُنتظر الخبر اليقين..... .

كان عُمر هزيلًا.. جسديًا ونفسيًا معًا.. فما يحدث وما يقال يدل

على أن سعيد العراقي سيعود.. يبدو وأن عودته لن تطول بل سيعود في اليومين أو الثلاثة المقبلين.. هكذا شك عُمر..

لم يَقو على الجدال.. سيجادله ويناقشه حينما يقوى على هذا.. خرج من المنزل والشكوك تشغل عقله.. ما الذي كان يفعله محمود عند الشيخ..؟!.

لكن كُل هذا يَهون الآن.. وَجد الشيخ يَخرج معه حتى يذهب لتكفين محمود ودفنه.. هكذا كانت القرية.. تقريبًا لا يوجد شُرطة أو أي سُلطة تُراقبهم.. وهذا لشدة وطأة العلاقة بينهم وبين عائلة العلايلي..

احتجت القرية.. وبدأت الأهالي في ثورة عارمة.. وكأنهم ينتظرون فقط الإشارة للاشتعال.. حتى عُمر ذاته كان مُنتظرًا الإشارة لكي تبدأ رحلة الانتقام الحقيقية..الانتقام الذي طالما انتظره أهل القرية.. وطالما انتظره سعيد العراقي..

ابتعد الشيخ وسار عُمر وحده في الطرقات مُترنحًا.. مُفكرًا في كُل شيء قادم.. وفي كُل حدث مضى.. هل سينتهي الطريق قريبًا..؟!. لقد تعب من مواصلة الطريق ويود أن يرتاح كما كان في السابق..

وَصل المَنزل وفَتح الدفتر.. كان مكتوب بخط عريض .(الفصل الأخير). وهذا عادةً لم يَكن موجود في أي صفحة في المُذكرات.. وكأن سعيد العراقي يؤكد بأن هذا هو الخِتام..

وهذه هي النهاية!.

.*. .*. .*.

# (٥)

من مُذكرات سعيد العراقي٠:٠

٠(٠الفصل الأخير٠)٠ ٠.

تلك الليلة٠،٠ آه من تلك الليلة٠،٠ احتشد الغضب المكنون في كُل الأزمنة٠،٠ في تلك الليلة فقط٠ ٠.

كُل شيء ٠(٠جُزء غير واضح من المُذكرات٠ ٠.٠ ٠.٠)٠ في النهاية٠،٠ صوت سيد درويش أجبرني على الاستماع إلى صوت الرصاص المُنطلق في عنان السماء٠،٠ الناس تُقتل أمام عيني٠،٠ وعم سيد يُكمل غناءه دون توقف٠ ٠.

الدماء تَسيل أمامي٠،٠ الرؤوس تنفجر٠،٠ والقلوب تتوقف عن النبض٠،٠ إحساس سيء للغاية أنتشعر أنك غبي٠،٠ بعد كُل الأوقات التي ظننت نفسك فيها أذكى من الأخرين٠ ٠.

دَخلت مُسرعًا من الشرفة٠،٠ جلّ ما شغل بالي هو زوجتي٠،٠ فأخذتها من معصم يدها٠،٠ تَوقفت في مُنتصف الغرفة وهي معي٠،٠ هل تذكر يا بُني المخبأ السري٠؟٠!٠ الذي اختبأ به رأفت العلايلي وقت الثورة التي قامت عليه٠،٠ والموجود به كُل الأسلحة وكُل الأموال٠،٠ أبعدت السجاد عن الأرضية٠،٠ فضربتها بقدمي حتى انفتحت أمامي بوابة المخبأ السري٠ ٠.

وجدتها تتعجب من هذا المكان الذي لم تره ولم تعرف عنه

شيئًا٠٠ نزلنا سويًا على عجلة من أمرنا٠٠ فتحت الأضواء كي تستطع الرؤية٠٠ ثم قُلت لها وذراعي الأيسر يؤلمني بشدة٠:٠

٠-٠-٠-٠اجلسي هُنا٠٠ لا تنهضي أبدًا٠-٠-٠.

أدخلتها الغرفة السرية٠٠ وجعلتها تَجلس بها٠:٠

٠-٠-٠-٠في هذه الغرفة يوجد طعام وشراب يُكفيك ليومين٠٠ وإن حدث أي شيء سأكون عندك لا تخافي٠-٠-٠.

خرجت من الغرفة وأخذت بندقية آلية وخِزانتين ومسدس٠٠ أعطيت لها المُسدس٠:٠

٠-٠-٠-٠فقط للاحتياط٠٠ إن دَخل أي شخص غريب اضربيه بالمسدس٠-٠-٠.

شعرت بالخزي من نفسي لأنني أقول لزوجتي هذا٠٠ وكأن معايير رجولتي انسحبت تمامًا٠٠ لكني شعرت بأن هذا ليس الوقت المناسب على الإطلاق لإخبار ذاتي بهذا الحديث٠٠ ما أشعرني بالخوف أكثر هي زوجتي٠٠ كانت تنظر لي٠٠ نظرة لن أنساها ما حييت٠٠ لأنها جعلتني أشعر أنني أضعت عُمري هباءً٠٠ أنا لم أحبها بقدر ما أحبتني هي٠.٠

٠-٠-٠-٠عُد٠-٠-٠.

قالتها لي في طريقي إلى الخروج من المخبأ٠٠ للدفاع عن الناس من يدافعون عني وحدهم٠٠ في المخبأ لا تستطيع سماع شيء٠٠ مهما صرخت وبكيت٠٠ لا يستطيع أحد سماعك٠.٠

ابتسمت إلى زوجتي٠٠ والدموع تَخرج من عينيها٠٠ عُدت لها وعانقتها بشدة٠٠ لم أعرف يا بُني لكن جاءني شعور بأنها ستكون المرة الأخيرة٠٠ المرة الأخيرة التي أراها٠٠ أعانقها٠٠ لا أعلم٠ ٠.

خَرجت وبيدي البندقية٠٠ ذراعي الأيسر تقريبًا شُل عن الحركة بسبب الألم٠٠ وَقفت في الغرفة أسمع صوت ضربات النيران من كُل حدب وصوب٠٠ والناس تصرخ من بهو القصر٠٠ أخذت نفسًا عميقًا وخرجت إلى أرض المعركة٠٠ خرجت من غرفتي إلى البهو٠ ٠.

وَجدت عددًا مهولًا من الجثث٠٠ وعددًا كبيرًا من المُقتحمين يضربون الرصاص ناحيتي٠٠ حتى اختبأت في الغرفة مُجددًا وتركت بابها مفتوحًا فبدأ كُل شيء بالغرفة يَنكسر بسبب الرصاص٠٠ الضوضاء كانت عالية٠٠ عالية جدًا٠٠ حتى جاء صوت صفير بسيط يُزعج أذني٠٠ كُل شيء توقف عن الزمن٠٠ كُل شيء هدأت حركته تمامًا٠٠ وبدأ عقلي وحده يُفكر٠٠ هل سأموت الآن٠؟!٠

بدأت يدي ترتعش خوفًا٠٠ لا أستطيع الكذب فلم أخاف في حياتي كتلك الليلة٠٠ الليلة التي حَدث فيها كُل شيء بغيض٠٠سَقطت البندقية من يَدي بسبب رعشتها فالتقطها مُسرعًا٠٠ حتى جاء واحد من المُقتحمين ودخل الغرفة٠٠ فضربته بتلقائية عدة رصاصات في رأسه حتى وجدتها تَنفجر أمامي٠٠ فتبعه ثلاثة رجال كُلهم بدأوا يضربون الرصاص ناحيتي٠٠ لكن بسبب بطء حركتهم وبسبب اختبائي٠٠ قتلتهم دُفعة واحد٠ ٠.

وَجدت الصوت في الخارج٠٠ صوت الرصاص٠٠ يهدأ تمامًا٠٠ كأن الحرب انتهت بكل خسائرها٠٠ لكن يدي اليمنى مازالت ترتعش من الخوف٠٠ فوضعت البندقية على الأرض٠٠ وأخذت دقيقة لتوقع ما سيحدث تاليًا٠٠ لكن لم أستطع التوقع٠٠ رُبما لسرعة ما حدث٠٠ وَجدت شخص ما يقترب من الغرفة٠٠ خطوات قدمه تَصم أذني٠٠ بدأت أضرب النيران في كُل مكان حتى يتوقف هذا الرجل عن الحركة٠٠ سمعت الصوت من الخلف٠:٠

٠-٠-٠-٠اهدأ قليلًا٠٠ لقد جئنا لنتفاوض٠-٠ .٠

كان صوته غريبًا٠٠ وأنفاسي كانت تَخرج بصعوبة٠٠ وَقف خلف الغرفة كي لا تخترقه الرصاصة٠٠ وبدأ يتحدث٠:٠

٠-٠-٠-٠أخرج الآن٠٠ وإلا أدخلت الرجال كُلهم ليقتصوا منك ويأخذوا حقي٠-٠-٠

سمعت صوت ضحكاته٠٠ فأردف٠:٠

٠-٠-٠-٠أنت تظن أن رجالك مازالت باقية٠٠ لم يبق أي أحد منهم٠٠ ولا شخص واحد٠-٠ .٠

كُلما سمعت صوته كُلما ازدادت رغبتي في اقتحام المكان وقتلهم٠٠ لكني أعلم أن هذا لن يحدث على الإطلاق٠٠ فمجرد خروجي من الغرفة سيتم قتلي٠ .٠

٠-٠-٠-٠سأستسلم٠-٠ .٠

خَرجت الكلمة مني دون أي تقدير٠٠ فحاولت إصلاح خطأي٠:٠

٠٠٠٠٠بعد أن أقتلك أيًا من كُنت٠٠٠ ٠.

كان يَضحك٠٠ فازدادت خفقات قلبي٠٠ ثم تحدث٠:٠

٠٠٠٠٠حسنًا٠٠ سأقوم الآن بتفجير المخبأ السري٠٠ لكن قبل تفجيره سأغتصب زوجتك أمام عينيك٠٠ فجسدها رهيب٠٠٠ ٠.

جحظت عيناي٠٠ إنه يعرف أن زوجتي بالداخل٠٠ كانت تلك الضربة المُنتظرة٠٠ لم أملك سوى خيار واحد وهو أن أستسلم٠٠ حتى لو سيقتلونني٠٠ لكن إن عرفوا أنها بالداخل لن يرحموها أبدًا٠ ٠.

٠٠٠٠٠أخبريه يا فاطمة أنك معنا٠٠٠ ٠.

كان الصوت من مكان أبعد٠٠ ولم يَكن صوت الرجل ذاته٠٠ سَمعت صوت صفعة على وجه أحدهم٠:٠

٠٠٠٠٠لقد أمرتك يا ابنة العاهرة أن تتحدثي٠٠٠ ٠.

٠٠٠٠٠يا سعيد٠٠ انجدني أرجوك٠٠٠ ٠.

هُنا فقط شعرت بأن كُل شيء انتهى للأبد٠٠ إنها معهم وبحوزتهم٠٠ لن أستطيع إيقافهم وحدي٠:٠

٠٠٠٠٠هيا يا سعيد٠٠ كُل رجالك قُتلوا٠٠ كُل حاشيتك دُمروا٠٠ ما الذي تنتظره للاستسلام٠؟!٠٠٠

بمُجرد أن قال هذا وَجدت حولي عشرين رجلًا مُسلحين يدخلون الغرفة٠٠ فما كان علي أن تركت البندقية أرضًا٠٠ مُنتظرًا مصيري

غير المعلوم٠ ٠

لكنه كان واضحًا أمامي٠، أسوء نهاية قد توضع لإنسان٠، إنسان زوجته تغتصب أمام عينه٠، إنسان أملاكه وجيرانه وكُل من يعرفهم يُقتلون٠، إنسان حياته كُلها تُدمر٠، إنسان يُقتل بأسوأ الطرق الممكنة٠، أليست هذه النهاية الأسوأ في تاريخ البشرية٠؟ ٠!٠

قَبضوا علي٠، فأطرقت رأسي إلى الأرض٠، أمسكوني من ذراعي حتى كدت أصرخ من شدة الألم٠، لكنه لم يعد فارقًا لتلك الدرجة٠، فبعد قليل لن أشعر بشيء على الإطلاق٠ ٠

وَجدت الرجل ذا الحُلة السوداء٠، الذي كان يتحدث معي من خلف الغرفة٠، أصلع الرأس٠، فَخمًا للغاية٠، يبتسم لي٠، حتى حُلته لم تُلوث بقطرة دماء٠ ٠

وَجدت زوجتي تقف في البهو٠، بجوارها ٠(٠عامر خفاجي٠)٠، الرجل الذي ضربته في آخر عملية سلاح لي٠، ضابط الشُرطة المعروف٠ ٠الكدمات واضحة على وجهه٠، يده اليُمنى مكسورة٠، كان يقف بجوار زوجتي الموضوع على فمها شريط لاصق كي لا تتحدث٠، جعلوني أجثو على رُكبتي أمامها٠، فانهار كُل شيء بداخلي٠، كُل شيء٠ ٠

وجدت الرجل ذا الحلة السوداء يقترب مني٠، يضربني على وجهي برفق٠، ثم يبتسم٠:

٠-٠-٠ألم يقول لك أبي٠- لا تعبث مع الغرباء أبدًا٠؟٠!٠-٠

كما هو مُتوقع لي ولك٠٠ كان هذا هو حسن العلايلي٠٠ ابن رأفت العلايلي٠٠ عاد للانتقام كما كان يُخطط٠٠ لم أقو على النظر في وجهه٠٠ لكني نظرت إلى القصر بعد أن أصبح مُهشم بالكامل٠٠ حتى الجرامافون أصبح مُهشمًا٠٠ لقد كانت حياتي بأكملها في الأغاني التي اسمعها٠٠ هُشم كما هُشمت حياتي كاملةً٠ .٠

ازدادت أنفاسي حرارة٠٠ جسدي بالكامل أصبح خاملًا من شدة الصدمة٠٠ وجدت عامر يقترب مني وتوقف حسن جانبًا٠:٠

٠٠٠٠-لقد أخبرتك أنك أغبى مما توقعت٠٠ لم تفهم عواقب ما حدث٠٠ لو كُنت مكانك وفعلت ما فعلته٠٠ لما انتظرت دقيقة واحدة في هذا القصر٠٠-٠ .٠

جَثى على رُكبتيه هو الآخر٠٠ ثم صفعني على وجهي صفعة قوية٠٠ فلم أصدر أي أمارة تألم٠٠ دنا مني أكثر٠:٠

٠٠٠٠-لقد قتلت رجالي٠٠ قتلتهم جميعًا٠٠ وقتلت رأفت العلايلي٠٠ صحيح أنك قتلته سرًا٠٠ ولم يعلم أحد٠٠ لكننا نعلم أنك قتلته٠٠ وأفشيت الفوضى في القرية وجعلت الناس يثورون على رأفت٠٠ وأنت لا تعلم أننا كُنا ننتظر فقط٠٠ ننتظر قدوم اللحظة المناسبة٠٠-٠ .٠

ابتسم بسخرية٠٠ واستطرد٠:٠

٠٠٠٠-لقد تركناك تفعل ما تشاء٠٠ تظن نفسك كبيرًا٠٠ تظن نفسك ذكيًا٠٠ كُل ما شئت فعله جعلناك تفعله٠٠ أما الآن فجاء وقت الحساب٠٠-٠ .٠

نَهض من موضعه وهو يضحك٠٠ الصمت كان مُزعجًا لدرجة لا يتخيلها أحد٠٠ بعد أن كانت الضوضاء تعم المكان٠٠ الآن الصمت كان يُثير الرعب أكثر٠٠ وزوجتي تَنظر لي وعيناها تَبكي٠٠ وأنا لا أستطع فعل أي شيء٠٠ قال عامر بسخرية٠:

٠-٠-٠أما الآن٠٠ سنجعل حياتك أمام حياة زوجتك٠-٠ ٠.

٠-٠-٠اقتلوني واتركوها تذهب٠٠ اقتلوني أرجوكم اقتلوني٠-٠ ٠.

تَقدم إلى زوجتي٠٠ وأخرج لها مُسدسًا من جيبه٠٠ فك قيودها وأزال الشريط اللاصق من فمها٠٠ نهضت من مكانها خائفة٠٠ تَنظر لي محاولة التحدث معي لكنها لا تستطيع التفوه بكلمة من شدة الخوف٠٠ وَقفت في مُنتصف البهو٠٠ الكُل يراقب بشدة٠٠ يريد أن يعرف ما الذي سيحدث٠٠ عامر توقف بجوارها٠٠ يَنظر إلى حسن مُنتظرًا إشارة منه٠ ٠ أعطى عامر مُسدسًا لفاطمة زوجتي٠٠ وأخبرها٠:

٠-٠-٠هذا المُسدس به رصاصة واحدة فقط٠-٠ ٠.

حاولت إخبار ذاتي أنه لن يحدث ما أفكر به الآن لن يحدث٠:

٠-٠-٠إما تقتلين نفسك أو زوجك٠٠ ونقسم لك أنكِ إذا قتلته لن نقتلك وسنتركك حرة للذهاب٠٠ وإذا قتلت نفسك سنتركه يذهب٠-٠ ٠.

نَظرت لها فوجدت شخص من الخلف يأتي ويضع شريط لاصق على فمي حتى أصمت٠٠ بدأت أبعد وجهي وأصرخ٠٠ أصرخ كما لم أصرخ قبلًا٠٠ وَضع الشريط اللاصق فلم أستطع التحدث٠٠

صرخت حتى شعرت بأن أحبالي الصوتية تقطعت٠٠

أنا لا أفهم٠٠ لا أفهم لماذا نظرت لي بتلك الطريقة٠٠ أقسم لك يا بُني أنني لا أنام ليلة إلا وأفكر وأتذكر تلك النظرة٠٠ لقد كانت شامخة٠٠ تَقف والدموع تَنزل بلا هوادة٠٠ لكنها كانت تقف بفخر شديد٠٠ تَنظر لي ثم تبتسم ابتسامة خفيفة٠٠

لقد كُنت أعلم بأنها لن تقتلني٠٠ لن تستطع فعل هذا٠٠ وجدتها تضع المسدس على رأسها ثم تضغط الزناد٠٠ وجدت دماؤها تتبعثر وتتطاير في الهواء٠٠ توقف صوتي بمجرد أن سمعت صوت الرصاصة٠٠ أغمضت عيني بسبب دمائها التي أغرقت وجهي٠٠٠

لقد ماتت زوجتي٠٠ ماتت لأجلي٠٠ لأجل أخطائي وغبائي٠٠ لقد كان شعورًا قذرًا٠٠ دنيء٠٠ سيء٠٠ أسوء شعور يَمر به المرء٠٠ سمعت أصوات تصفيق حاد من حسن وعامر فتبعهما رجالهما٠٠ الكُل يصفق ويصفر٠:

٠٠-٠٠٠يالها من دراما٠٠ دراما عبقرية٠٠-٠٠

نطقها حسن في مُنتصف تصفيقه الحاد٠٠ لقد كان الجميع هُنا ينظرون لي ولجثة زوجتي٠٠ لم أرد النظر إلى جُثة زوجتي٠٠ لم أستطع النظر فيها٠٠ لكني وجدت نفسي أبكي٠٠ أبكي بكاءً حارًا٠٠٠

لقد ماتت زوجتي٠!٠

ياله من شعور٠٠ كُل شيء يقف عن الحركة٠٠ الزمن يتوقف عن

التقدم.. كُل ما فكرت به أنني الآن لا أخاف على شيء.. أنني الآن وحيد تمامًا!.. توقفت عن البُكاء.. سمعت صوت حسن بعد توقف التصفيق:.

.....والآن كما وعدنا زوجتك.. سنفي بوعدنا.. وهو أن نتركك حُرًا للذهاب... .

نَظـر إلـى عـامر باستهزاء.. كأنـهما فـي مسـرحية رخيصـة.. فاستطرد حسن مُتعجبًا من نفسه:.

.....ماذا قُلت؟. لقد قُلت بأنني سأجعلك تذهب حُرًا!.. كيف طاوعني لساني؟!. كيف نطقت بهذه الكلمات الغريبة؟!...

.....أنا لا أعلم يا حسن!. لا أدري كيف أصلًا نتركه حُرًا للذهاب!. ...

.....طيب ما رأيك لو تركناه يذهب.. لكن ليس حُرًا؟!...

.....فِكرة رائعة.. لكن كيف سنفعلها يا حسن؟!...

كان الاستهزاء واضحًا على نبرة صوتهما.. وَجدت حسن يذهب إلى واحد من رجاله ويأخذ منه جريدة.. ثم يقرأ بصوت عال:.

.....في الصفحة الأولى.. ...مطلوب. . . سعيد العراقي...، صورتك ما شاء الله تنير الصفحة بأكملها... .

اقترب مني.. وبدأ يقرأ الخبر:.

.....سعيد العراقي مُجرم وحرامي وتاجر للسلاح والمخدرات.. مَطلوب للعدالة بعد هروبه في آخر صفقة سلاح.. من يراه

ويعرفه يجب عليه الإدلاء في أقرب قسم شرطة للقبض على هذا المُجرم الخطير٠٠ ٠.

لم يفرق معي٠، لم أشعر بالخوف أكثر٠، لكنهم لعبوا لعبة أقذر من كُل هذا٠، جعلوني ميتًا وأنا على قيد الحياة٠، أعيش وَسط العامة لكن لا أستطيع التنفس مثلهم٠، لقد سلبوا مني حريتي٠، سلبوا مني الحياة يا بُني٠ ٠.

ألقى الجريدة أمامي كي أرى بعيني٠، وجدت صورة لي لم تكن قديمة٠، لكنها تُظهر أنني شاب وقوي٠، لكني الآن ضعيف وهزيل٠، حتى وجهي أصبح غريبًا عني٠، ابتسم حسن لي٠، وجثا على رُكبتيه مُجددًا٠:

٠٠٠٠والآن يا صديقي انتهى كُل شيء٠، انتهى سعيد العراقي٠، ستخرج من هُنا الآن كالهارب من العدالة٠، ولن تستطيع الفرار أبدًا٠، لن يستطيع أحد إنقاذك٠، لن يستطيع أحد مساعدتك٠، فأنت الآن وحدك تمامًا٠٠ ٠.

نَهض٠، وأعطى الإشارة لرجاله٠:

٠٠٠٠ابتسم يا سعيد٠، لو أحد بدلًا مني لقتلك وسلخ جثتك أمام رجالك٠٠٠

نظرت إلى الأرض٠، حملوني على أكتافهم٠، سمعت صوت حسن٠:

٠٠٠٠الوداع يا سعيد٠، الوداع يا ابن العاهرة٠٠ ٠.

كان أخر ما سمعته٠، حسن وعامر يضحكان بشدة٠، لكن آخر ما

رأيته٠٠ جُثة زوجتي على الأرض٠٠ مُشكلة بركة دماء حولها٠٠ لا أعلم لما رأيتها تبتسم٠٠ تبتسم لي٠٠ وكأنها تعلم أنني لن أستطيع العيش أبدًا كما كُنت أعيش٠٠ كأنها تعلم أنني لن أعود أبدًا مثلما كُنت٠ ٠

لقد قُتل سعيد العراقي في القصر٠٠ هذا ما أقوله وسأقوله٠٠ لقد قُتل ولم يخرج منه حيًا أبدًا٠ ٠

ألقوني أمام القصر٠٠ ذراعي قد توقف عن الحركة بل بدأ ينزف٠٠ بدأت أزحف على الأرض حتى أصل إلى أي شخص في القرية لينجدني٠٠ لكني لم أجد سوى جُثث لشباب القرية أمامي٠٠ أزحف في الدماء٠٠ أحاول الوصول إلى أي شخص حي٠ ٠

لقد كانت مجزرة حقيقية٠٠ كُل من في القرية٠٠ كُل الرجال الكِبار قد ماتوا تقريبًا٠٠ لم يعد في القرية سوى النساء وعدد لا بأس به من الأطفال٠ ٠

فجأة وَجدت رجل ما٠٠ رَجل يُدعى محفوظ٠٠ كُنت أعرفه لكني لم أعلم اسمه حينها٠٠ وَجدته يُخبرني٠:٠

٠٠٠٠ما الذي حدث يا سعيد٠٠ ما الذي حدث٠؟٠٠

لم أستطع التحدث٠٠ لم أستطع فعل أي شيء٠٠ فوجدته يحملني على ظهره لينجدني ويخفيني٠٠ في تلك اللحظة أغشي علي ولم أستيقظ إلا في مكان غريب٠٠ مكان لم أره أبدًا من قبل٠ ٠

لكن ما طمأنني قليلًا هو محفوظ٠٠ كان بجواري٠٠ أخبرني أنه

يعمل في منطقة بالقاهرة٠٠ ويستطع إخفائي لفترة وجيزة حتى تهدأ الشرطة عن البحث عني٠٠ لم أكن في وعيي بعد٠٠ كُل ما حدث في القصر لم أنساه ولو لوهلة٠٠ حتى الآن أتذكر شعوري في كُل ثانية٠٠ ألم أخبرك أن تلك الليلة لم تكن كسائر الأيام٠؟!٠

قال لي أن رجال القرية مُعظمهم قد مات لمّا دخل حسن العلايلي هو وعامر كي ينتقموا منهم ومني٠٠ ولم يبقى سوى الأطفال٠٠ والنساء٠٠ لقد أكد علي المعلومة التي فكرت فيها تلك الليلة٠ ٠

وأخبرني أيضًا أن في الفجر سيخرج وسأكون معه حتى أذهب إلى المكان الجديد٠٠ والذي وعدني أنه لن يستطع أحد الوصول لي فيه٠٠ لم أنس ما فعله محفوظ لي أبدًا٠ ٠

تلك هي نهاية المُذكرات٠٠ نهاية القصة التي كتبتها لك لكي تعرف من أنا٠٠ من هو أبوك٠٠ أعترف أنني لم أكن قاص جيد على الإطلاق٠٠ لقد حكيت لك يا بُني ما أحكيه لنفسي كُل ليلة٠٠ كُل ساعة٠٠ كُل دقيقة٠ ٠

عند انتهائك من قراءة المُذكرات٠٠ ستعلم جيدًا أنني لم أكن بهذا السوء٠٠ لم أكن شرًا مُطلقًا٠٠ أنا أشبهك تمامًا٠٠ أنا متأكد أنني أشبهك في كُل شيء٠٠ لذا يجب أن تعرف أنني سأعود٠٠ اترك بعض الإيمان في أبيك٠٠ وأنا لن أخذلك ولن أخذل الأهالي٠ ٠

مُنذ خمسة وعشرون سنة مات الكثير من رجال القرية لأجلي٠٠ لأجل الدفاع عني وعن قريتهم٠٠ هل تظن أنني نسيت هذا٠؟!٠ هل تظن أنني نسيت زوجتي التي انتحرت أمام أم عيني٠؟!٠ أنا لا أنسى شيئًا٠٠أن عابني من قبل سوء تخطيطي٠٠ فهذا لن

يتكرر مُجددًا٠ ٠.

يا بُني٠،٠أنا أحبك٠،٠ أحبك لدرجة لا توصف٠،٠ وأخشى عليك يا بُني من مصيري٠،٠ مصير الهاربين٠،٠ أخشى عليك من الوِحدة٠،٠ أن تكون وحيدًا طيلة عُمرك٠،٠ حب فتاة يا بُني٠،٠ فالحب يُرينا الحياة بأكمل فصولها٠،٠ لا تسلك الطريق الذي سلكته إلا وأنت مقتنع أنني على حق٠،٠ مُقتنع بأن سعيد العراقي تم ظُلمه٠ ٠.

أعلم أن هُناك العديد من الأسئلة لم يتم الإجابة عليها في هذه المُذكرات٠،٠ لكن صدقني جميع الإجابات التي تأملها سيتم الإجابة عليها فور ما أراك وتراني٠،٠ ستعلم حينها أن الإجابة كانت بسيطة٠،٠ أبسط مما تتخيل٠ ٠.

أراك لاحقًا يا بُني٠،٠ واعلم بداخلك أنني سأعود٠،٠ سأعود ولن أعود أبدًا كما كُنت٠ ٠.

أبوك المُخلص٠،٠ المُحب٠،٠ المظلوم٠ ٠.

سعيد العراقي٠ ٠.

.*. .*. .*.

لقد انتهت المُذكرات٠،٠ انتهت حكاية أبيه الماضية٠،٠ انتهت مأساته وأحزانه٠ ٠.

نَظر إلى الدفتر الأصفر العتيق٠،٠ وضعه على الطاولة٠،٠ مُسترقًا النظر إليه٠،٠ في هذا الدفتر تُكمن الحكاية بأكملها٠،٠ يَفوح منه سِر أبيه وسيرته العَطرة٠ ٠.

هل كَتب أبوه تلك المُذكرات ليشجعه على الانتقام؟!. ليخبره أن كُل شيء حوله خطأ ويجب عليه تصحيحه؟!. هذا ما يقوله أبوه وهذا ما يؤمن أنه يُريده.. الانتقام. .

فَهم عُمر أن تلك الرحلة الطويلة من الصَمت والانتظار لم تَكن بلا فائدة.. بل فقط تجعله مُتأنيًا في خطواته.. صابرًا في انتقامه البطيء.. وكما قال أبوه.. لن يُخطئ مُجددًا.. وأنه يَعرف الأخطار ويعرف ما يَدور. .

نَهض عُمر من موضعه.. في شُتات ذاته يَصرخ.. لقد قتلوا الأهالي قديمًا.. وإن لم يَقم بخطوة في تلك الفترة.. سيقتلونهم مُجددًا.. حسن العلايلي لن يَصبر ولن يَرحم أحد إن لم تنته الحكاية الآن. .

سَمع صوت الباب يُطرق.. كان على علم تام بأن الطارق هو الشيخ جمال.. بالفعل كان هو فدخل مُسرعًا إلى المنزل.. أخذ عُمر نفسًا.. وشعر بأن الليالي المقبلة ستكون الأسوأ.. نَظر في ساعة الحائط وَجدها تُشير إلى السابعة مساءً.. جَلس على المقعد أمام الشيخ.. فوجده يتحدث:.

---أنهيت المُذكرات؟!---

أومأ عُمر برأسه.. فابتسم الشيخ والراحة تغزوه.. فاستطرد:.

---عُمر.. اقتربنا من الوصول إلى نهاية الطريق.. وأبوك سيعود في الأيام المُقبلة.. انتظارنا انتهى.. يجب علينا الانتقام جميعًا.. الانتقام من قتلة زوجة سعيد العراقي.. وقتلة أهالي القرية--. .

بدأ عُمر يشعر بخوفٍ عظيم٠٠ خوف لم يشعر بمثله أبدًا٠٠ فأردف الشيخ بنبرة هادئة٠:

٠٠٠٠لم يَقل أبوك كُل الأسرار التي كُنت تريدها٠٠ حتى أنت لا تعرف من أمك ولا تعرف أين هي الآن ولا تعرف أي شيء عنها٠٠ لكن كما قال أبوك٠٠ الإجابة بسيطة للغاية٠٠ ٠.

٠٠٠٠متى سأعرفها٠؟!٠ لقد عِشت سبعة عشر عامًا دون أمي٠٠ عِشت سبعة عشر عامًا دون أبي مُنتظر عودته كالغرباء٠٠ ٠.

ابتسم مُجددًا٠٠ ثم عاد بظهره حتى التصق بالمقعد٠٠ وأجاب عُمر٠:

٠٠٠٠لقد انتهيا لانتظار٠٠ الأهالي الآن في حالة ثورة عارمة بسبب مقتل محمود٠٠ فهو الآن بالنسبة لهم الأخ الأكبر والابن البِكر لسعيد العراقي٠٠ يجب علينا البدء الآن٠٠ ٠.

شعر بخفقات قلبه تزداد٠٠ توجم وجهه خوفًا٠٠ لاح الانتظار بعين الشيخ جمال٠٠ انتظار إجابة عُمر٠٠ فقرر أن يُسهل الإجابة على عُمر٠:

٠٠٠٠هل تعلم يا عُمر٠٠ مثل الغد مُنذ قرابة ستين عامًا٠٠ قُتل والد أبيك٠٠ جِدك٠٠ ٠.

لقد كان تاريخًا مُميزًا في أذن عُمر٠٠ فالغد سيكون الثامن عشر من أبريل٠٠ اليوم الذي خُلق فيه سعيد العراقي بتلك الطريقة٠٠ شغوفًا للانتقام والدماء من قتلة أبيه٠٠ ابتسم عُمر٠:

-.-.-.ما الذي تود قوله.؟!.-.

فنظر الشيخ له.، ووجهه يُنذر عن شيء ما لم يفهمه عُمر.:

-.-.-.مقصدي أنه حان الوقت.، حان الوقت للانتقام من القتلة.-. .

احتدم القلق بوجه عُمر.، فقال للشيخ.:

-.-.-.تعدني يا شيخ.، أنه بعد انتهاء كُل شيء ستخبرني بالحقائق.؟!.-.

ضَحك الشيخ حتى سعل.، فنهض من موضعه.، ناظرًا إلى وجه عُمر الخائف.، وَجد بعينيه دموعًا مَكتومة.، لم يعلم هل تلك الدموع من الخوف.، أم من الاشتياق.، لم يعلم حقًا.، لكن لوهلة شعر الشيخ بوخزٍ في قلبه.، أن هذا الفتى لن يعود أبدًا كما كان. .

-.-.-.أنا لن أخبرك بشيء.، سعيد العراقي هو من سيخبرك.-. .

ابتسم عُمر.، وانزاحت كُل الهموم والمخاوف.:

-.-.-.هل تقول لي أن أبي سيعود في اليومين المقبلين.؟!.-.

نَظر الشيخ أرضًا.، وقال دون النظر إلى وجه عُمر.:

-.-.-.إنه سيعود.، أقرب مما تتخيل.-. .

في الخارج.، وَقف الأهالي وبحوزتهم عدد لا بأس به من الأسلحة.، لقد أعطاهم الشيخ جمال تلك الأسلحة.، ففي بيته

كان يُخبئ حقيبة كاملة بها العديد منها.. بمختلف الأنواع.. كُلهم ينتظرون الإشارة من الشيخ جمال وعُمر العراقي. ..

.....إنهم بالخارج يا عُمر.. كُل الأهالي يقفون بالأسلحة ينتظرونك..... ..

تعجب عُمر.. فسأل الشيخ:.

.....من أين لهم بتلك الأسلحة.؟.!.....

.....لقد كُنت أخزنهم على مدار السنوات لأجل هذا اليوم..... ..

لم يَكن هُناك مَفر.. مَفر للهروب أو حتى الاختباء.. فالنهاية هي النهاية.. والحق لن يَنتظره أو ينتظر غيره.. بدأ قلبه يُخبره بأن لا يذهب ويبدأ المجزرة.. وعقله يُخبره بأن يذهب.. يذهب لأنه يود الانتقام منهم جميعًا. ..

خرج مع الشيخ من المنزل.. فوجد عدد غفير من الناس يقفون.. مُمسكين بأسلحتهم مُنتظرين الذهاب للقضاء على حسن العلايلي وأولاده.. بل والقصر كاملًا. ..

.....لقد اقتربت النهاية يا رجال.. اقتربنا من رؤية سعيد العراقي.. والآن مُهمتنا أن نُمهد الطريق لعودته.. مُهمتنا جميعًا..... ..

قالها الشيخ للجمع.. فصاحوا كُلهم باسم واحد:.

.....العراقي.. العراقي.. العراقي..... ..

فاستطرد الشيخ بصوت عال:.

٠٠٠٠٠لقد قتلوا ابنه البار٠٠ قتلوه لأجل إنهاء تراث العراقي وعائلته٠٠ لم يعرفوا أبدًا أن العراقي لا ينتهي٠٠ لا يموت٠٠ العراقي موجود بكُل واحد فينا٠٠٠

احتدت ملامح الشيخ غضبًا٠٠ وصرخ٠:

٠٠٠٠٠سنقتل أولاد العاهرة وسنجعلهم عِبرة لمن لا يعتبر٠٠ سنسحقهم٠٠٠ .٠

صرخوا هم الأخرون من الحماس٠٠ كأنهم يعلمون بأن نهايتهم هم أيضًا ستأتي فتلك معركة ضخمة٠:

٠٠٠٠٠العراقي٠٠ العراقي٠٠ العراقي٠٠٠ .٠

أخذ عُمر نفسًا عميقًا٠٠ ناظرًا إلى وجه الشيخ٠٠ مُتحدثًا بصوت ضعيف٠:

٠٠٠٠٠أنا أريد قَتلهم جميعًا٠٠ سنقتلهم يا شيخ٠٠ سأفعل أي شيء لأجل عودته٠٠٠ .٠

أومأ الشيخ رأسه راضيًا عن كلمات عُمر٠٠ فتحدث عُمر للجمع٠:

٠٠٠٠٠اليوم هو اليوم الموعود يا رجال٠٠ إما الموت أو الفوز٠٠ سننتصر عليهم لأن الحق معنا٠٠٠ .٠

وفي تلك اللحظة٠٠ ارتجفت يدا عُمر من الخوف وهول المنظر٠٠ هول الموقف٠٠ لقد جاءت اللحظة التي انتظرها منذ زمن بعيد٠٠ جاءت وستنتهي تلك الليلة٠٠

الحَرب٠٠ المَجزرة٠٠ المعركة٠٠ النهاية٠ ٠

لم يعلم ما يُسميها٠٠ في حقيقة الأمر لم يعلم أي شيء٠٠ الشيء الوحيد الذي عَلمه من الداخل أنه يشتاق لأبيه٠٠ يريد رؤيته٠٠ابتسم عُمر وتوقفت رعشة يَده٠:

٠-٠-٠-٠هيا بنا إلى القتال٠-٠ ٠

.*. .*. .*.

# الفصل الخامس٠: ٠(٠العودة٠)٠

## (١)

سار الحَشد طويلًا٠، هاتفًا باسم العراقي٠، صارخًا دون خَوف أو قَلق من القتل٠، كُلما ساروا دقيقة كُلما ازداد العَدد٠، ازداد بطرق غير معقولة٠، القرية كُلها٠، كِبارها وصغارها٠، كانت تسير في الجنبات تصرخ باسم ٠(٠العراقي٠)٠ ٠.

عُمر كان في مؤخرة الحَشد٠، يَنظر ويَبتسم٠، بالرغم من أن القلق أضمره٠، لكن لا يجب على ابن العراقي الخوف في هذا الموقف٠، لا يجب أن يراه أحد بتلك الطريقة٠ ٠.

كان الشيخ في مُنتصف الجَمع٠، يبتسم بسعادة بالغة٠، كأن النصر اقترب٠، والحياة الجديدة تُفتح أبوابها على مصراعيها٠، لكنه تعجب من أن عائلة العلايلي لم تُصدر أي رد فعل إلى الآن٠، كان يعلم أنهم يُخططون٠، لكن لماذا كُل هذا التأخير٠؟!٠

كانت الخطة بأن يذهبوا جميعًا أمام قصر العلايلي٠، ويتحدث كبيرهم إلى حسن كي يُسلم نفسه دون أي إطلاق للرصاص٠، والأعداد كانت مخيفة فكان هذا عامل أساسي يستند عليه الشيخ وعُمر لأجل استسلامهم٠، لكن الخطة ستسير كما يُخطط٠؟!٠ كان الشك يُراوده طيلة السير٠، وأصوات الناس تجعله يتوتر أكثر٠، لأنه لم يُدرك للحظة أن الوصول إلى الانتقام سيكون بتلك البساطة٠ ٠.

توقف عُمر عن الجَمع٠، حتى تذكر شيئًا هامًا٠، بل غاية في

الأهمية٠٠ وهي ٠(٠شهد٠)٠٠ يبدو وأن سالم وحسن يعلمان بأمرها فيجب عليه حمايتها من أي خطر كي لا يَحدث ما لا يَحمد عقباه٠ ٠

هَرول عُمر بعيدًا عنهم حتى وَصل إلى مَنزل شهد٠٠ بدأ ينظر حوله خائفًا من أن يراه أحد٠٠ فهو سيصعد إلى فتاة تعيش وحدها٠٠ لكنه نظر جيدًا فلم يجد أحد يسترق النظر٠٠ صعد على الدرج ثم طرق الباب٠٠ كانت تقطن في الطابق الثاني٠ ٠

قبل فَتحها للباب٠٠ كانت تَجلس في هدوء لا تعلم أي شيء٠٠ لأن الحشد لم يَمر أسفل بيتها٠٠تتذكره٠٠ وكأن الحياة لا يوجد بها غيره٠٠ تتمنى أن يفي بوعده معها ويتزوجها٠٠ سمعت صوت الباب فنهضت مُسرعة٠٠ لم تنتظر أحد للقدوم فأثار ريبتها٠٠ وَضعت الطَرحة على رأسها وتوقفت أمام الباب٠:

٠--٠٠٠من الطارق٠؟!٠--

لَم تكن تتوقع أنه عُمر٠٠ فأخبرها أنه هو٠٠ فانتفض قلبها٠٠ وشعرت بأنه فارق موضعه٠٠ فتحت الباب فوجدته يَدخل بسرعة ويغلق الباب خلفه٠٠ كان يَنهج من شدة التعب ويسعل٠٠ لقد رَكض كثيرًا حتى وَصل إلى هُنا٠ ٠

نَظرت له٠٠ فوجدت نفسها تلقائيًا تضع يدها على كَتفه تُربت عليه٠٠ لا تعلم ما يحدث وما حدث لكنها تشعر بألمه وخوفه٠٠ نَظر لها والدموع قد اقتربت على السقوط٠٠ فعانقها٠٠ عانقها لمدة طويلة٠ ٠

لم تَكن خائفة منه٠٠ كانت تعلم بأنه ليس مثل الباقين٠٠ ابتسمت

وبدأت تضع يدها على شعره٠٠ تُخفف عنه٠٠ كانت عيناه تَدمع٠٠ حاول مرارًا أن لا يَبكي أمامها٠٠ أن لا يَبكي أمام أحد٠٠ لكنه أخبرها وهو بداخل أحضانها:٠

٠٠٠٠أنا خائف٠٠ خائف يا شَهد٠٠٠ ٠

في داخله٠٠ بدأ صوت سيد درويش يَخرج بعذوبة فائقة الوَصف٠٠ ولسانه راح مُدندنًا مع الأغنية التي يتخيلها تُعزف٠ ٠

٠٠٠٠أنا هويت وانتهيت٠٠ وليه بقى لوم العزول٠٠٠ ٠

وكأنها إشارة من أبيه٠٠ إشارة غير مُباشرة٠٠ للمرة الأولى التي يَشعر بداخله أنأباه قد اقترب من العودة فعلًا٠٠ رسالة من الكَون تُخبره بهذا٠٠ خَرج من أحضانها بابتسامة:٠

٠٠٠٠لقد اقترب من العودة يا شهد٠٠٠ ٠

مَسحت دموعه٠٠ حاولت أن تظهر قوية أمامه ولا تَبكي كي لا تُضعفه أكثر:٠

٠٠٠٠لقد أتيت لأخبرك أن لا تخرجي من المنزل٠٠ لا تفتحي الباب لأي شخص أيًا كان٠٠٠ ٠

أومأت برأسها٠٠ فَتح الباب ليغادر٠٠ لكنه نَظر لها نظرة طويلة بحق٠٠ كان يُحبها بشدة٠٠ لدرجة أنه لا يود عودة أبيه إن كانت ستُشكل خطر على حياتهما سويًا٠٠ وَجد نفسه دون أي تفكير يقترب منها ويعانقها مُجددًا٠٠ تلك المرة ضمها نَحوه بشدة٠٠ فأخذت نفسًا عميقًا وكأنها تستمد القوة منه٠٠ نَظر لها ثم لوح بيده٠٠ فوجدها تُناديه٠٠ فوقف أمامها مُرسلًا ناظريه نحوها:٠

٠٠٠٠٠عُد مُجددًا٠٠ سأكون في انتظارك٠٠٠ ٠٠

كان عقلها يُرسل إشارات لم يرد قلبها تصديقه٠٠ كانت تخاف على عودته٠٠ تريد عودته سالمًا حتى ولو لم يفي بكلمته٠٠ ابتسم لها شاعرًا بالحِمل العتيق يزداد فوق عاتقيه٠٠ ثم غادر٠ ٠٠

فور نزوله من البناية٠٠ خطا خطواته نَحو القَصر٠٠ المكان الذي سيجتمع فيه الجميع حتى يستسلم حسن العلايلي وابنه٠٠ لكن ما حدث لم يَكن هذا على الإطلاق٠ ٠٠

فور نزول عُمر من البناية وَجد ثلاثة رجال مُلثمين يقفون أمامه٠٠ ضربه واحد فيهم على رأسه حتى فقد الوعي تمامًا٠٠ حمله اثنان وذهبا به إلى مكان عتيق٠٠ يُدعى قصر العلايلة٠ ٠٠

.*. .*. .*.

قبل ما حَدث بساعة واحدة٠:

٠٠٠٠٠أولاد العاهرة٠٠ أولاد العاهرة٠٠٠ ٠٠

كان يَصرخ من فرط الغضب٠٠ يشعر بالغباء الشديد بأنه لم يَتوقع أن تأتيه الضربة بتلك السرعة٠٠ تناقلت الأخبار بسرعة البرق بأن القرية بأكملها قادمة نَحو القصر٠٠ معهم السلاح والعتاد الكامل لهذا٠ ٠٠

حسن ومعه ابنه سالم يقفان في البهو وحدهما٠٠ مُحاولان التفكير في أي شيء يُنجدهما من تلك المصيبة٠٠ فالقرية تقترب الآن من القَصر وكُلهم يقولون بأن من فعل هذا وأشعل الفتيل هو

الشيخ جمال٠، هو من وَزع الأسلحة عليهم وقال خطبة طويلة حتى يستفيق الناس ويوافقون على المجيء نحو القصر واقتحامه٠ ٠.

٠---٠٠هل سيقتحمون القصر يا أبي٠؟!٠ هل سيقتلوننا٠؟!٠---

هَز حسن رأسه نافيًا بانزعاج٠، وهو يتحرك بالمقعد يمينًا ويسارًا٠، توقف وأخذ نفسًا عميقًا مُفكرًا في أن حياتهما الآن أصبحت مُهددة بالخطر٠، فقال٠:٠

٠---٠٠ليست بتلك السرعة٠، حتى وإن كانوا سيقتلوننا فيجب أننحظى ببعض المتعة٠--- ٠.

٠---٠٠لماذا لم تقتل عمر وهو صغير يا أبي٠؟ على الأقل لو كُنت قتلته لما حَدث ما يحدث الآن٠!٠---

قالها سالم بغضب مثل غضب أبيه٠، فحدجه حسن بنظره تَشع بغضب مكبوت٠:٠

٠---٠٠لم أتخيل لوهلة أنه سيستطيع فعل كُل هذا٠، فهو آخر نسل عائلة العراقي حتى وإن عاد سعيد فلن يقوى وحده على فعل شيء٠، وحده لن يستطيع فعل أي شيء يا سالم لذلك تركته٠، كان مُجرد طفلًا يعبث في الأرجاء٠--- ٠.

تأفف سالم٠، فلم يكن تفكير أبيه صحيحًا بنسبة كبيرة لكنه منطقيًا٠، الطفل الأخير من عائلة العراقي لن يستطيع فعل أي شيء لكنه فعل وعلى وشك أن يهزمهم هزيمة شنعاء٠، اقترب سالم من حسن فوجد أباه ينطق٠:٠

٠-٠-٠-٠اعطي الأمر لرجلنا المسؤول عن مراقبة عُمر٠٠ واجعلوه يأتي هُنا٠-٠-٠

أومأ سالم برأسه وابتعد٠٠ لكن قبل ابتعاده سَمع أباه٠:

٠-٠-٠-٠حيًا يا سالم٠٠ حيًا٠-٠-٠

فَهم سالم بأن أباه لن يوافق على الخُسارة٠٠ لن يكون راضيًا بأن يَخرج بعد كُل تلك السنوات خاسرًا٠٠ خَرج سالم فدخلت زينب زوجة حسن٠٠ وَجدته مُطرقًا رأسه إلى الأرض٠٠ شاعرًا بالفزع مما سمع عن أهل القرية٠٠ اقتربت منه٠:

٠-٠-٠-٠الآن يا حسن٠٠ بعد كُل تلك السنوات٠-٠-٠

٠-٠-٠-٠إنه أغبى من فعل هذا يا زينب٠٠ أغبى من أن يُحرض القرية كُلها ضدي٠-٠-٠

٠-٠-٠-٠لكنه فعل٠٠ حرض القرية بأكملها ضدك٠-٠-٠

٠-٠-٠-٠ما الذي يجب علي فعله٠؟!٠-٠

لم تَكن تعرف٠٠ لقد نجحت في خداعه كُل تلك السنوات٠٠ هل هذا الوقت المُناسب لإخباره بالحقيقة٠؟!٠ لإخباره بأنها العدو الحقيقي له٠!٠٠ شعرت بأنه ليس وقتًا مُناسبًا٠٠ يجب أن تجعله شاعرًا بالخسارة٠٠ وتحث به روح الاستسلام كي لا يَخرج مُنتصرًا٠:

٠-٠-٠-٠كم رجل لديك يا حسن٠؟!٠-٠

٠-٠-٠-٠قرابة مئة شخص بالقصر كُله٠٠ والمسؤولون عن حراسة

القصر خمسة وسبعون شخص-.-.

-.-.-.وكم رجل بالقرية.؟!. كم شخص سيأتي الآن للقتال ضد رجالك.؟!.-.

-.-.-.لا أعلم.. لا أعلم.. لكنه ضِعف هذا العدد ثلاث أو أربع مرات-.-.

ابتسمت بداخلها.. لقد انتصرت في أعماقها الدفينة.. عندما وَجدت تلك النظرة بعينه عَلمت تمام العلم بأنه قد هُزم.. هُزم في معركة لم تبدأ أصلًا.. لكن في اللحظة المُقبلة.. وَجدته يَبتسم.. بل ابتسامته تتَحول لضحكة شريرة بحق.. شعرت بالخوف من ضحكاته.. فنظر لها:.

-.-.-.إنه يحاول الانتقام مني بعد كُل ما فعلته لتدميره.. يحاول قتلي كما قتلته في السابق-.-.

اقترب بالمقعد المُتحرك نَحو زينب.. فوجد ياسمين تَدخل أيضًا إلى البهو.. لم يتوقف عن الحديث بل استطرد:.

-.-.-.لم أنس نظرة زوجته.. لم أنساها وهو يُحاول الصراخ.. وأنا أنا من جعلت زوجته تقتل نفسها-.-.

ضحك بشدة.. وأشار على موضع في القصر:.

-.-.-.هُنا.. هُنا تمامًا كان يجثو على قدمه مثل العبيد.. وهُنا -مُشيرًا إلى مكان آخر - كانت تقف.. المُسدس على رأسها.. ثم بوم.. تَنفجر رأسها-.-.

أخذ يُصفق بهدوء وضحكاته لم تهدأ..

-----لقد كان مشهد دراميًا عظيمًا يا زينب.. كان مشهد عظيم والدماء تَخرج من رأسها وتُغرق وجهه.. ليتني عُدت بالزمن حتى أصل إلى هذا الموقف.. لكي أقتله ولا أخطئ هذا الخطأ الجسيم--- ..

كانت تَنظر زينب إلى ابنتها ياسمين.. فرأتها تُرمقه بنظرات بها العديد من الغِل والشر.. لو أتيحت لياسمين الفُرصة لقتلته أمام الجميع.. بنفس الطريقة التي قتل بها زوجة سعيد العراقي الأولى. ..

توقف عن الضحك لـمّا وجد ابنته ياسمين تَنظر له بتلك الطريقة.. فسألها..

-----لماذا تَنظرين إلي بتلك الطريقة يا ياسمين.؟!. أنا أحبك.. لقد فعلت كُل هذا لحمايتكم--- ..

-----لم يُجبرك أحد على قَتل إنسانة بريئة للدفاع عنا أنت وَحش--- ..

احتدت ملامحها غاضبة.. لم يستوعب تلك الجملة وشعر بأنها لم تَخرج من فم ياسمين.. فهو يُحبها بشدة.. يُخفيها عن الأنظار ولا حتى يُحاول أن يُخبر أحد أنها ابنته ليحافظ عليها.. اقترب منها حتى كان في قبالتها..

-----كيف تجرئين على قول هذا.؟---

-----لأنك وَحش ولا تستحق الحياة.. وإن جاءت الفرصة

لأقتلك لقتلتك٠٠٠

تدخلت زينب في مُنتصف الحديث٠٠ لقد فَضحت ياسمين كُل شيء بسبب غبائها٠٠ غضبها لم يعفها من الحديث دون تفكير٠٠ كانت تعلم بأن هذا الرجل ليس أباها٠٠ وأن أباها الحقيقي هو سعيد العراقي٠٠ لكن ماذا لو عَلم حسن العلايلي أن زوجته زينب كانت تخونه مع سعيد؟!٠ ماذا لو عَلم أن ياسمين وعُمر توأمان؟!٠ ماذا لو عَلم أنها قامت بلعب لعبة عليه هي وسعيد العراقي حتى تنبت شجرة العراقي بداخل قصر العلايلي؟!٠

لم يَكن يعلم شيء٠٠ لكنه تعجب مما قالته بل صُدم واندهشت أمارات وجهه٠٠ ثم قال:٠

٠٠٠٠٠كيف لابنة تقول لوالدها هذا الحديث؟!٠ كيـ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

٠٠٠٠٠ماذا لو لم أكن ابنتك أصلًا؟!٠٠

هُنا قُطعت سُبل الحياة بالنسبة لحسن٠٠ ازدردت زينب ريقًا بسبب غباء ابنتها٠٠ بل تيبست أطرافها وشعرت بأنها تسمرت في موضعها٠٠ فأمسك حسن يد زوجته:٠

٠٠٠٠٠ماذا؟!٠ ما الذي تقوله ياسمين؟!٠ أنا لا أفهم يا زينب!٠٠

٠٠٠٠٠لا شيء٠٠ إنها فقط غَضبت لأجل ما قُلته يا حسن٠٠ والخطأ كُله يعود إليك٠٠٠ ٠

هز رأسه نافيًا قولها٠٠ فوجد سالم ومعه رجلًا من الحُراس:٠

٠٠٠٠٠أبي٠٠ عُمر بحوزة رجالنا٠٠ ومعهم فتاة قالوا أن عُمر كان

عندها قبل دقائق من فقدانه للوعي٠٠ ٠.

أشار له بأن يَخرج وأنه سيتبعه٠٠ كان العرق يتصبب من جبهة زينب٠٠ أما ياسمين فلم تُحرك ساكنًا ولم يَرف لها جُفن٠٠ كانت قوية ولم تهدأ للحظة٠٠ إن هذا الرجل قاتل٠٠ سفاح٠٠ قَتل العديد من الأبرياء٠٠ تَحدث حسن بلهجة غاضبة٠:٠

٠٠٠٠أنا لا أفهم شيء٠٠ أخبريني يا ياسمين٠!٠٠

أدركت ياسمين بأن مُخططهم بالكامل سوف يُفضح إن أخبرته الحقيقة٠٠ فقالت له بهدوء٠:٠

٠٠٠٠آسفة٠٠ لم أكن أقصد ذلك التطاول٠٠ ٠.

فأمسكها من معصم يَدها حتى تَنظر له٠٠ نَظر في عينيها شاعرًا أن هُناك شيء ما تُخفيه٠٠ لكن خوفه مما قد يَحدث هو المُسيطر الآن٠٠ تَرك يدها ثم قال بهدوء مُصطنع٠:٠

٠٠٠٠حسابنا لم ينته٠٠ لكنني الآن عِندي ما يُهمني أكثر من هذا الهراء٠٠ ٠.

خَرج حسن من البَهو حتى أصبح في الحديقة الخاصة بالقصر٠٠ فوجد سالم يقف على الجانب الأيمن من الحديقة الواسعة٠٠ وأمامه عُمر وبجواره ٠(٠شهد٠)٠٠ لم يَكن المشهد غريبًا على عينه٠٠ بل حدث الأمر ذاته مُنذ خمسة وعشرون عامًا لما كان سعيد أمامه٠٠ وبجواره زوجته ٠(٠فاطمة٠)٠٠ ما أشبه اليوم بالبارحة٠!٠

تَحرك المقعد حتى وَصل إلى الحديقة٠٠ فَوجد عُمر مغشيًا

عليه٠٠ والفتاة موضوع على عينيها عِصابة ليمنعوها من الرؤية وفمها أيضًا٠٠ كانت تبكي٠٠ لم تكن تعرف ولا تفهم أي شيء٠٠ كُل ما حدث أنه بمجرد نزول عُمر تبعه هؤلاء الأشخاص وكسروا الباب٠٠ ثم وضعوا العِصابة على عينيها ولصقوا فمها لتمنع الحديث والصراخ٠ ٠

كانت التاسعة مساءً٠٠ والأجواء تزداد ترقب وخوف٠٠ حتى الجو ذاته كان باردًا للغاية٠٠ في خارج القصر كانت الأجواء هادئة مما يدل على أن الجمع لم يَصل بَعد٠٠ ما بعث الطمأنينة في قلب حسن٠ ٠

بإشارة من يَد سالم٠٠ جعل واحد من الرجال يَسكب كمية كبيرة من المياه على وجهه حتى يستفيق٠٠ لم يستفق من الكمية الأولى لأن الضربة كانت قوية٠٠ واستفاق من ضربة المياه الثانية وبدأ يسعل ويأخذ أنفاسه أشبه بالغريق٠ ٠

كانت عيناه مفتوحتين٠٠ وفمه أيضًا٠٠ كان يستطيع رؤية ما يحدث فأول شيء رآه هو أنه بالقصر٠٠ ومعه سالم وحَسن٠٠ وخلفه رجلان ضخمان٠٠ وأمامه شَهد٠٠ لا تستطع التَحدث٠٠ هُنا لم يَشعر بأي شيء إلا نهوضه وغضبه العارم٠٠ ففاجأه واحد من الحُراس بضربة في قدمه جعلته يَرقد على الأرض ولا يستطيع القيام٠ ٠

٠٠٠٠لم أحب أبدًا أن تكون تلك نهاية علاقتنا٠٠٠ ٠

قالها حَسن إلى عُمر٠٠ واقترب من ناحيته٠:

٠٠٠٠كما قُلت لأبيك في السابق٠٠ لا تعبث مع الغرباء أبدًا٠٠٠ ٠

لم يَكن عُمر خائفًا٠٠ بل كان مَرعوبًا٠٠ أوصاله ترتعد شاعرًا بأن حياته ٠٠٠ستهشم للأبد٠٠٠ كما وصف أبوه في المُذكرات٠٠ في تلك اللحظة فقط شعر بما شعره أبوه عندما كان مُقيدًا وزوجته أمامه٠٠ شعر بأن الحياة لا تهون٠٠ وأن خوفه الآن لن يَنتهي أبدًا٠ ٠٠

تَعلم من خطأ أبيه٠٠ وبدأ يُصدر لهم إحساسه بالبرود واللامبالاة٠٠ فأثار غيظ حَسن وسالم معًا٠٠ ابتسم حسن وهو يستوعب ما يحاول عُمر فِعله٠٠فأشار إلى سالم كي يبعد العِصابة من على عين شَهد٠٠ ونَظر إلى الحُراس ليكبلوا حركة عُمر جيدًا٠ ٠٠

٠٠٠٠٠لقد جعلت زوجة سعيد تقتل ذاتها في الماضي٠٠٠ ٠٠

فدنا منه أكثر٠٠

٠٠٠٠٠أما الآن٠٠ سأجعل ابني العزيز يتلذذ بجسد محبوبتك الغالية٠٠٠ ٠٠

فرقع بإصبعه٠٠ وحَدث أسوء شيء يَخطر على باله٠٠ وَجد شهد تَنظر له٠٠ نَظرة كالتي نظرتها فاطمة لسعيد مُنذ خمسة وعشرون عامًا٠٠ اقترب سالم مِنها ثم مَزق ملابسها تمامًا٠ ٠٠

في تلك اللحظة لم يَعد عُمر كما كان٠٠ ظل يَصرخ حتى اقتربت رأسه من الانفجار بسبب احمرارها الشديد٠٠ تمكن الحُراس من اعتصار جسده لمنع حركاته المُفاجأة وزمجرته العالية فجحظت عيناه لدرجة غريبة٠٠ كان مصدومًا لأبعد حد وهو يرى سالم

يغتصبها٠٠ يُقبل جسدها بشراسة وهي تُحاول ضَربه وإبعاده٠٠ حاولت أن تضربه بقدمها لكن الحارس جاء ليكبل حركتها تمامًا٠ ٠

خَلع سالم بنطاله حتى أصبح نصفه السُفلي عاريًا٠٠ وبدأ الاغتصاب الفعلي٠٠ حتى أن صوتها لم يعد موجودًا من شدة الصراخ٠٠ كان يتحسس جسدها بشهوة حيوانية٠٠ وأبوه يَنظر له بفخر٠٠ الانتقام المكبوت بعينه هو الآخر يَلمع٠ ٠

ظل يُكذب ما يراه حتى توقف سالم عما يفعله٠٠ صمتت من الصدمة٠٠ الدماء أغرقت ملابسها المقطعة٠٠ كانت مصدومة تمامًا مما حدث٠٠ وعُمر لم يتوقف عن الصراخ٠٠ مُحاولًا إفاقتها من الصدمة كي تفعل أي شيء للهرب أو ضرب سالم٠٠ لكنها كانت واهنة٠٠ تنظر إلى الأرض٠٠ تُحاول تغطية جسدها العاري٠٠ فتوقف عُمر عن الصراخ٠٠ توقف عن الحديث والسب٠٠ توقف عن كُل شيء٠ ٠

كانت دموعها تَخرج ببطء٠٠ دون أي رد فعل منها٠٠ كانت تعلم بأن مُستقبلها قد دُمر٠٠ حياتها قد انتهت إلى الأبد٠٠ فنظرت إلى عُمر وجدته يَبكي٠٠ سبب بُكاءه معرفته أن ٠(٠شهد٠)٠ لم تعد أبدًا كالسابق٠٠ ولن تعود٠ ٠

ارتدى سالم ملابسه وتقدم ناحية عُمر٠٠ وأخبره٠:٠

٠-٠-٠-٠تلك العاهرة أروع مَا لمسها ٠(٠ ٠. ٠. ٠. ٠. ٠)٠-٠ ٠.

لم يَقو عُمر على الرد٠٠ لكنه نَظر له نَظرة كَفيلة بردٍ قوي٠٠ رد جعله يَصمت ويبتعد٠٠ لقد توعد عُمر بأن انتقامه الحقيقي ليس

من حسن.. إنما من سالم.. .

.*. .*. .*.

تَوقف الشيخ بالمسيرة.. وشعر بأن عُمر لم يعد موجودًا.. فأوقف الجميع بكلمة واحدة:.

.....قِفوا.. لا يتحرك أحد..... .

تَوقف الحَشد بالكامل.. فبدأ يَبحث عن عُمر بناظريه.. بدأ يُنادي لكن لم يَرد أحد عليه.. شعر بأن هُناك لعبة أخرى أو الخطة التي رَسمها حسن العلايلي تبدأ.. فتوقف قبل القصر بشارعين:.

.....لقد خَطف حسن العلايلي عُمر.. خَطفه ليساومنا ويجبرنا على طاعته..... .

بدأت الهمسات والأحاديث الجانبية لأهل القرية.. كُلهم متعجبون من فكرة أن عُمر خُطف من وَسط رجاله دون أن يَلحظ أحد.. لكن لا أحد يعلم بأن عُمر قد خرج عن المسيرة قبلًا لمقابلة شهد وتم خَطفه هُناك. .

كان الشيخ خائفًا بشدة على عُمر.. وبتلك الطريقة مُخططه كُله سيُهدم.. لكنه توقف لدقيقة يُفكر فيما سيفعل.. هل يتقدم إلى القصر ويعرض حياة عُمر إلى الخطر؟!. أم يَنتظر حتى يظهر حسن العلايلي مُتحدثًا عن شروط استسلام الشيخ؟!.

.....إن تقدمنا خطوة الآن فستشكل خطرًا على حياة عُمر.. نحن لا نعرف أين هو في القصر بالتحديد..... .

خَرج شاب من الحَشد،، وقال،:

،،،،يجب أن نتقدم يا شيخ،، وعُمر إن كان بالداخل لن يقتلوه،، ونحن الغالبية العظمى فحراس القصر قِلة،، ..

فراقت للشيخ الفِكرة،، أن يتقدم بالرجال نَحو القصر،، يَقتلون كُل من به من حُراس،، وبالتالي يستطيعون الدخول بكل بساطة للوصول إلى عُمر وإبعاده عن أي خَطر،، ابتسم الشيخ،:

،،،،إذًا لنذهب إلى القصر،، فليجهز الجميع أسلحته،، ..

.*. .*. .*.

في الشُرفة وقفت ياسمين ومعها أمها زينب لرؤية إن كان الحشد اقترب من القصر أم لا،، لم تعلم لِمَ كان الأمر يخيفها لتلك الدرجة،، أن أباها قد اقترب من العودة هذا شيئًا ليس بهين،، ..

،،،،لقد اقترب من العودة يا أمي،، ..

أومأت زينب برأسها مُبتسمة،، لكن هُناك أسرار كثيرة وراء زينب،، حتى ياسمين ذاتها شعرت بهذا!،، فأمها تعلم العديد عن سعيد العراقي،، تعلم العديد عن موعد عودته،، لكنها لن تخبرها بهذا،، ..

أثناء وقوفهما في الشُرفة وجدا الحشد يَقترب من القَصر،، ثم بدأ صوت إطلاق النيران،، وبدأت الرجال تتساقط كالذباب،، صوت الرصاص كان عاليًا لدرجة مُريبة،،البنادق الآلية والمُسدسات لم تتوقف عن الإطلاق،، ..

دَخلت زينب وابنتهامسرعتين إلى القَصر حتى تُحاول ياسمين فَتح البوابة للرجال٠٠ على حسب الخُطة المرسومة٠٠ دور ياسمين البارز أن تَنزل إلى الأسفل وتفتح البوابة للرجال٠٠ أخذت ياسمين مُسدسًا ومعها خزانتي رصاص٠٠ ثم نزلت إلى أرض المعركة٠ .٠

.*. .*. .*.

عُمر كان مَصدومًا من هول ما حدث٠٠ أما هي كانت تُحاول أن تلملم شُتات ذاتها الضائعة٠٠ وخوفها مما هو قادم٠٠ كان عُمر فاقدًا للأمل٠٠ حتى رغبته في الانتقام قد دُمرت بسبب ما حدث٠ .٠

سَمع صوت إطلاق النيران في الخارج٠٠ الناس تهتف بحماس بالغ٠٠ وحُراس القصر يسقطون تباعًا حتى أصبح عددًا هينًا من يُحافظ على القصر٠ .٠

---٠٠٠إنهم يقتلون رجالنا يا أبي٠٠يقتلون رجالنا---٠ .٠

كان سالم خائفًا٠٠ بل يرتعد من شدة الخوف٠٠ وحسن يُفكر فيما سيفعله٠٠ هل يَهرب هو وابنه ويختبآن في المخبأ السري٠؟!٠ يتركان كُل ما حولهما ويتركان عُمر الرهينة الوحيدة فقط لأجل نجاتهما٠؟!٠ كان خائفًا هو الآخر وشوش ذلك الخوف على عقله٠ .٠

بدأ الحُراس الذين يُكبلون عُمر ينظرون لبعضهم٠٠ فحياتهم أصبحت على المَحك ولا يودون المُخاطرة٠٠ لم يَكن عُمر حافلًا بأي شيء يَدور٠٠ عدا شيء واحد٠٠ هو قَتل سالم٠٠ كُلما هدأت

رغبته في الانتقام٠٠ كُلما نظر إلى شهد الناظرة إلى الأرض٠٠ لا تستطيع النَظر في عينه ولا عين أي شخص بعد حدوث هذا الشيء٠٠ كُلما اشتعلت نيران الانتقام والرغبة بتمثيل جُثته٠ ٠

في تلك اللحظة وَجد ياسمين تَخرج من القَصر نَحو الحَديقة٠٠ معها مُسدسها٠٠ تَضرب الطلقات هُنا وهُناك٠٠ تصويبها لم يَكن دقيق بل كانت تُطلق الرصاص في قدم أو ذراع الشخص المُراد قتله٠ ٠

كانت تَضرب الحُراس الواقفين على البوابة٠٠ رآها سالم فتعجب بشدة٠٠ لماذا تَضرب رجالنا٠؟!٠ كان يتساءل ولم يستطع الوصول لإجابة٠٠ اختبأت هي حتى لا يستطيع أحد الوصول إليها٠٠ ثم جاء النصر٠ ٠

فُتحت بوابة القصر على مصراعيها٠٠ كُل الحُراس إما ماتوا أو استسلموا٠٠ بدأ رجال القرية يصرخون من السعادة٠٠ يَقتلون كُل من أمامهم٠٠ هرب الرجال الواقفين مع حسن وسالم٠٠ حتى كانا وحدهما تمامًا٠٠ ارتعد حسن وسالم من شدة الرعب٠٠ فرّ سالم وهو يدفع مِقعد أبيه إلى الأمام٠٠ يُحاول سالم الهرب وهو يَدفع أباه على المقعد راكضًا كي لا يلحقه أحد٠٠ فكان يعلم إن ترك أباه لهم سيقتلونه٠ ٠

كان الحَشد والثوار على عائلة العلايلي يقتربون من حسن وسالم٠٠ نَظر سالم خلفه وهو يَدفع المقعد فسقط هو وأبوه على الأرض٠٠ لم يستطع أبوه النهوض والجلوس مُجددًا لأنه مشلول عن الحركة٠٠ نَظر حسن إلى ابنه فوجده يُخبره٠:٠

---سامحني يا أبي، سامحني--- .

وفرّ وَحده بعيدًا، رَكض وقلبه يَخفق بشدة، أما حسن فكان على الأرض لا يقوى على النهوض، ظل يَصرخ باسم (سالم)
لكن سالم لم يلتفت له، لم يلتفت ولم يَستطع حتى أن ينقذ أباه، إما يموت هو وأبوه، أو يموت أبوه ويهرب هو!

كان عُمر على الأرض، مازال مَصدومًا، لكنه فجأة استفاق وشعر بأن الانتقام قد حان موعده، نَهض من موضعه، خَلع ملابسه ووضعها على شهد، ثم جعلها تَنهض هي الأخرى ووضع كتفها على رَقبته حتى يجعلها تَصل منزلها سالمة .

الشيخ كان واقفًا بعيدًا عن العامة، بالتحديد خارج القصر، اقتحموا القَصر وهو بعيد عنهم، ليس لخوفه من القتل إنما لضعفه عن القتال ووهنه الشديد .

ياسمين خَرجت من القَصر بعد الاقتحام، خائفة والدماء تُملأ ملابسها ووجهها، لقد قتلت العديد من حُراس القصر، لم تَشعر بالندم، فهي لم تقتل أحد من قبل، لكنها شعرت بأن النصر يقترب، وأن الليلة هي الليلة الموعودة

تَوقف عُمر أمام مَنزل شهد، الجميع يَنظر لهما ويهنئون عُمر على النصر العظيم، لقد اقتحم رجال القرية القصر، لكنه لم يُبال، لم يُبال على الإطلاق، نظر لها:

---شهد، أرجوكِ انظري إلي--- .

لم تَقو على النظر، أغمضت عينيها وبكت في ضعف شديد،

وضع يده على رقبتها حتى يرغمها على النظر.. فنظرت له وعيناها مليئتان بالدموع والعجز..

.....أقسم أنني لن أعود إلا وحقك بين يدي..... .

ثم تركها.. تركها وذهب.. كان عدد الرجال مَهولًا لدرجة أن هُناك مُسدسات و بنادق على الأرض.. في تلك اللحظة أخذ عُمر بندقية آلية من الأرض.. ثم نَظر أمامه نَحو الطريق المليء بالأشخاص الذين ينظرون إليه.. .

في النوافذ كان الأطفال.. والنساء.. ينظرون إلى عُمر.. الشاب المُراهق ذو السبعة عشر عامًا يحمل بندقية آلية للقتل.. كُلهم أيقنوا أنه أصبح شخصًا لم يعد هو.. شخصٌ قاتل.. شخصٌ لم يعد في عينيه سوى الانتقام الشرس من قتلة روحه.. .

أصوات طلقات النيران لم تتوقف حتى هذا الحين.. الجميع يضرب النيران في كُل مكان بالقصر.. في كُل شخص من حُراس القصر المقتولين بالفعل.. أما زينب فقد خرجت من القصر سالمة.. لم يصيبها مكروه.. لتكمل ما بقي من الخطة.. لتذهب نَحو بيت عُمر..!

توقف عُمر أمام القصر.. وبدأ يصرخ وبيده البندقية الآلية..:

.....خُذوا كُل شيء في القصر.. واقتلوا أي شخص لم تروه من قبل..... .

أخذ عُمر نفسًا عميقًا.. ثم دَخل القصر بخطوات واثقة.. يَضرب كُل الحراس حتى من أعلن استسلامه.. قَتل خمسة حُراس من

القصر.. بل ويبحث عن المزيد لقتله.. جاءه شخص من رجال القرية..:

.....نحن لم نَجد سالم.. حسن بحوزتنا لكننا لا نستطع إيجاد سالم..... .

كان يعلم أين يجده.. يعلم أين مخبأه.. نَظر عُمر له..:

.....سيكون في المخبأ السري.. أحضر رجالًا وهيا بنا..... .

رآه الشيخ من على بعد.. فدَخل القصر.. سعيدًا.. شاعرًا بالنصر للمرة الأولى مُنذ زمن بعيد.. ثم نَظر إلى عُمر..:

.....يا عُمر..... .

صاح فيه.. فنظر له بوجهٍ مغطى بالدماء.. مُنشغلًا تَفكيره بالانتقام من سالم ويده ترتعش من شدة الحِمل الموضوع على عاتقيه.. ابتسم الشيخ.. حاملًا خبرًا عتيقًا.. خَبرًا اشتاق وتَدرب مرارًا على طريقة قوله له..:

.....إن أباك بالبيت يَنتظرك..... .

.*. .*. .*.

## (٢)

مُتلهفًا نَحو المعرفة.. .

مُشتاقًا لرؤيته.. .

مُهرولًا نَحو الحقيقة٠ ٠٠

يَركض عُمر بُسرعة شديدة تاركًا الانتقام وتاركًا كُل شيء فقط حتى يَصل إلى المَنزل الذي فيه يَجلس أبوه٠٠ أصوات النيران لا تهدأ أبدًا٠٠ لكنه أخيرًا لا يَشعر بالإزعاج بسبب الأصوات٠٠ بل يشعر بالانتصار الحقيقي والسعادة المُطلقة٠!

في الدقائق القادمة سيرى سعيد العراقي٠٠ الأسطورة التي طالما تحاكت عنها القرية بكل من فيها٠٠ مُنذ أن جاء الحُكم حتى هَرب وفر من العدالة٠٠ في الدقائق القادمة سيحتضن أباه كما لم يحتضن أحد من قبل٠٠ في الدقائق القادمة سينظر في وجه أبيه الحقيقي٠٠ لن ينظر في صوره مُجددًا٠ ٠٠

ياسمين ألقت المسدس في أحد جوانب القرية٠٠ وَجدت كُل الحَشد يبحث عن سالم٠٠ وحسن على الأرض مُكبلًا٠٠ كانت تعلم بأن سالم يختبئ في المخبأ السري٠٠ فنظرت لهم وشرحت كيفية الوصول إلى البوابة الخلفية للمخبأ٠٠ فالمخبأ له بوابتان واحدة من القصر وواحدة أخرى خارجه٠٠ كانوا متعجبين من تلك الفتاة٠٠ لم يروها من قَبل لكنهم رأوها تَقتل حُراس القصر معهم٠٠ نَظرت أمام القصر فوجدت الشيخ واقفًا بشموخ وهيبة٠٠ اقتربت منه وسألته٠:

٠-٠-٠-أين أمي يا شيخ٠؟!٠٠ إنها كانت هُنا٠!-٠-٠

ابتسم الشيخ بلامبالاة٠٠ ثم قال لها٠:

٠-٠-٠-الحقيقة تُعرف الآن-٠-٠ ٠٠

واستدار الشيخ ذاهبًا نحو منزله فتبعته٠٠ تَلح على رأسه لتعرف أين أمها٠:

٠٠٠٠٠يا شيخ أخبرني أين هي٠٠ أريد رؤيتها ومعرفة أين ذهبت٠؟ ٠!٠ لقد وعدتني بأنها ستشرح لي كُل شيء بمجرد أن ينتهي الانتقام٠٠٠ ٠.

ثم نَظر لها٠٠ بملامح لم ترها قط٠:

٠٠٠٠٠ومن قال لكِ أن الانتقام انتهى٠؟٠!٠٠

أخذت نفسًا٠٠ خائبة الآمال٠٠ فأخبرها لينتشلها من الحُزن٠:

٠٠٠٠٠إنها في بيت عُمر٠٠ يَجدر بك الذهاب الآن٠٠ فالحقيقة على وشك الظهور٠٠٠ ٠.

ابتسم لها٠٠ ثم استدار ذاهبًا إلى بيته٠٠ نَظرت ياسمين إلى القصر مُجددًا٠٠ فوجدت صوت الرُصاص هدأ تمامًا٠٠ وسمعت صوت العديد من الناس يهتفون٠:

٠٠٠٠٠العراقي٠٠ العراقي٠٠ العراقي٠٠٠ ٠.

كانت السعادة تَقفز من وجوههم٠٠ فالكُل الآن أصبح سواسية٠٠ لم يعد هُناك كبيرًا على القرية مُجددًا٠٠ ابتسمت ياسمين٠٠ ثم سارت إلى مَنزل عُمر٠٠ فكما قال الشيخ الحقيقة على وشك الظهور٠ ٠.

دَخل عُمر المَنزل٠٠ فوجد سيدة غريبة الملامح٠٠ كَبيرة في السن٠٠ لكن وجهها يشع طيبة٠٠ بمجرد أنرآها حتى شعر بأنها

قريبة من قلبه للغاية٠ ٠

مهلًا٠٠ تلك السيدة رآها من قبل٠!

صوت أنثوي يتحدث معه بصوت خفيض٠٠ دون أي خُبث من عُمر في أن يتجسس ويسترق السمع٠٠ دخل إلى الصالة ليجد جمال جالسًا مع امرأة في العقد الخامس من عُمرها تقريبًا٠٠ وبمجرد دخول عُمر إليهما ارتبكت السيدة ثم ابتسم الشيخ٠٠ وقال بصوت عال٠:

٠-٠-٠حسنًا٠٠ من الممكن أن تذهبي الآن وبإذن الله ستُحل مشكلتك في القريب العاجل٠- ٠

تلك السيدة على معرفة وطيدة بالشيخ جمال٠٠ لقد جاءت إلى منزله من قبل٠!٠٠ تعجب عُمر٠٠ لكنه وجدها تبتسم بشدة٠٠ بل عيناها تقترب من البكاء٠٠ لكنه صمت ولم يعط أي انطباع٠٠ شعوره أخبره بأن تلك السيدة هي أمه٠٠ لكنه لم يرد أبدًا أن يفصح عن هذا الشعور٠٠ فسألها٠:

٠-٠-٠لقد قال لي الشيخ أنني سأجد أبي هُنا٠! أين أبي٠؟٠!٠-٠

ابتسمت السيدة٠٠ وبدأت دموعها تُذرف بهدوء٠٠ فأخبرته٠:

٠-٠-٠أنا زينب٠٠اسمي زينب٠٠ وقد جئت اليوم لأخبرك بحقيقة الأمر٠- ٠

في تلك اللحظات٠٠ تقدم الشيخ جمال بخطوات سريعة نَحو مَنزله٠٠ مُبتسمًا شاعرًا باكتمال نفسي وذهني لم يشعر به مُنذ عقود٠٠ لقد انتهى كُل شيء تقريبًا٠ ٠

لم يَحفل عُمر بما قالته.. فاستطردت زينب:.

-...-ألم تسأل نفسك يومًا.. أين هي أمي؟!. لماذا لم يحك أبي عنها في المُذكرات؟!. لماذا لم يخبرني أبي كُل شيء في المُذكرات؟!. لقد اختار أشياء مُحددة فقط للتحدث فيها.. هل كلامي صحيح؟!-..

أومأ برأسه في حيرة من أمره.. ابتلع ريقًا.. فوجد ياسمين تطرق باب المنزل.. فَتح لها الباب وسمح لها بالدخول.. أغلقت الباب خلفها ونظرت إلى أمها:.

-...-ما الذي تفعلينه هُنا يا أمي؟!-..

تأكد إحساس عُمر بأن تلك السيدة هي أمه.. لكنه لم يهتز.. لم يشعر بأن أمه ستشكل فارقًا في حياته.. حاول التماسك وأن لا ينهار.. حاول إظهار نفسه كشخص لا يبالي كي لا تهتز مشاعره.. حاول أن يُبعد عن رأسه فكرة أن يحتضنها.. أن يشعر بذلك الشعور الذي حدثته شهد عنه سابقًا.. كُل ما يوده الآن هو معرفة الحقيقة.. أين أبوه؟!.. فقال عُمر بنفس متهدج:.

-...-أنا لا أعرف أي إجابة لهذه الأسئلة-.. .

دَخل الشيخ مَنزله بهدوء.. وَضع جلبابه الفضفاض على المقعد.. بدأ ينظر إلى جنبات المنزل المتشققة والتي قاربت على الانهيار.. فابتسم حتى تحولت إلى ضحكات تحتوي سعلات بسيطة.. اقترب من الطاولة.. ثم بدأ يَكتب على ورقة بخط مُهترئ. .

على الجانب الآخر.. لم يَستطع عُمر فِهم كُل شيء.. بل لم يستطع فهم أي شيء.. فنظر إلى ياسمين كي تتحدث لتخفف عنه الحِمل قليلًا..:

---..يا أمي.. لقد أخبرتني بأنكِ ستقولين لي كُل شيء.. أرجوكِ أخبريني.. أين أبي..؟!..--

انتهى الشيخ من الكتابة على الورق.. وَضع القلم كما هو.. ثم نَظر من النافذة وسَمع صوت ألعاب نارية في القرية احتفلًا بسقوط حسن العلايلي وابنه.. .

---..أنت تعلم أن الشيخ جمال هو أكبر من عاش على هذه القرية.. مضبوط..؟--

أومأ عُمر برأسه.. فسألته أمه بهدوء..:

---..وتعرف أنه لم ير أحد سعيد العراقي.. وأيضًا لم يعرفه أحد كالشيخ جمال.. مضبوط..؟!..--

أومأ مرة أخرى.. ثم اقتربت منه..:

---..وبسبب هذا.. أقول لك أن الشيخ جمال هو سعيد العراقي--- .

في الوقت ذاته.. كان سعيد العراقي يَقف في مَنزله.. يَنظر من النافذة ويسمع صوت الألعاب النارية.. مُغنيًا بصوتٍ أجش..:

---..أنا هويت وانتهيت.. وليه بقى لوم العزول..؟!..--

.*. .*. .*.

# (٣)

في الثانية عَشر مساءً٠٠ وأثناء تَحول اليوم إلى الثامن عشر من أبريل٠٠ دَخلت أهالي القرية إلى المخبأ السري الموجود به كُل الأسلحة والأموال التي تمنوها من قلوبهم٠٠ مبلغ لم يَحلم واحد منهم أن يراه في حياته٠٠ وفي نهاية المخبأ كان سالم جاثيًا على رُكبتيه٠٠ مُمسكًا بندقية آلية٠٠ لكن بسبب كُل هؤلاء الناس لم يستطع قتلهم٠٠ فكانوا هم الأغلب٠ ٠

ترك سلاحه أرضًا ورفع يديه باكيًا٠٠ كان يعلم بأن تلك هي نهاية حياته٠٠ وَجد كُل الحشد الموجود بالمخبأ يترك سلاحه٠٠ ويتقدمون بخطوات نَحوه٠٠ نظراتهم كانت تدل على شر حقيقي٠٠ ثم تدافعوا نَحوه وأخذوا يضربونه في كُل موضع بجسده٠ ٠

العديد من الرِجال كانوا يضربونه بأقدامهم على وجهه٠٠ بأقوى ما عندهم٠٠ وكأن الانتقام الحقيقي ليس بين عُمر وسالم٠٠ أو سعيد وحسن٠٠ إنما بين القرية والعلايلي٠ ٠

كُسرت رقبته وفقئت عينه اليُسرى وبدأت دماؤه تتساقط في المخبأ بغزارة٠٠ عِندما قُتل بدأت الأهالي في الهتاف٠٠ بل أخذوا جثته معهم إلى الأعلى كي تظل عِبرة٠٠ لمن لا يَعتبر٠!

.*. .*. .*.

في الثانية عَشر مساءً٠٠ كان عُمر وياسمين في مَنزل الشيخ جمال أو سعيد العراقي٠٠ لمحاولة إيجاده والتَحدث معه كي

يُبرر أو ينفي الكلام الذي قالته أمهما زينب٠٠ ياسمين لم تَكن في حالتها الطبيعية٠٠ بل كانت غاضبة٠٠ مُنزعجة٠٠ فإن لم تَغضب وتنزعج الآن متى ستغضب٠؟!٠ فلقد شعرت بأن حياتها ذهبت هباءً وعبثًا!٠

أما عُمر٠٠ فلم يستطع التفكير في شيء حتى يرى ويَسمع الشيخ جمال يُبرر تلك الأقاويل٠٠ لكنه أثناء الفحص في المنزل لم يجده٠٠ فشعر أن ما قيل كان صحيحًا٠ .٠

طيلة الوَقت كان بينهم٠٠ كان يسمعهم ويراهم٠٠ لم يختف عن أنظار القرية طيلة الوقت٠٠ التفكير وَحده في هذا الأمر يجعله يَجن٠٠ يجعل عقله مُترنحًا٠٠ أثناء التدقيق أكثر وَجدت ياسمين ورقة طويلة٠٠ وَرقة مَكتوب في أعلاها٠:٠

٠--٠٠٠الورقة الأخيرة٠-- .٠

نَظرت إلى عُمر٠٠ أمسك الورقة وبدأ يدقق في الخط٠٠ إنه نفس الخَط الموجود في المُذكرات٠٠ نفس طريقة الفصل بين الحروف ونفس سوء الخط٠٠ ثم بدأ يَقرأ بصوتٍ عال حتى تسمعه ياسمين٠:٠

٠-- الورقة الأخيرة٠ .٠

بُني٠٠ بُنيتي٠٠الآن أنتما سويًا٠٠ تقرآن كلماتي المُزينة بعدد لا بأس به من الإجابات التي طالما سألتموها لنفسيكما كُل ليلة٠٠ كُل ساعة٠٠ كُل دقيقة٠ .٠

أنا سعيد العراقي٠٠ نعم يا عُمر٠٠ فالشيخ جمال؛الرجل الضعيف

ذو الظهر المَحني٠٠ بالعصا القصيرة التي يتكئ عليها٠٠ هو سعيد العراقي٠٠ الزمن قادر على كُل شيء وقادر على تغيير ما هو غير قابل للتغيير٠ ٠

سأشرح لكما من البدء٠٠ مُنذ لحظة هروبي من القرية٠٠ كان معي مَحفوظ٠٠ ذلك الرجل الذي خبأني في مكانٍ ما بالقاهرة حتى لا تستطيع الشُرطة الوصول إلي٠٠ بعد أن أصبحت مَطلوبًا في كافة الأماكن٠٠ هذا المكان الدافئ كان في بُناية ضخمة٠٠ هذا المكان الذي ذهبت له أنت ومحمود الذي كان يَدعي أنه أخيك٠٠ هذا المكان هو الذي ظللت به لمدة عام كامل٠٠ عام كامل غيرت فيه هذا المكان٠٠ اشتريت جرامافون٠٠ ولوحة لفتاة عارية٠٠ اللوحة أعجبتني لدرجة لم يتخيلها أحد٠٠ وسرير مُريح أكثر من السرير الذي ابتاعه لي محفوظ٠٠ بالطبع تسأل نفسك الآن٠٠ كيف لي بهذه الأموال٠؟!٠ لقد تركوني يوم المجزرة دون أي أموال٠٠ هُنا يأتي الجُزء الثاني٠ ٠

قِصة الشيخ جمال٠٠ لقد كان مكتوبًا في مذكراتكما أن الأخ الأصغر لزوجتي الأولى ٠(٠فاطمة٠)٠ هو الشيخ جمال٠٠ في الحقيقة لم يَكن اسمه جمال٠٠ بل كان حَمزة٠٠ حَمزة الراهب٠٠ زوجتي اسمها الحقيقي كان فاطمة عبدالعزيز الراهب٠٠ وليس فاطمة عبدالعزيز الريس كما كتبت في المُذكرات٠٠ حَمزة كان هو الوحيد الذي يعلم مكاني٠٠ الوحيد الذي يعرف الحقيقة٠٠ في هذا المكان كان يأتي يومًا بعد يوم ويمدني بالأموال٠٠ فكان تاجرًا في الخُردة وحالته المادية كانت جيدة إلى حدٍ كبير٠ ٠

لذا لا يوجد من يُدعى جمال٠٠ لقد اختلقت جمال هذا كي

أستطيع الرجوع إلى القرية مُجددًا٠٠ في العام الذي كُنت بعيدًا فيه عن القرية٠٠ قاطنًا بالبناية في القاهرة٠٠ بالتحديد في مكان الآن يُدعى مصر الجديدة٠٠ تغيرت ملامحي٠٠ أو أنا من غيرتها٠٠ أنبت لحيتي٠٠ وشعري أصبح أبيضًا٠٠ فقمت بحلق شعري تمامًا تركت لحيتي كما كانت حتى لا يستطع أحد ملاحظة شكلي٠٠ وبعد أن كان ظهري شامخًا وصلبًا٠٠ أصبح مُنحنيًا لأقصى حد٠٠ فتغير شَكلي بدرجة معقولة٠٠ لكن من يُدقق في ملامحي سيعرف أنه أنا٠٠ سعيد العراقي٠ ٠

عندما دَخل محفوظ علي لم يعرفني٠٠ فشعرت بأن الوقت الآن قد حان للعودة إلى القرية٠٠ والبِدء في رحلتي٠ ٠

وَصلت إلى القرية٠٠ ابتعت عصا كي أتظاهر بالعجز٠٠ وأي أحد كان ينظر لي في وجهي حاولت قدر الإمكان أن أطرق رأسي في الأرض٠٠ من كان يعرف أن صاحب الوَجه هو سعيد العراقي كُنت أقتله مُباشرةً٠٠ وهُناك أشخاص كِبار كانوا يعرفون أنه أنا لكن لم يتحدثوا كثيرًا٠٠ كانوا يحبونني٠٠ فإن تحدثوا ستأتي الشُرطة فورًا للقبض علي٠ ٠

كان اسمي في القرية الشيخ جمال٠٠ اختلقت قصة مُزيفة عن حياتي الماضية حتى يُصدق الجميع أنني شيخ٠٠ حَمزة توفي٠٠ شعرت حينها بأنني وحدي تمامًا٠٠ فهذا الرجل أخته قُتلت في سبيلي٠٠ ومع هذا لم يَكن ضدي ولو لوهلة٠!

وبعد مرور عامين في القرية دون أن يعرفني أحد إلا قلة قليلة٠٠ كانت هُناك فتاة جميلة٠٠ كانت في الثامنة عشر من عُمرها٠٠ فتاة تُدعى زينب٠٠ لم تَكن تعرف قصتي٠٠ كانت تعرف بأن

هُناك سعيد العراقي وتعرف حكايته٠٠ لكنها لم تَكن تعرف أبدًا أنه أنا٠٠ لأنها لم تر وجه سعيد العراقي من قبل إلا وهي طفلة٠ ٠

كُنت أشعر بالخزي من نفسي لمّا أراها وأحاول الزواج منها٠٠ كانت تُحبني هي وأنا أعلم هذا٠٠ لكن كيف تُحب شخص أكبر منها بثلاثين عامًا على أقل تقدير٠ ٠

فاجأتني يومًا وأخبرتني أن حسن العلايلي قد طلب الزواج منها٠٠ فشعرت بالغيظ٠٠ شعرت بالكُره أكثر لحسن العلايلي٠٠ وبالطبع لن يَرفض أي أحد من عائلتها٠٠ لأنه كَبير القرية٠!

تَزوجا٠٠ وظللت أنا حبيس بيتي لم أخرج منه إلا للصلاة في المسجد٠٠ أعلم أن علاقتي بالله لم تكن قوية للصلاة في المسجد٠٠ لكنني وبمنتهى القذارة كان ينبغي علي فعل هذا لأن يُصدق الناس أنني شيخ٠٠ حتى أصبحت شيخ القرية بأكملها٠٠ من يحتاجني في فتوى أو أأذن في المسجد٠٠ حتى أصبحت شيخ حقيقي٠ ٠

بعد مرور خمسة أعوام٠٠ وَجدت زينب تطرق بابي٠٠ انتفضت وفتحت لها البيت٠٠ وَجدتها تُلقي في وَجهي صورة لسعيد العراقي٠٠ في هذا الحين عرفت أمكما أنني سعيد العراقي٠٠ وقد وجدت الصورة في القصر٠ ٠

بدأت أقص لها حكايتي٠٠ فأخبرتني بعد انتهائي أنها قصة كئيبة ولا تُوحي إلا بالموت٠٠ فابتسمت لها مُحاولًا تخفيف الآلام على نفسي٠٠ لقد تذكرت كُل شيء بمجرد حكايتي لها تلك القصة٠ ٠

أخبرتني أن حياتها سوداء تمامًا٠٠ وأن في بداية حياتها أنجبت

من حسن لكن الوَلد مات في شهره الثاني٠٠وبعد ذلك أصبح لا يهتم بها ولا يراها إلا كُل يومين أو ثلاثة لمدة نصف ساعة ليلًا لكي ينام معها٠٠ عندما وَجدت تلك الصورة قررت أن تنزل لي٠٠ فعلى كُل الأحوال لا يُراقبها حسن أو أي شخص٠٠ كانت حياتها كئيبة لأقصى درجة٠ .٠

شعرت بأن هُناك خطة جديدة قد بُعثت٠٠ ماذا لو أنجبت ولدًا من زينبليعيش بداخل قصر العلايلي كي يُصبح واحدًا منهم٠٠ ويَقتل حسن عِندما يَكبر٠؟!٠ ويصبح هو كَبير القرية٠!٠

كانت خطة مثالية٠٠ وما ساعدني على هذا زينب ذاتها٠٠ أخبرتني بأنها تَكره حسن وأنها كَرهته أضعاف بعد سماعها لقصتي٠٠ وكانت تعرف أنه ينام مع العديد من الفتيات خارج المَنزل٠٠ عَرضت عليها الخطة٠٠ وأخبرتها أن الحق معي٠٠ ويجب أن نفعل هذا لكي ينتشر الحق بالقرية٠٠ لكن سرًا٠٠ فلو عرف أحد ستكون كارثة حقيقية٠ .٠

كان العائق الوحيد في القصة هو حسن ذاته٠٠ لم تكن سعيدة معه على الإطلاق٠٠ وكانت تشعر بفراغ عاطفي وعدم رضاشاسعين حتى أنني لعبت على هذه النُقطة معها٠٠ إنها تَشعر بفراغ عاطفي٠٠ أيضًا ما جعلها تشعر بهذا الفراغ جلوس حسن على مِقعد لشلل لَحق بقدميه بسبب رصاص اخترق عموده الفقري أثناء عملية سلاح٠ .٠

لكنها رفضت العرض الذي أخبرتها به بعد تفكير٠٠ قالت أنها لن تعرض حياتها للخطر٠٠ أخبرتها خطتي بالكامل٠٠ وَجدت نفسي لا إراديًا أتمسك بالخطة وأشعر بأنها هي الخطة الأكمل والأعظم

من خطتي الأولى.. وأخبرتها أنني أحبها.. أحبها بشدة كي توافق على خطتي.. ..

بعد مرور ليلتين جاءتني.. أخبرتني أن حسن قد نام معها في الأمس.. ..

ثم حدث الخطأ الأكبر.. نِمت مع زينب كي يحدث ما بعقلي.. بعد ما حَدث هذا أخذت تبكي.. لقد زَنت.. لكن هذا -ولحقيقة الأمر-لم يُشغل بالي.. كُل ما وددت فعله هو أن أنتقم من حسن العلايلي و كُل شخص تسبب في قَتل روحي.. ..

في الوقت ذاته جاء حَسن بطفل إلى البيت.. وأخبرها أنه طفله جاء عن طريق الخطأ مع واحدة من العاهرات اللاتي كان ينام معهن.. فأخذه ليربيه كي يُصبح هو الكَبير بعد موته.. وأعترف لها بالخطأ.. فأخذت زينب هذا لصالحها وأصبحت لا تتحدث معه حتى أخبرته أنها حامل منه.. ..

لكن دار الشك بعقلي.. إذًا كيف لحسن أن يُنجب من عاهرة غيرها..؟!.. هل هو سليم جنسيًا وليس بضعيف..؟.. أمأن العاهرة قد لعبت لعبة عليه وجعلته يكتنف الولد..؟!..

شكّت بزوجها.. وعرفت أن تلك العاهرة بالفعل لعبت عليه لعبة قذرة كي تتخلص مع الولد..!..

قبل الإنجاب بيومين.. اتفقنا مع قابلة خارج القرية.. بأن تذهب لها زينب وَحدها وتُخرج ما ببطنها.. قالت لحسن زوجها أنها ستذهب إلى قرية مجاورة حتى تزور خالها المريض.. وافق زوجها دون أي اهتمام.. سافرت ثم حدثت المُعجزة.. أن زينب

أنجبت توأمين٠٠ وَلد وفتاة٠٠ وها هما يقرآن خطابي الآن٠ ٠

بسبب ما حدث٠٠ تغيرت الخِطة٠٠ بأن تَكن الفتاة مع أمها ويظن حسن أنها ابنته٠٠ وأن يعيش الولد في بيت بالقرب مني٠٠ لكن هذا كان أصعب قرار أخذته في حياتي٠٠ فحينها أصبحت قلقًا وراودني سؤالًا٠٠ كيف سأقنع الناس بأن هذا الطفل هو ابن سعيد العراقي٠؟٠إذا تحدثت وقُلت أن هذا الطفل هو ابن سعيد العراقي سيهاجمني كُل من في القرية٠٠ فمن أنا حتى أُبعث بطفل سعيد٠٠ أقصد لو نظر لي الناس على أني الشيخ جمال ولست سعيد العراقي بنفسه٠!٠

كان موضوعًا معقدًا ومسألة غير عادية٠٠٠فلا شيء يَخفى في تلك القرية حتى ولو كان يعاديها٠٠ فأهل القرية كُل ما يمتلكونه ويستطيعون فعله هو الحديث٠٠ فلا شيء يَخفى في تلك القرية حتى ولو كان من أكبر المصائب٠٠ إذًا سأخرج بالطفل وأخبرهم أنه ابن سعيد العراقي٠٠ لكن هذا سيؤدي إلى خطر أكبر فمن الممكن أن يقتلنا حسن العلايلي٠ ٠

وما حدث تباعًا كان أنني خرجت مُعلنا بأن هذا الطفل هو عُمر سعيد العراقي٠٠ فحرجت الأصوات صائحة وصارخة كيف لهذا الطفل أن يكون ابن سعيد٠٠ وشعر الكثير أن هُناك لعبة تُدار عليهم٠٠ ودعاني الكثير بالكاذب٠٠ فخرجت عليهم بخطاب أثار حماسهم وهو أن سعيد العراقي لن يستطيع العودة الآن لكنه جعل ابنه هُنا فقط كي يُعرفكم بأنه سيأتي لا محالة٠٠ وسيقتص من الظلمة إن حدث وأساؤوا لابنه٠٠ وأخبرتهم أن سعيد يأمرهم بأن يتحلوا بالصبر فهو الشيء الوحيد الذي يمتلكونه٠ ٠

العاطفة٠،٠ العاطفة فقط هي ماجعلني أنتصر٠،٠ جميعهم أو معظمهم صدق فقط لأني لعبت على عواطفهم ووعدتهم بالحرية الأبدية٠،٠ جعلت نفسي في أعينهم مُخلصًا من الظلم قاتلًا للفساد٠ ٠.

كان خوفي الأكبر هو حسن٠،٠ فمن الممكن أن يُرسل لقتل عُمر٠،٠ وهذا ما خططت له فأخبرت الجميع في ذات الخطبة أن عُمر إذا مات سينتهي نسل العراقي٠،٠ فهو الابن الشرعي الوحيد للعائلة٠،٠ وأخبرتهم أن سعيد لن يعود إن أصاب ابنه مكروه٠،٠ وإن لم يعد سعيد ستظل القرية كما هي إلى نهاية الدهر٠،٠ فوجدت ثلاثة رجال يخبرونني بأنهم سيقفون أمام المنزل يومًا بعد يوم لحماية عُمر من الأذى٠،٠ في البداية تظاهرت بالرفض٠،٠ كان حديث رائع مني بأن أقنع كُل أهل القرية أو معظمهم٠ ٠.

وبالفعل وقف الثلاثة أشخاص لمدة أسبوع كامل٠،٠ ثم ازداد العدد إلى عشرة حتى كَبر عُمر بين يدي٠،٠ وصدق الجميع أن هذا هو عُمر سعيد العراقي٠ ٠.

تَخيل أن تُربي ابنك٠،٠ تراه أمامك يَكبر يوم بعد يوم٠،٠ وهو لا يعرف أنك أبوه٠،٠ يبحث عنك في كُل مكان لكنه لا يراك٠،٠ وأنت أمامه طيلة الوقت٠!٠

بدأت أشيع حكايات بالقرية عن سعيد العراقي٠،٠ أتحدث عن نفسي كأنما كُنت نبي من أنبياء الله٠،٠ حتى فقط تكتمل خطتي٠،٠وبالفعل بدأ كُل من بالقرية٠،٠ كُل الشباب ينتظرون عودة المُخلص٠،٠ سعيد العراقي٠ ٠.

في هذا الوقت لم تَنزل زينب لي إلا قليلًا٠٠ حتى أنت رأيتها مَرة واحدة في المنزل عِندي وبررت لك ظهورها٠٠ أيضًا عندما حكيت لك قصة الفتاة التي كُنت أحبها في الصغر٠٠ كان اسمها زينب٠ ٠

كُنت أحاول دائمًا أن أخبرك أنه أنا٠٠ الشيخ جمال هو ذاته سعيد العراقي٠٠ لكن كُنت أخاف من كُرهك لي٠٠ أخاف من ظنك بأنني شخصٌ شرير لا يُريد إلا انتقامه الشخصي٠ ٠

في الحقيقة لو كُنت هذا الشخص٠٠ لما أرسلت لك شخص يدّعي أنه أخوك فقط كي يُبعدك عن تجارة السلاح مع حسن العلايلي٠؟ ٠! نعم٠٠أنا من أرسلت محمود لكي يجعلك ترتاح قليلًا ويُمهد لك حقيقة أن لك أخت٠٠ وأنا من قتلته أيضًا٠٠ في الحقيقة كان غبيًا للغاية وكان سيكشف مخططي إن تحدث ولو بكلمة معك٠٠لهذا السبب تخلصت منه سريعًا٠ ٠

في الوقت الذي اختفيت فيه كُنت أحضر للقادم٠٠ أعلم أن خطتي ستسير كما هي٠٠ وأن قتل محمود سيجعل الناس تتعاطف أكثر وسيجعلهم غاضبون من العلايلي٠٠ وهذا ما حدث٠ ٠

أخبرتك قبلًاأن كُل شيء سعيد يعرفه٠٠ بالفعل كُنت أعرف كُل شيء عنك٠٠ وأود لو احتضنتك وأخبرتك أنه أنا أبوك٠٠ أنا سعيد العراقي الذي يبحث عنه الجميع٠٠ وتبحث عنه أنت وأختك٠!

أما أنت يا ياسمين٠٠ فحياتك لم تكن بالسوء التي كانت عليه حياة أخيكِ٠٠ عُمر لم يعرف معنى الراحة قبل٠٠ لم ير أمه

أوأباه٠٠ لا أقصد أبدًا أن أقلل منك أو من أمك زينب٠٠ لكن عُمر لم يعرف معنى السعادة٠ ٠

الآن وبعد أن انهيت لكما حكايتي٠٠ أود أن أخبركما أنني أشعر بالارتياح بأن ابني وابنتي انتقما لي من هؤلاء الأشخاص٠٠ من هؤلاء القتلة٠٠ وأن خطتي سارت كما هي على المسار المُخصص لها مُنذ أن جئت إلى هذه القرية٠ ٠

إذا تتذكر٠٠ في اليوم الذي وَقفت أمام حسن العلايلي يوم أن جمعت أهل القرية للبحث عنك٠٠ كان بيني وبينه مسافة كبيرة للغاية كي لا يعرفني٠٠ حتى كُل الواقفون تعجبوا من هذا٠٠لأن حسن العلايلي هو الشخص الوحيد الحي ممن رأوني٠٠ لذلك كُنت أبتعد حتى لا يُدقق في ملامح وجهي٠ ٠

لا أود التحدث أكثر من هذا٠٠ فتقريبًا كُل الإجابات التي أملتها يا بُني موجودة في تلك الورقة التي حاولت جاهدًا أن أكتب بها كُل شيء٠٠ لكن إن جاءك أي سؤال لم تستطع الإجابة عليه٠٠ ستجد إجابته شيء واحد٠ ٠

٠٠أن الشيخ جمال هو سعيد العراقي٠٠ ٠

أبوكما المُخلص٠٠ المُحب٠٠ المَظلوم٠ ٠

سعيد العراقي٠ ٠

١٨ أبريل٠٠ ٠

انتهى عُمر من القراءة٠٠ فوجد ياسمين فارغة الفاه٠٠ ملامحها شاحبة وقاتمة٠٠ وَجد الورقة تَقع من يَده٠٠ تَركها ولم يجث

لأخذها٠٠ نَظر إلى الورقة فوجد اسم أبيه٠٠ كُل ما فعله أن دهس على الورقة٠٠ ثم نَظر أمامه٠٠ إلى المَنزل المُتشقق٠٠ وأخذ يَضرب قدمه على الورقة مرارًا وتكرارًا حتى مُزقت تمامًا٠ ٠

خَرج من المَنزل فتبعته ياسمين٠٠ لم يتحدث أحدهما بكلمة مع الآخر٠٠ كُل ما فكرا به هو أن أباهما خدعهما طيلة السنين الماضية٠٠ مُنذ أن ولدا وهما مُجرد جُزء من لعبة قذرة رسمها سعيد العراقي٠ ٠

نَظر إلى القصر٠٠ فوجد أمامه الجَمع بالكامل مُهللين٠٠ لقد انتهى الظُلم تمامًا٠٠ انتهى ولن يعود مُجددًا٠٠ نَظر عُمر إلى الدماء الموجودة على الأرض٠٠ الناس المقتولون٠٠ المُسدسات والبنادق٠٠ كُل شيء٠٠ وبدأ في أعماقه يَصرخ٠٠ لقد اختفت سنين عُمره هباءً٠ ٠

في تلك اللحظة وَجد ياسمين تتصدر الدخول إلى الجمع٠٠ فأشارت لهم بأن يتوقفوا عن الصياح بأن العدل قد عاد٠٠ وأن العراقي اقترب من العودة٠٠ لم يَكن عُمر مُدققًا في كلماتها٠٠ لكنه سَمع جُملة جعلته يَشعر بالصدمة٠:

٠-٠-٠توقفوا عن قول العراقي٠٠ العراقي٠٠ سعيد العراقي لن يعود أبدًا٠٠ لن يعود٠ ٠

فتوقف الجميع عن التهليل٠٠ بل صمتوا صمتًا تامًا٠٠ وَجد عُمر أمامه جُثة سالم العلايلي وقد فقئت عينها والدماء تُظهر أكثر مما تخفي٠٠ جثا على رُكبتيه لكي يَلمس جُثته٠:

٠-٠-٠من قتله٠؟!٠-٠

قالها عُمر بثبات٠٠ فقال واحد ممن قتلوه٠:

٠-٠-٠-أنا ومعي العديد من الرجال-٠- ٠.

أومأ عُمر برأسه٠٠ ثم رَبت على الجُثة وهو ينهض٠:

٠-٠-٠-أحسنتم صُنعًا-٠- ٠.

كان الجَمع صامتًا تمامًا٠٠ فما قيل عن عدم عودة سعيد العراقي صدمهم جميعًا٠٠ فخرج واحد من الجَمع٠:

٠-٠-٠-ماذا تقول تلك الفتاة٠! بعد ما فعلناه تقول أن سعيد العراقي لن يعود٠؟!٠-٠-

نَظر عُمر إلى الجَمع٠٠ وجهه ضارعًا ومُتعبًا لأقصى حد٠:

٠-٠-٠-نعم٠٠ فسعيد العراقي قد مات مُنذ خمسة وعشرون عامًا٠-٠- ٠.

هُنا بدأت صيحات القوم تَخرج بشدة٠٠ نظرت ياسمين له٠٠ فهمت المَقصد من الجُملة٠٠ فاستطرد٠:

٠-٠-٠-أبي لم يَخرج من القصر حيًا٠٠ لقد قتله حسن العلايلي-٠- ٠.

لقد انتهت صفحة سعيد العراقي من قلب عُمر٠٠ أقنع ذاته بأن ما حدث للتو لم يَحدث٠٠ وأن أباه قد قُتل غدرًا عندما قَتلوا زوجته٠٠ أو هكذا كان يكذب على نفسه حتى يستطيع مواصلة الحياة٠ ٠.

٠-٠-٠-أين حسن العلايلي٠؟!٠-٠-

صَمت الجميع.. وأشاروا ناحية الحديقة.. سألهم إن كان حيًا فأجابوه بنعم.. دَخل القصر فتبعه الجميع..:

-----لا.. أود أن أكون أنا وأختي وهو فقط--. .

دَخلت ياسمين معه وحدهما فقط.. ثم نَظر إلى العامة وجدهم يَنظرون ناحيتهما.. يريدون معرفة ما الذي سيفعله عُمر بحسن العلايلي.. قاتل أبيه كما قال سلفًا.. تَوقف عُمر أمام حسن فوجده يبكي بحسرة.. بخيبة أمل.. لم يرف لعمر جفن.. جثا على رُكبتيه.. وَضع يده على رأسه..:

-----ابنك معنا بالخارج.. أقصد جثته معنا.. كُنت أود أن أحضره لك لكي تراه.. لكني لن أفعل هذا.. فهو لم يعد بتلك الهيئة التي اعتدت أن تراه بها--

بَكى أكثر.. فقال عُمر ببرود مُتناه..:

-----هل تَبكي لأنه مات أم لأنه تركك وحدك وأنت مشلول تعجز عن الحركة..؟!.. أظن أنه الشيء الثاني.. فقلب شخص مثلك لا يعرف محبة الأب لابنه--. .

فرفع بإصبعه ناحية البوابة.. فَدخل عدد قليل من الرجال.. دنا منه قليلًا..:

-----لن أفعل مثلك.. لن أكون شريرًا بتلك الطريقة التي كُنت بها معي-- نَظرت ياسمين إلى عُمر.. فوجدته يَضحك بشر حقيقي..:

-----بل سأكون أسوء مما تتخيل، أسوء مما يتخيل أي أحد-- .

وَصل الرجال،، فنهض عُمر وقال بلهجة آمرة:

-----اخلعوا بنطاله،، وليحضر أحدكم مُنشارًا-- .

تَعجبت ياسمين مما قاله عُمر بشدة،، حتى أن رجاله نفسهم تعجبوا،، فوقفوا قليلًا لاستيعاب الطلب،، ثم صاح فيهم حتى يُنفذوا ما يمليه،، نَظرت ياسمين له:

-----ما الذي ستفعله يا عُمر؟!--

رَبت على كتفيها،، ثم نَظر لحسن:

-----لن أعبث مع الغرباء مُجددًا-- .

.*. .*. .*.

في الغرفة السرية لمنزله؛ كان جالسًا،، يَضرب يده على رأسه من شدة الألم والندم،، خائفًا من أن يراه ابنه وابنته فلا يستطيع التبرير،، لم يقو على النَظر في المرآة حتى،، لقد كانت حياة سيئة بحق، .

بكى سعيد العراقي،، مُنذ زمن بعيد لم يَبكِ كسعيد،، فدومًا كان يبكي كالشيخ،، عاش بحياة الشيخ حتى نسي حياته تمامًا،، دَمر مُستقبل ابنه وابنته للحصول على الانتقام، .

بدأ يتساءل،، هل هو مُستريح الآن؟!، هل الانتقام من قتلة زوجته أو الانتقام من القتلة عمومًا أعاد له حياته التي كان

يأملها؟!. خَطط جيدًا للانتقام ولم يُخطط لحياته أو حياة طفليه. .

كفكف دموعه،. فوجد زينب تَدخل الغرفة،. سألها بنفسٍ مقهور:.

---.هل غادرا؟!.--

أومأت زينب برأسها،. فهي لم تره يبكي من قبل،. جَلست بجانبه وَوضعت رأسه على صدرها،. تُربت على كتفه وتُهدئه:.

---.أنا سيء يا زينب،.أنا أسوء منهم جميعًا.-- .

نَظرت له،. وتحدثت:.

---.لا أنت لست منهم،.أنت فعلت هذا لسبب،. لقد قتلوا كُل ما بداخلك ياسعيد.-- .

---.وأنا قتلت حياة أولادي،. ما ذنبهم؟!.--

كانت تود أن تُخبره بأن هذا السؤال لم يعد صالحًا للطرح الآن،. لكنها أخبرته:.

---.وما ذنبك عندما قتلوا ما بدخلك؟!. لا يوجد شيء يُدعى ما ذنبهم،. فالحياة لا تَرحم أحد،. لا تَرحم أحد يا سعيد.-- .

نَظر لها في عينيها،. لقد كَبر سعيد العراقي،. أصبح عجوزًا بحق،. أخبرها بعين بها حُزن دفين:.

---.أود التحدث معهما،. أريد إخبارهما بأنني المُخطئ،. أنا من

فعل كُل هذا٠٠ ٠.

أومأت برأسها دلالة على صِحة كلامه وتفكيره٠، ثم ابتسمت له مُحاولة التخفيف الحمل من فوق عاتقيه٠:

٠٠٠٠إنه مع العامة الآن يُحاسب حسن العلايلي٠، وسالم قد قُتل بطريقة سيئة للغاية٠٠ ٠.

كانت الأخبار تتطاير في القرية٠، فأقل حدث الجميع كان يعرفه في هذا الوقت٠، حتى أنهم ينتظرون الآن نتيجة ما سيفعله عُمر مع حسن العلايلي٠:

٠٠٠٠يجب علي التحدث معهما الآن٠٠ ٠.

٠٠٠٠انتظر قليلًا٠، انتظر٠٠ ٠.

بدأ يبكي مُجددًا٠، فكانت تمسح دموعه حتى شعرت بمدى جُرم ما فعلاه تجاه ابنيهما٠، لكنه استسلم تمامًا لبكائه٠، وهي أيضًا تركته يَبكي٠، علّ البكاء يُخفف ما يحمله من أنات وآلام٠ ٠.

.*. .*. .*.

٠٠٠٠لا تفعل هذا يا عُمر٠، أرجوك لا تفعل٠٠ ٠.

كان يَبكي٠، ناظرًا إلى المُنشار الذي بيد عُمر٠، مُتجهًا ناحية قدميه العاريتين٠، لم يقو حسن على رؤية ما سيفعله عُمر بقدمه٠، إنه يريد تشريحهما وهو على قيد الحياة٠ ٠.

ياسمين لم تقو على رؤية هذا فخرجت خارج القصر تمامًا٠، وكُل من بالخارج دخل لكي يرى هذا الحدث المأساوي٠، وَضع عُمر

المُنشار على قدم حسن دون ضَغط منه على المُنشار.. ثم نظر إلى حسن..:

..-..-..إنضغطت قليلًا على المُنشار قدمك ستقطع تمامًا.. لن تشعر بأي ألم طبعًا لأن ساقيك مشلولتان-.. ..

ضَغط عُمر على المنشار قليلًا حتى بدأت دماء قدم حسن تسيل بهدوء.. لم يَشعر حسن بأي ألم لكن مَنظر الدماء وهي تَنفجر من قَدمه كان مُروعًا.. حتى أن معظم أهالي القرية لم يستطيعوا النَظر.. تَوقف عُمر عن بَتر قدمه فقط أرادّ أن يجعلها تنزف.. ألقى المنشار بعيدًا..:

..-..-..بمقدوري الآن فعل أي شيء بك.. قَتلك..أو سلخك..أو بتر قدميك ورأسك.. يَجدر بي فعل أي شيء-.. ..

نَظر حسن إلى عُمر راجيًا إياه أن يقتله بهدوء حتى تنتهي تلك القصة.. لكن عُمر ابتسم له..:

..-..-..لكني لن أفعل أي شيء من هذا-.. ..

فرقع بإصبعه.. أمر الرجال أن يأتوا بجثة ابنه.. بالفعل في أقل من دقيقة كانت الجُثة أمامه.. أمرهم أن يضعوها أمام حسن بالضبط.. فبدأ حسن يَبكي بشدة لمجرد رؤيته لابنه بهذا الشَكل.. ..

..-..-..سأتركك تموت هُنا بهدوء شديد.. وابنك لن يتركك.. سيكون معك حيًا أو ميتًا-.. ..

صرخ حسن بشدة حتى يقتله عُمر.. ترجاه.. كان واقفًا بشموخ

تام دون أن يتأثر.. ناظرًا إلى حسن.. هازئًا به.. استدار عمر بعيدًا عن حسن وقال بصوت عال.:

.....افعلوا به ما تشاؤون..... .

خَرج من القصر وَحده.. وجد ياسمين واقفة بعيدًا تنتظره.. تقدم ناحيتها وهو يسمع صرخات حسن العلايلي من الداخل.. وأصوات الرصاص تنهال عليه من جميع أهل القرية.. كانت الدماء تُكسو ملابس عُمر.. ووجهه.. ويده.. حتى أن ملامحه قد قاربت على الاختفاء بسبب الدماء.. نَظرت له وقلبها يُفطر على أخيها.. فهي لم تره كثيرًا ولم تعرفه كثيرًا.. لكن ما به الآن كفيلًا بأن تعانقه وتُربت على كتفه.. في تلك اللحظات وَجد الرجال يهرولون ناحية عُمر.. يُنادون باسمه.:

.....عُمر العراقي كبيرنا.. عُمر العراقي كبيرنا..... .

كُلهم كانوا يصرخون باسمه حتى أنه انزعج.. وشعر بأن تلك القرية وهؤلاء الناس لا يتعلمون من أخطائهم.. نَظر لهم جميعًا وتحدث بصوت عال.:

.....أنا لست بكبير على أحد.. وأنتم لستم عبيد لكي يَكون هُناك شخص كبيرًا عليكم.. الآن انتهت عائلة العلايلي إلى الأبد ولن تعود..... .

وَجد شَهد بعيدة.. تَقف مُنزوية تَرى ما يحدث.. كان يَنظر لها ولا يعلم ما الذي دهاه ناحيتها.. فاستطرد حديثه مُحاولًاألا يتوتر.:

-----مُنذ الآن.. لن يَكون هُناك كبيرًا على تلك القرية..خُذوا كُل شيء بالقصر.. الأموال والأسلحة وكُل شيء به.. واجعلوه عِبرة للظُلم---..

اقتربت شهد منه.. فنظر الجميع إليها.. كانت ترتدي حجابها وملابس فضفاضة.. ابتسمت له.. فتلك هي الفرصة الأعظم والأكبر لكي يتقدم لها ويطلب الزواج منها.. فلقد راحت عذريتها بسببه.. لكنه نَظر ناحيتها..بل نظر في وجهها:.

-----لقد أرجعت للأهالي حقوقهم.. ولكِ أيضًا---..

كانت تنتظر أن يُخبرها بأي شيء جيد.. لكنه شعر بأن قلبه قد جَف تمامًا.. لم يَعد قادرًا على إعطاءها أي شيء.. فنظر إلى الأرض وأخبرها بهدوء تام:.

-----أنا لن أستطيع الزواج بك يا شهد.. لن أقدر على هذا---..

شعرت بالدماء تَثلج بعروقها.. فما حدث في حياتها وتَدمير مُستقبلها كان بسببه.. والآن يريد الابتعاد.. القرية بمن فيها جعلوه يعرف أنه من العيب أن يتزوج فتاة ليست عذراء.. رجولته لن تَسمح له بأن يتزوجها.. فالقرية كُلها تعرف هذا المَبدأ.. تعرفه بشدة حتى إن عُمر بالرغم عنه وبالرغم رَفضه لكُل قوانين القرية المريضة.. اقتنع بها..تَلون بلون الأهالي دون دراية منه.. فوجد ذاته لا إراديًا يُخبرها بأنه لن يستطيع الزواج منها..

نَظرت شهد لعمر.. مُحاولة فهم ما قاله.. هذا ليس بالسبب الكافي.. لكنه شعر بأن مشاعره قد انتهت تمامًا.. وأن حياته قد

دُمرت٠٠ فلا يوجد أي داع لتدمير حياة شخص آخر معه٠٠ وَجد شهد تُغادر باكية٠٠ فلم يوقفها٠٠ جعلها تُغادر٠ ٠

فور مُغادرتها٠٠ نَظر خلفه لم يَجد ياسمين٠٠ لقد غادرت هي الأخرى لمكان غير معلوم٠٠ لكنه سَمع صوت الأهالي٠٠ يصيحون٠:٠

٠-٠٠-٠عُمر العراقي٠٠ عُمر العراقي٠-٠ ٠

لَكنه كان يعرف في قرارة نفسه أنه لم يعد عُمر٠٠ لم يعد هذا الشاب الذي يعهده٠٠ أصبح شخصًا آخر لم يعرفه٠٠ ولا أي أحد يعرفه

أبدًا٠!٠

## (٤)

انفض الجَمع٠٠ لم يبق سواه أمام القصر٠٠ واقفًا وحده تمامًا٠٠ ناظرًا إلى الجُثث الموجودة على الأرض والدماء المُسالة في كُل جزء بها٠٠ كُل هذا حَدث لأجل انتقام٠٠ انتقام مُزيف٠ ٠

كان وحيدًا تمامًا٠٠ خَسر كُل شيء وأي أحد حاول مُساعدته٠٠ حتى الهَدف الأسمى الذي حاول البحث عنه٠٠ كان هدفًا مُزيفًا٠٠ وكان أمامه طيلة الوقت٠٠ أعصابه كانت هزيلة٠٠ حتى أن يديه ترتعدان لسبب مجهول٠٠ لم يَمسح الدماء من وجهه وكأنه عَرف أن هذا هو مصيره الأبدي الدماء٠!٠

كانت الساعة الثالثة فَجرًا٠٠ في الثامن عَشر من أبريل٠٠ اليوم

الذي خُلق فيه سعيد آخر.. واليوم الذي خُلق فيه عُمر جديد.. سَمع صوت خطوات خَلفه.. لم يَنظر.. فلم يشعر بأنه يود المعرفة.. لم يَحفل بأي شيء يدور..

وَقف سعيد بجواره.. لكن بينهما مسافة طويلة.. نَظر سَعيد إلى ابنه وَجد الدماء تَحتل جسده بالكامل.. ويداه ترتعشان.. كيديه يوم قُتلت زوجته.. هل سعيد حَقًا يعلم ما الذي يدور بداخل ابنه..؟!.. كُل ما يعلمه الآن أنه يود التحدث معه.. لكن ما الذي سيقوله له..؟!.. ما الذي سيقوله وبأي وجه..؟

نَظر عُمر فوجده سعيد العراقي.. بهيئة الشيخ جمال.. نَظر له كثيرًا حتى أصبحت ملامحه تَدل على الكره الشديد والغضب الأشد.. لم يستطع التحدث معه.. لم يستطع حتى إخباره بمدى كُرهه له.. لقد استخدمه في لعبة قذرة.. في رحلة ليس له أي ذنب بها..

كان سعيد واقفًا.. قدمه قاربت على الانهيار.. لم يُفكر أبدًا بموقفه في هذه اللحظة أبدًا.. كُل ما فكر به هو انتقامه.. وأن تكتمل خطته المريضة.. أخذ نفسًا عميقًا.. وبدأ في التحضير لكلماته لكن لسانه لا يُطاوعه.. حتى قلبه لا يقوى على طَلب الغفران من ابنه..

بدأت عيناه تَدمعان.. يُحاول النظر إلى ابنه بحُب حقيقي.. لكن عُمر يشعر بالكذب يقفز من نظراته.. يعرف بأنه سيكذب عليه مُجددًا.. حتى وإن عاد وأخبره أنه سامحه على ما فعل.. على تَدمير حياته.. على اغتصاب الفتاة التي أحبها.. على عدم إعطاءه فرصة الاختيار.. على كُل شيء سيسامحه.. لكنه لن

يفعل هذا٠٠ لن يقوى٠٠ كُل ما يود فعله أن يسير بعيدًا عنه٠٠أن لا يَرى وجهه مُجددًا٠ ٠٠

جاءت ياسمين من الخلف٠٠ وجدتهما يَنظران إلى بعضهما٠٠ أمام القصر الذي أصبح مُدمرًا تمامًا٠٠ والجُثث تحيط بهما من كُل الجوانب٠٠ تلك كانت النتيجة٠٠ نتيجة الخطة التي وضعها سعيد العراقي للانتقام٠ ٠٠

هل حَقا انتصر الخير على الشر؟٠!٠ هل هذا هو انتصار العراقي على العلايلي؟٠!٠ لم تَظن ياسمين هذا أبدًا٠٠ دومًا هُناك ما يَنقص هذه الجُملة٠٠ هُناك ما يوقفها عن التفكير بهذا المَنطق٠ ٠٠

ابتسم سعيد لعُمر حتى يتحدث معه٠٠ لكن عُمر تَركه وذهب٠٠ استدار ذاهبًا إلى مكان مَجهول٠٠ وَجد ياسمين أمامه فلم يتحدث معها أبدًا٠٠ لم يَنظر إليها حتى كأنها لم تَكن موجودة٠ ٠٠

نَظر سعيد إلى ابنه وهو يسير٠٠ يود الصياح به لجعله يَقف٠٠ لكن لم يستطع٠٠ بل أطرق رأسه إلى الأرض وظَل يبكي٠٠ يبكي بشدة٠٠ لقد أنهى حياتهما بالكامل٠٠ لم يعد لهما مُستقبل واضح٠ ٠٠

سارت ياسمين خَلف عُمر حتى وجدته يدخل مَنزله بهدوء تام٠٠ دَخلت خلفه٠٠ فوجدته يَجلس على المقعد رافعًا رأسه إلى أعلى٠٠ صامتًا تمامًا٠٠ مُتأملًا ما يراه في السقف٠٠ ثم قال لها٠:

٠٠٠٠تلك هي النهاية يا ياسمين٠٠ النهاية التي انتظرتها٠٠٠ ٠٠

جَلست بجواره صامتة٠٠ تُراقب وجهه٠٠ فوجدت دِمعة تَسقط

بهدوء.. استطرد:.

.....لقد انتهى كُل شيء.. حتى أنا انتهيت..... .

نَظر لها.. فابتسم بانكسار شديد.. وأخذ يَبكي:.

.....أنا لم أفعل شيء سيء لكُل هذا..... .

بكى بأنفس مُتهدجة.. كالطفل الصغير.. يَشهق ويأخذ نفسه ويَبكي.. فوجد نفسه يحتضنها.. وهو يُكرر:.

.....أنا لم أفعل شيء سيء..... .

رَبتت على كتفه وهي تَنظر له.. كانت تعلم بأن إصابتها لم تَكن قوية مثله.. لكنها لم تَشعر بمدى سوء ما فعله أبوها وأمها إلا عندما سَمعت نبرة صوته.. كانت مُدمرة تمامًا.. كأن أباه قتله ولم يعد قابل للحياة مُجددًا. .

نَظرت إلى النافذة فوجدت سعيد واقفًا يُراقب ما يحدث.. نهضت من موضعها بعدما وَضعت رأس عُمر على الأريكة ليرتاح قليلًا.. ثم أغلقت النافذة كي لا يرى ما يَدور.. لم يَنهض عُمر ولم يَنظر ما الذي ستفعله.. بل ظل كما هو موضعه لم يُحرك ساكنًا. .

في تلك اللحظة.. عندما أغلقت ياسمين النافذة في وجهه.. قرر أن يفعل شيئًا واحدًا فقط..شيئًا كان من المُفترض أن يفعله مُنذ زمنًا بعيد.. مُنذ خمسة وعشرين عامًا. .

.*. .*. .*.

في الصباح الباكر،، تَوجه عُمر وياسمين إلى شارع من شوارع القرية؛ ليقول قرارًا عاجلًا خاص بهما،، بدأ يصيح في كُل أهالي القرية حتى يلبّوا النداء،، بالفعل بدأ عدد لا بأس به من الناس يجتمع حول عُمر وياسمين لسماع النبأ العاجل،، ..

كان عُمر على حيرة من أمره،، لكنه شعر بأن هذا القرار هو أفضل قرار من الممكن أن يؤخذ في تلك الفترة الحالية،، لا يود أن يعرف أي شيء عن القرية أو سعيد العراقي أو أي شيء آخر،، فتحدث بلهجة مُنكسرة،،:

،،،،،أنا سأغادر القرية،، لقد عادت الحقوق للأهالي بل للقرية بأكملها،، إذًا مهمتي في تلك القرية انتهت،،،، ..

بدأ الأهالي في التعجب من هذا القرار،، فاستطرد عُمر ناظرًا إلى ياسمين،،:

،،،،،لقد فعلت لكم الكثير،، أكثر مما يتخيل أي أحد،، لذلك أود المساعدة منكم،،،، ..

بدأت الأقاويل تنتشر بسرعة شديدة،، مثل،،: ،،، رقبتنا فداك يا كبير،،،، ،،،نحن بخدمتك يا كبيرنا،،،، فابتسم عُمر بداخله وبادلته ياسمين الابتسامة،، التي لم تتحدث بكلمة مُنذ الموقعة،، هؤلاء الناس لا يتعلمون من أخطائهم،، ثم استطرد،،:

،،،،،أريد الذهاب إلى القاهرة،، العمل هُناك،، أنا لا أعلم أي شيء خارج القرية،، لذا أريد واحد منكم يوصلني هُناك،، وأن يساعدني في العثور على شَقة وعَمل،،،، ..

كانت الردود على هذا الحديث عجيبة٠٠ فمنهم من كان يقول أنه أصبح رجلًا يُعتمد عليه ومنهم من تعجب٠٠ فبعد عودة الحق كيف له أن يذهب بتلك السهولة٠؟!٠ حتى هو نفسه لم يَكن متوقع أن يخرج هذا القرار منه٠٠ لكن التعب فرض عليه هذا٠٠ فوجد ياسمين تتحدث خلفه٠:

٠٠٠٠وأريد العَمل أنا أيضًا٠٠ فمن سيساعد عُمر أتمنى أن يساعدني أنا أيضًا٠٠ ٠.

لم يَكن مُقررًا أن تذهب ياسمين معه٠٠ لكنه شعر بأن تلك هي الشخص الوحيد الذي اكتسبه من كُل هذه الخُسارة٠٠ فأومأ برأسه بعد النظر إليها طويلًا٠٠ فوجد واحد من الأهالي٠:

٠٠٠٠أنا سأذهب للقاهرة الآن لكي أُنجِز أشياء لها علاقة بعملي٠٠ من الممكن أن تأتيا معي٠٠ لكن الحياة بالقاهرة ليست بتلك السهولة التي تظناها٠٠ سأبحث معك عن شقة وعَمل ولن أعود حتى تكون مُستقرًا٠٠ ٠.

ابتسم عُمر للرجل شاكرًا٠٠ ثم عقّب على كلامه٠:

٠٠٠بالتأكيد الحياة في القاهرة ليست أصعب من هُنا٠٠ ٠.

قالها بسخرية حادة٠٠ فنظر الناس له٠٠ ما الذي سيفعله هُناك٠؟!٠ ما الذي يريد فعله أصلًا ولماذا يريد الذهاب بعيدًا عن قريته التي لم يعش إلا فيها٠٠ فخرج واحد من الموجودين أيضًا يسأل٠:

٠٠٠٠نحن لم نر الشيخ جمال مُنذ الأمس٠٠ أين هو٠؟!٠٠

لم يستطع عُمر الرد.. فتقدمت ياسمين وقالت بحزم:.

.....لا أحد يعرف.. رُبما هو نفسه لا يعرف.... .

لم يَفهم أحد تلك الإجابة.. لكنهم ظنوا أنه اختفى كما اختفى مُسبقًا.. فتحدث عُمر:.

.....شُكرًا للجميع.. أشكركم على وقوفكم بجانبنا.. لن ننسى لكم هذا المعروف أبدًا.... .

فاقترب الناس منه وبدأوا يعانقونه ويودعونه.. يُخبرونه بأن لا ينساهم وأن يعاود زيارتهم.. كان يبتسم.. ليس لأي شيء سوى أنه سيغادر.. سيغادر هذا المكان.!.

.*. .*. .*.

## (٥)

جَلس سعيد في بيته.. وَحده.. غادرت زينب وأخبرته أنها ستعود لكن لم تعد.. وضع يده على وجنته مُنتظرًا أن تأتي.. لكنه نَهض فجأة من موضعه.. وذهب ناحية غُرفته السرية. .

دَخل الغرفة.. ثم أغلقها جيدًا كي لا تَدخل زَينب.. يُفكر مَليًا فيما سيحدث لأبنائه دون عِناية.. لكن ما يُفكر به جليًا هو أنه لا يستطيع النَظر في المرآة كُرهًا لذاته.. لقد أصبح عجوزًا.. كان يُفكر لما لم يموت قبل تلك اللحظة.؟.! لما لم يقتله حسن العلايلي.؟.! كانت على الأقل ستصبح أهون عليه من أن يرى أولاده يكرهونه بتلك الطريقة. .

لقد حسب كل شيء جيدًا٠٠ ولم يسئ التخطيط كما كان يقول٠٠ لكنه أخطأ في شيء واحد٠٠ في حق أبناءه٠٠ وهذا ما جعله لا يُفكر في أي شيء سواهما٠ ٠

فَتح دُرج ما كان به صورة٠٠ صورة واحدة له مع زوجته فاطمة وهما شباب٠٠ أمسك الصورة ثم بدأ يُداعب وجه فاطمة بالصورة٠٠ لقد انتقم لها٠٠ لكنه لم يَعد قادرًا على المواصلة٠ ٠

أخذ يَبكي حتى ابتلت لحيته الطويلة والبيضاء٠٠ وهو يَنظر في عينيها ويُحاول أن يُخبر ذاته أن ما فعله كان صحيحًا٠٠ لكنه لم يَكن٠٠ وَضع الصورة في موضعها٠٠ وشعر بأن هذا هو الوقت المُناسب٠ ٠

أمسك مُسدسه من ذات الدُرج٠٠ جَهز طلقاته٠٠ ثم أخذ نفسًا طويلًا٠٠ وَضع المُسدس على رأسه٠٠ لم يستطع الانتظار لأن تُقبض روحه٠٠ لأن يأتيه الاستدعاء الإلهي٠٠ لم يَستطع٠ ٠

ضَغط على الزناد فانفجرت رأس سعيد العراقي٠٠ سَقط على الأرض مُباشرة والدماء تُغطي المكان بأكمله٠٠ حتى صورته الوحيدة الباقية مع زوجته٠٠ لم يبق منها أي ملامح٠ ٠

انتهت حكايته للأبد٠٠ حكاية سعيد العراقي٠٠ المُخلص والمُحب والمظلوم كما يصف نفسه في مُذكراته٠٠ كان يعلم جليًا بأنه ليس مُخلصًا ولا مُحبًا٠٠ فانتهت حياته بتلك الطريقة٠٠ دون أن يشعر به أحد٠ ٠

ولا يشعر بآلامه٠ ٠

.*. .*. .*.

استقل عُمر ومعه ياسمين السيارة.. بدأت تتحرك بهدوء لأن أهالي القرية بأكملها واقفون لإلقاء كلمات الوداع.. كان يُخرج يده مُبتسمًا.. مُلوحًا لهم.. ثم بالرغم عَنه تَذكر شهد.. .

ازدرد عُمر ريقًا جافًا وشعر بوخزٍ حاد في قلبه.. وكأن الذكريات تتهافت على عقله لكي تجعله ضعيف.. لكنه شعر بأن أهم قرار يَجب عليه فعله هو النسيان.. النسيان لكي يستطيع البدء من جديد.. .

نَظرت ياسمين لعُمر.. كانت ترى في عينيه حياة جديدة.. مَعنى آخر للحياة.. بريقًا صغيرًا للأمل مُتعلق به.. ابتعدت السيارة عن الناس.. فوجدت عُمر ينظر لها في المرآة.. لقد كان يَجلس بجوار السائق أما هي كانت في الخلف.. .

كان يبتسم.. لم تعلم السبب لكنه كان يبتسم.. هل لأن الحياة تعطيه فرصة أخرى لحياة جديدة.. أم لأنه يبتعد عن القرية.. شعرت بالغموض يَفوح من نظرات عُمر.. .

---..هل عَرفت يومًا اسم القرية..؟!..---

كان سؤالًا جدير بالطَرح.. طَرحه السائق على عُمر.. لم يَكن يعرف الاسم أبدًا.. لم يَكن يعرف حتى أن للقرية اسمًا.. نَظر لياسمين في المرآة فابتسمت ورفعت كَتفيها.. هي أيضًا لم تَكن تعرف أن لقريتهما اسمًا.. .

لكن قَبل المَعرفة.. سَمع عُمر صَوت يُرجف القرية رجفا.. يعيدها

إلى سابق عهدها كما كانت.. صوت سيد درويش يَخرج من إحدى المقاهي مُهللًا معه ليعطيه هو أيضًا فرصة جديدة.. ..

.-..-.. وإن كان شيل الحمول على ضهرك يكيدك..أهون عليك يا حُر من مدّت إيدك-..- ..

شعر عُمر بأن الحياة تُنهي دفاترها القديمة معه.. وأنها تعطيه فُرصة لحياة أخرى.. حياة مليئة بالهدوء والروتين.. لقد عَشق الروتين.. فأحيانًا الروتين يكون أفضل من أحداث صادمة ومصائب لا تأت فرادى..!.

أثناء سيرهم.. وأثناء ابتسامة عُمر لياسمين في المرآة.. وَجدا اسم القرية مُعلقًا في لوحة زرقاء صغيرة.. مَكتوبًا بخط اليد.. لقد كُتب على هذه اللوحة مُنذ عقود مَديدة حتى نسي الناس اسم قريتهم.. زيّن الاسم ذِكرى أحداث بداخلهم.. كانا في غياهب الانتشاء من تلك الذِكريات حتى لو كانت سيئة.. فبدأ عُمر يُكرر اسم القرية على لسانه.. حتى ضَحكت ياسمين.. فبادلها الضَحك.. نَظر لها في المرآة.. وأومأ برأسه لها بحُب وابتسامة.. لم يَعرفها مُنذ زمن طويل.. لكنه أحبها بشدة.. وجودها بجانبه فقط هو ما أخرجه مما كان به.. ..

أغمض عُمر عينه.. ثم نام.. نام ليستريح من عناء ما رآه في الأمس.. فوجدت ياسمين اسم القرية مُعلقًا على إحدى الحوائط مُجددًا.. مُعلنًا بأن تلك هي النهاية في هذا المكان:.

.-..-..قرية المَنسي-..- ..

تَمت.. ..

٢٥٠/٠٩٠/٠٢٠١٧